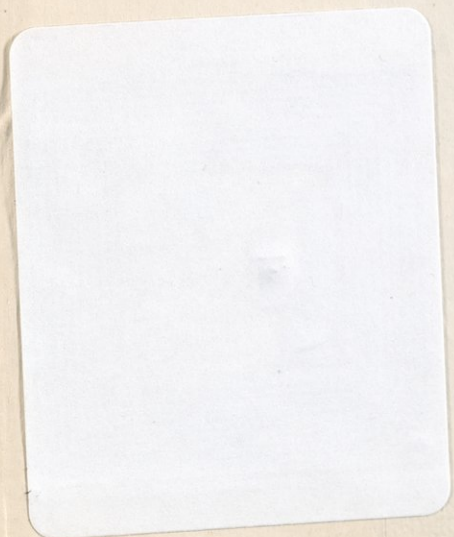
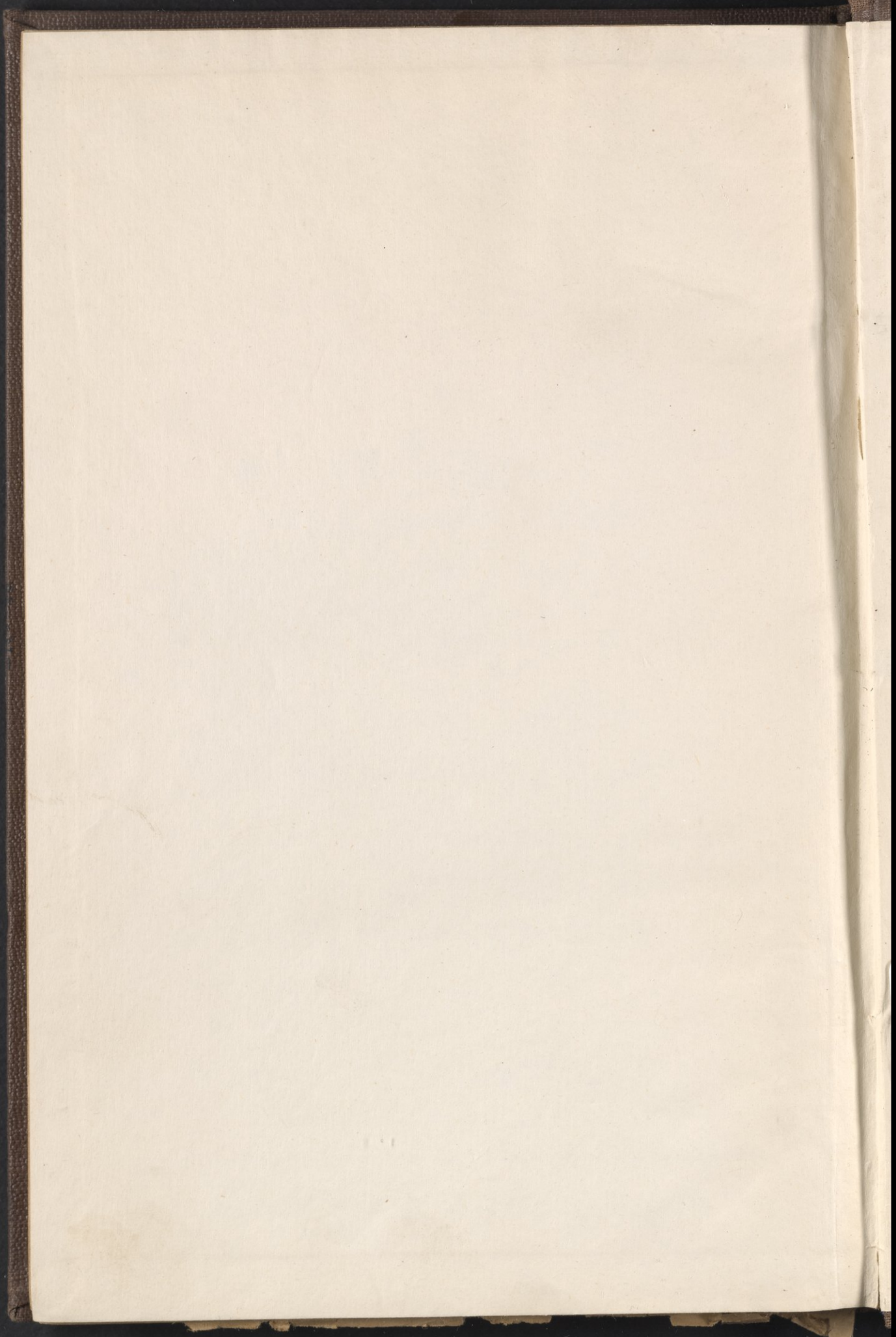


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01140 1829

B
I
P
I





03 - B2474

التبصر

مكتبة

1906/14/12

BJ

1533

P3

I2

1000

Ibn Qayyim al-Jawziyah
Kitab 'iddat al-sabirin

كِتَابُ 'iddat

عِلَّةُ الصَّابِرِينَ

وذخيرة الشاكرين

تأليف

الإمام، محي السنة، وقامع البدعة

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن قسيم الجوزية

رحمه الله

طبع باذن خاص من وكالة جلالة ملك نجد والحجاز وملحقاتها بمصر

يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صباح وأولاده

بميدان الأزهر بمصر

دار الصور للطبع والنشر : شارع الخبيج المصري بالظاهر : بمصر

۱۸۹

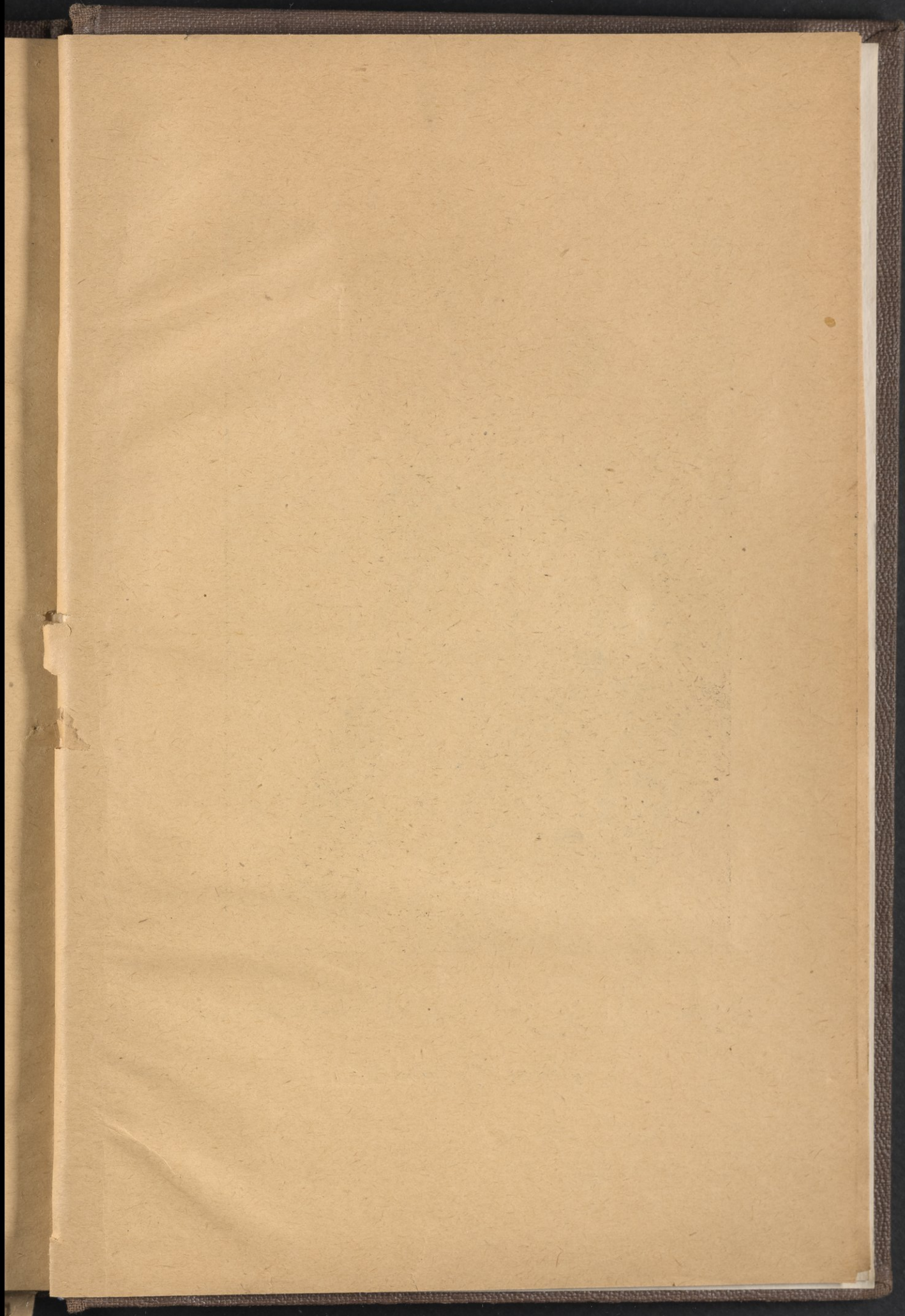
ق ۲۰۳

۶۹۱۶۶



صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود

ملك الحجاز ونجد وملحقاتها



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الصبور الشكور . العلي الكبير . السميع البصير . العليم القدير
الذي شملت قدرته كل مقدور . وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الامور
وأسمعت دعوته لليوم الموعود أصحاب القبور . قدر مقادير الخلائق
وآجالهم . وكتب آثارهم وأعمالهم . وقسم بينهم معاشهم وأموالهم . وخلق
الموت والحياة ليلوهم أيهم أحسن عملا وهو العزيز الغفور . القاهر القادر
فكل عسير عليه يسير . وهو المولى النصير فنعم المولى ونعم النصير . يسبح له
مافى السموات ومافى الارض ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . هو
الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ، والله بما تعملون بصير . خلق
السموات والارض بالحق ، وصوركم فأحسن صوركم ، واليه المصير . يعلم
ماتسرون وما تعلمون ، والله عليم بذات الصدور . وأشهد أن لا إله الا الله
وحده لا شريك له اله جل عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن الشريك والظهير
وتقدس عن تعطيل الملحدن كما تنزه عن شبه المخلوقين ، فليس كمثل شيء وهو
السميع البصير . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وخيرته من بريته ، وصفوته
من خليقته ، وأمينه على وحيه ، وسفيره بينه وبين عباده ، أعرف الخلق به ،
وأقومهم بخشيته ، وأنصحهم لأمنته ، وأصبرهم لحكمه ، وأشكرهم لنعمه ، وأقربهم
اليه وسيلة ، وأعلامهم عنده منزلة ، وأعظمهم عنده جاهاً ، وأوسعهم عنده شفاعة ،
بعثه الى الجنة داعياً . وللإيمان منادياً . وفي مرضاته ساعياً . وبالمعروف آمراً
وعن المنكر ناهياً . فبلغ رسالات ربه . وصدع بأمره . وتحمل في مرضاته مالم
يتحملة بشر سواه . وقام لله بالصبر والشكر حق القيام حتى بلغ رضاه .

فثبت في مقام الصبر حتى لم يلحقه أحد من الصابرين . وترقى في درجة الشكر حتى علا فوق جميع الشاكرين ؛ فحمد الله وملائكته ورسله وجميع المؤمنين . ولذلك خص بلواء الحمد دون جميع العالمين . فأدم تحت لوائه ومن دونه من الانبياء والمرسلين . وجعل الحمد فاتحة كتابه الذي أنزله عليه كذلك فيما بلغنا وفي التوراة والانجيل وجعله آخر دعوى أهل ثوابه الذين هداهم على يديه ، وسمى أمته الحامدين قبل أن يخرجهم الى الوجود ، لخدمته له على السراء والضراء والشدة والرخاء ، وجعلهم أسبق الامم الى دار الثواب والجزاء ، فأقرب الخلق الى لوائه أكثرهم حمداً لله وذكراً ، كما أن أعلاهم منزلة أكثرهم صبراً وشكراً ، فصلى الله وملائكته وانبيأؤه ورسله وجميع المؤمنين عليه كما وحد الله وعرف به ودعا اليه ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد فان الله سبحانه جعل الصبر جواداً لا يكبر ، وصارماً لا ينفو ، وجنداً غالباً لا يهزم . وحصناً حصيناً لا يهدم ولا يشلم ، فهو والنصر اخوان شقيقان ..

رضيحي لبان ثدى أم قتاسما بأسحمداج عوض لا يتفرق

فالنصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب والعسر مع اليسر وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا عدة ولا عدد ؛ ومحل من الظفر كمحل الرأس من الجسد . ولقد ضمن الوفي الصادق لأهله في محكم الكتاب ، أنه يوفيهم أجرهم بغير حساب . وأخبرهم أنه معهم بهدايته ونصره العزيز وفتح المبين . فقال تعالى « واصبروا إن الله مع الصابرين » فظفر الصابرون بهذه المعية بخير الدنيا والآخرة . وفازوا بها بنعمه الباطنة والظاهرة ، وجعل سبحانه الامامة في الدين منوطة بالصبر واليقين ، فقال تعالى وبقوله اهتدى المهتدون « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » . وأخبر أن الصبر خير لأهله مؤكداً باليمين . فقال تعالى (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وأخبر أن مع الصبر والتقوى لا يضركم كيد العدو ولو كان ذا تسلط . فقال تعالى : « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن

الله بما يعملون محيط » وأخبر عن نبيه يوسف الصديق أن صبره وتقواه
وصلاه الى محل العز والتمكين فقال « إياه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع
أجر المحسنين » وعلق الفلاح بالصبر والتقوى . فعقل ذلك عنه المؤمنون .
فقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم
تفلحون » وأخبر عن محبته لأهله وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين . فقال
تعالى « والله يحب الصابرين » ولقد بشر الصابرين بثلاث كل منها خير مما
عليه أهل الدنيا يتحاسدون . فقال تعالى « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم
مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
وأولئك هم المهتدون » . وأوصى عباده بالاستعانة بالصبر والصلاة على
نواب الدنيا والدين فقال تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا
على الخاشعين » وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به الا الصابرون
فقال تعالى « إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون » وأخبر أن
الرجبة في ثوابه والاعراض عن الدنيا وزينتها لا ينالها الا أولو الصبر المؤمنون
فقال تعالى « وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل
صالحاً ولا يلقاها الا الصابرون » . وأخبر تعالى أن دفع السيئة بالتي هي
أحسن تجعل المسىء كأنه ولي حميم فقال « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة
ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » . وأن
هذه الخصلة لا يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم . وأخبر
سبحانه خبراً مؤكداً بالقسم « ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » وقسم خلقه قسمين أصحاب يمينة
وأصحاب مشامة وخص أهل الميمنة أهل التواصي بالصبر والمرحمة ، وخص
بالانتفاع بآياته أهل الصبر وأهل الشكر تمييزاً لهم بهذا الحظ الموفور . فقال
في أربع آيات من كتابه « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » . وعلق
المغفرة والاجر بالعمل الصالح والصبر وذلك على من يسره عليه يسير فقل
« الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » . وأخبر

ان الصبر والمغفرة من العزائم التي تجارة أربابها لا تبور . فقال « ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور » وأمر رسوله بالصبر لحكمه وأخبر ان صبره إنما هو به وبذلك جميع المصائب تهون . فقال « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » وقال « واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »

والصبر اخية المؤمن التي يحول ثم يرجع اليها ، وساق ايمانه الذي لا اعتماد له الا عليها . فلا إيمان لمن لا صبر له وان كان فإيمان قليل في غاية الضعف ، وصاحبه ممن يعبد الله على حرف . فان أصابه خير أطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ولم يحظ منهما الا بالصفقة الخاسرة . فخير عيش أدر كه السعداء بصبرهم وترقوا الى أعلى المنازل بشكرهم فساروا بين جناحي الصبر والشكر الى جنات النعيم . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

فصل

ولما كان الايمان نصفين نصف صبر ونصف شكر كان حقيقاً على من نصح نفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الاصلين العظيمين ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين ، وان يجعل سيره الى الله بين هذين الطريقين ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين

فكذلك وضع هذا الكتاب للتعريف بشدة الحاجة والضرورة اليهما ، وبيان توقف سعادة الدنيا والآخرة عليهما . فجاء كتاباً جامعاً حاوياً نافعاً . فيه من الفوائد ما هو حقيق على أن يعرض عليه بالنواجز ، وتثنى عليه الخناصر ، ممتعا لقاريه ، صريحا للناظر فيه ، مسليا للحزين ، منهضا للمقصرين ، محرزا للشمرين ، مشتملا على نكات حسان من تفسير القرآن ، وعلى أحاديث نبوية معزوة الى مظانها ، وآثار سلفية منسوبة الى قائلها ، ومسائل فقهية حسان مقررة بالدليل ، ودقائق سلوكية على سواء السبيل . لا تخفى معرفة ذلك على فكر وأحضر ذهنه . فان فيه ذكر أقسام الصبر ووجوه الشكر وأنواعه وفصل النزاع في التفضيل بين الغنى الشاكر والفقير الصابر ، وذكر حقيقة الدنيا وما مثلها

الله ورسوله والسلف الصالح به والكلام على سير هذه الامثال ومطابقتها لحقيقة الحال وذكر ما يذم من الدنيا ويحمد، وما يقرب منها الى الله ويبعد، وكيف يشقى بها من يشقى ويسعد بها من يسعد. وغير ذلك من الفوائد التي لا تكاد تظفر بها في كتاب سواه. وذلك محض منة من الله على عبده وعطية من بعض عطاياه. فهو كتاب يصاح للملوك والامراء والاغنياء والفقراء والصوفية والفقهاء، ينهض بالقاعد الى المسير، ويؤنس السائر في الطريق وينبه السالك على المقصود. ومع هذا فهو جهد المقل وقدرة المفلس، حذر فيه من الداء وان كان من أهله. ووصف فيه الدواء وان لم يصبر على تناوله لظلمه وجهله. وهو يرجو أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين أن يغفر له غيه لنفسه بنصيحته لعباده المؤمنين، فما كان في الكتاب من صواب فمن الله وحده فهو المحمود والمستعان. وما كان فيه من خطأ فمن مصنفه ومن الشيطان. والله براء منه ورسوله. وهذه بضاعة مؤلفه المزجاة تساق اليك. وسلعته تعرض عليك. فلقار به غنمه. وعلى مؤلفه غرمه. وبنات افكاره تزف اليك، فان وجدت حرا كريما كان بها أسعد. والا فهي خود تزف إلى عنين مقعد. وقد جعلته ستة وعشرين بابا وخاتمة.

الباب الاول - في معنى الصبر لغة واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها

الباب الثاني - في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه

الباب الثالث - في بيان اسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه

الباب الرابع - في الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة

الباب الخامس - في أقسام الصبر باعتبار محله

الباب السادس - في أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته

لجيش الهوى وعجزه عنه

الباب السابع - في بيان أقسامه باعتبار متعلقه

الباب الثامن - في انقسامه باعتبار تعلق الاحكام الخمسة به

الباب التاسع - في بيان تفاوت درجات الصبر

الباب العاشر - في انقسام الصبر إلى محمود ومذموم
 الباب الحادى عشر - في الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام
 الباب الثانى عشر - في الأسباب التى تعين على الصبر
 الباب الثالث عشر - في بيان ان الانسان لا يستغنى عن الصبر فى حال
 من الاحوال

الباب الرابع عشر - فى بيان أشق الصبر على النفوس
 الباب الخامس عشر - فى ذكر ما ورد فى الصبر من نصوص
 الكتاب العزيز

الباب السادس عشر - فى ذكر ما ورد فيه من نصوص السنة
 الباب السابع عشر - فى ذكر الآثار الواردة عن الصحابة فى فضيلة الصبر
 الباب الثامن عشر - فى ذكر أمور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب وشق
 الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها

الباب التاسع عشر - فى أن الصبر نصف الايمان وأن الايمان نصفان
 نصف صبر ونصف شكر

الباب العشرون - فى بيان تنازع الناس فى الأفضل من الصبر والشكر
 الباب الحادى والعشرون - فى الحكم بين الفريقين والفصل بين الطائفتين
 الباب الثانى والعشرون - فى اختلاف الناس فى الغنى الشاكر والفقير
 الصابر أيهما أفضل وما هو الصواب فى ذلك

الباب الثالث والعشرون - فى ذكر ما احتجت به الفقراء من الكتاب
 والسنة والآثار والاعتبار

الباب الرابع والعشرون - فى ذكر ما احتجت به الاغنياء من الكتاب
 والسنة والآثار والاعتبار

الباب الخامس والعشرون - فى بيان الأمور المضادة للصبر والمنافية له
 والقادحة فيه

الباب السادس والعشرون - فى بيان دخول الصبر فى صفات الرب جل
 جلاله وتسميته بالصبور الشكور

(سميته عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) والله المسئول أن يجعله خالصاً
لوجهه مدنياً من رضاه وأن ينفع به مؤلفه وكاتبه وقارئه إنه سميع الدعاء وأهل
الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل

الباب الاول

في معنى الصبر لغة واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها

أصل هذه الكلمة هو المنع والحبس ، فالصبر حبس النفس عن الجزع
واللسان عن التشكي ، والجوارح عن لطم الحدود وشق الثياب ونحوهما . ويقال
صبر يصبر صبراً وصبر نفسه قال تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم »
وقال عنتره :

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تطلع
يقول حبست نفساً عارفة وهي نفس حر يأنف لا نفس عبد لا أنفة له
وقوله ترسو أي تثبت وتسكن إذا خفت نفس الجبان واضطربت . ويقال
صبرت فلانا إذا حبسته ، وصبرته بالتشديد إذا حملته على الصبر . وفي حديث
الذي أمسك رجلاً وقتله آخر « يقتل القاتل ويصبر الصابر » (١) أي يحبس
للهوت كما حبس من أمسكه للهوت . وصبرت الرجل إذا قتلتته صبراً أي أمسكته
للقتل وصبرته أيضاً وأصبرته إذا حبسته للحلف ومنه الحديث الصحيح « من
حلف على يمين صبر ليقطع بها مال امرء مسلم لقي الله وهو عنه معرض » ومنه
الحديث الذي في القسامة « ولا تصبر يمينه حيث تصبر الايمان » والمصبورة اليمين
المحلوفاً عليها وفي الحديث نهى « عن المصبورة » وهي الشاة والدجاجة ونحوهما
تصبر للهوت فتربط فترمي حتى تموت

وفعل هذا الباب صبرت أصبر بالفتح في الماضي والكسر في المستقبل
وأما صبرت أصبر بالضم في المستقبل فهو بمعنى الكفالة والصبير الكفيل كأنه
حبس نفسه للغرم ومنه قولهم اصبرني أي جعلني كفيلاً وقيل أصل الكلمة

(١) في النهاية لابن الأثير (مادة صبر) : (اقتلوا القاتل واصبروا الصابر)

من الشدة والقوة . ومنه الصبر للدواء المعروف لشدة مرارته وكرهته . قال
الاصمعي اذا لقي الرجل الشدة بكاملها قيل لقيها بأصبارها . ومنه الصبر بضم
الصاد للارض ذات الحصب لشدتها وصلابتها . ومنه سميت الحرة أم صبار
ومنه قولهم وقع القوم في أمر صبور بتشديد الباء أي أمر شديد . ومنه صبارة
الشتاء بتخفيف الباء وتشديد الراء لشدة برده . وقيل هو مأخوذ من الجمع
والضم فالصابر يجمع نفسه ويضمها عن الهلع والجزع ومنه صبرة الطعام وصبارة
الحجارة . والتحقيق إن في الصبر المعاني الثلاثة المنع والشدة والضم . ويقال
صبر اذا أتى بالصبر ، وتصبر اذا تكلفه واستدعاه واصطبر اذا اكتسبه
وتعمله ، وصابر اذا وقف خصمه في مقام الصبر ، وصبر نفسه وغيره بالتشديد
اذا حملها على الصبر . واسم الفاعل صابر وصبار وصبور ومصابر ومصطبر .
فصابر من صابر ومصطبر من اصطبر وصابر من صبر وأما صبار وصبور فمن
اوزان المبالغة من الثلاثي كضراب وضروب والله أعلم

الباب الثاني

في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه

قد تقدم بيان معناه لغة . وأما حقيقته فهو خلق فاضل من اخلاق النفس
يتمتع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل . وهو قوة من قوى النفس التي بها
صلاح شأنها وقوام أمرها . وسئل عنه الجنيد بن محمد فقال « نجرع المرارة
من غير تعبس » وقال ذو النون « هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند
نجرع غصص البلية ، واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة » وقيل
« الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب » وقيل « هو الغنى في البلوى
بلا ظهور شكوى » وقال ابو عثمان « الصبار هو الذي عود نفسه الهجوم على
المكاره » وقيل « الصبر المقام على البلاء بحسن الصحة كالمقام مع العافية »
ومعنى هذا ان لله على العبد عبودية في عاقبته وفي بلائه فعليه ان يحسن صحبة
العافية بالشكر وصحبة البلاء بالصبر . وقال عمرو بن عثمان المكي « الصبر هو

الثبات مع الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة « ومعنى هذا انه يتلقى البلاء بصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى . وقال الخواص الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة » . وقال رويم « الصبر ترك الشكوى » فسر به بلازمه وقال غيره « الصبر هو الاستعانة بالله » وقال أبو علي « الصبر كاسمه » وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه « الصبر مطية لا تكبو » وقال أبو محمد الجري « الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما » قلت وهذا غير مقدور ولا مأمور ، فقد ركب الله الطباع على التفريق بين الحالتين وإنما المقدور حبس النفس عن الجزع لا استواء الحالتين عند العبد ، وساحة العافية أوسع للعبد من ساحة الصبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء المشهور « ان لم يكن بك غضب على فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي » ولا يناقض هذا قوله صلى الله عليه وسلم « وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر » فان هذا بعد نزول البلاء ليس للعبد أوسع من الصبر ، وأما قبله فالعافية أوسع له . وقال أبو علي الدقاق « حد الصبر أن لا يعترض على التقدير » فأما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال الله تعالى في قصة أيوب « انا وجدناه صابراً » مع قوله « مسنى الضر » قلت فسر اللفظة بلازمها .

وأما قوله على غير وجه الشكوى فالشكوى نوعان احدهما الشكوى الى الله فهذا لا ينافي الصبر كما قال يعقوب « انما أشكو بثي وحزني الى الله » مع قوله « فصبر جميل » وقال أيوب « مسنى الضر » مع وصف الله له بالصبر وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه « اللهم أشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي الخ » وقال موسى صلوات الله وسلامه عليه « اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بك » والنوع الثاني - شكوى المبتلى بلسان الحال أو المقال فهذه لا تجامع الصبر بل تضاده وتبطله فالفرق بين شكواه والشكوى اليه . وسنعود لهذه المسألة في باب اجتماع الشكوى والصبر واقتراعهما ان شاء الله تعالى

وقيل الصبر « شجاعة النفس » ومن هاهنا أخذ القائل قوله « الشجاعة صبر ساعة » وقيل الصبر ثبات القلب عند موارد الاضطراب « والصبر والجزع ضدان ولهذا يقابل أحدهما بالآخر قال تعالى عن أهل النار « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيض » والجزع قرين العجز وشقيقه والصبر قرين الكيس ومادته . فلو سئل الجزع من أبوك لقال العجز . ولو سئل الكيس من أبوك لقال الصبر . والنفس مطية العبد التي يسير عليها الى الجنة أو النار والصبر لها بمنزلة الختام والزمم للمطية . فان لم يكن للمطية ختام ولازم شردت في كل مذهب . وحفظ من خطب الحجاج « اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة الى كل سوء (١) فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاماً وزماماً فقادها بخطامها الى طاعة الله وصر فيها بزمامها عن معاصي الله فان الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه

قلت والنفس فيها قوتان قوة الاقدام وقوة الاحجام ، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الاقدام مصروفة الى ما ينفعه وقوة الاحجام امساکاً عما يضره . ومن الناس من تكون قوة صبره على فعل ما ينتفع به وثباته عليه أقوى من صبره عما يضره فيصبر على مشقة الطاعة ولاصبر له عن داعي هواه الى ارتكاب ما نهى عنه . ومنهم من تكون قوة صبره عن المخالفات أقوى من صبره على مشقة الطاعات . ومنهم من لا صبر له على هذا ولا على ذلك . وافضل الناس اصبرهم على النوعين فكثير من الناس يصبر على مكابدة قيام الليل في الحر والبرد وعلى مشقة الصيام ولا يصبر عن نظرة محرمة وكثير من الناس يصبر عن النظر وعن الالتفات الى الصور ولا صبر له على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بل هو اضعف شيء عن هذا واعجزه

(١) أورده ابن الاثير في النهاية عن الحجاج (اقدعوا هذه النفوس فانها أسأل شيء اذا اعطيت وامنع شيء اذا سئلت) أي كفوها عما تتطلع اليه من الشهوات ، ومنه حديث الحسن (اقدعوا هذه النفوس فانها طامة) . وفي البيان والتبيين للجاحظ (١ : ١٦٢ الطبعة الثانية) ؛ عن حفص قال سمعت عيسى بن عمر يقول سمعنا الحسن يقول اقدعوا هذه النفوس فانها طلعة . واعصوها فانكم ان اطعموها تزغ بكم الى غاية الشر وحادثوها بالذکر فانها سريرة الدثور

واكثرهم لا صبر له على واحد من الامرين واقلمهم اصبرهم في الموضوعين .
وقيل « الصبر ثبات باعث العقل و الدين في مقابلة باعث الهوى والشهوة »
ومعنى هذا ان الطبع يتقاضى ما يحب و باعث العقل و الدين يمنع منه ، و الحرب
قائمة بينهما و هو سجال و معرك هذا الحرب قلب العبد و الصبر و الشجاعة و الثبات

الباب الثالث

في بيان اسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه

لما كان الصبر المحمود هو الصبر النفساني الاختياري عن اجابة داعي
الهوى المذموم كانت مراتبه و اسماؤه بحسب متعلقه . فانه ان كان صبيرا عن شهوة
الفرج المحرمة سمي عفة و ضدها الفجور و الزنا و العهر ، و ان كان عن شهوة
البطن و عدم التسرع الى الطعام او تناول ما لا يجمل منه سمي
شرف نفس و شبع نفس و سمي ضده شرهاً و دناءة و وضاعة نفس ، و ان
كان عن اظهار ما لا يحسن اظهاره من الكلام سمي كتمان سر و ضده
اذاعة و افشاء او تهمة او فحشاء او سبا او كذبا او قذفا و ان كان عن
فضول العيش سمي زهدا و ضده حرصاً ، و ان كان على قدر يكفى من الدنيا
سمي قناعة و ضدها الحرص أيضاً ، و ان كان عن اجابة داعي الغضب سمي حلماً
و ضده تسرعاً . و ان كان عن اجابة داعي العجلة سمي وقاراً و ثباتاً و ضده طيشاً
و خفة . و ان كان عن اجابة داعي الفرار و الهرب سمي شجاعة و ضده جبناً
و خوراً . و ان كان عن اجابة داعي الانتقام سمي عفواً و صفحاً و ضده انتقاماً
و عقوبة . و ان كان عن اجابة داعي الامسك و البخل سمي جوداً و ضده بخلاً
و ان كان عن اجابة داعي الطعام و الشراب في وقت مخصوص سمي صوماً .
و ان كان عن اجابة داعي العجز و الكسل سمي كيساً . و ان كان عن اجابة داعي
إلقاء الكل على الناس و عدم حمل كلهم سمي مروءة . فله عند كل فعل و ترك
اسم يخصه بحسب متعلقه . و الاسم الجامع لذلك كله (الصبر) . و هذا يدل
على ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر من اولها الى آخرها . و هكذا يسمى عدلاً
اذا تعلق بالتسوية بين المتماثلين و ضده الظلم ، و يسمى سباحة اذا تعلق ببذل
الواجب و المستحب بالرضا و الاختيار . و على هذا جميع منازل الدين

الباب الرابع

في الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة

الفرق بين هذه الاسماء بحسب حال العبد في نفسه وحاله مع غيره ، فان حبس نفسه ومنعها عن اجابة داعي مالا يحسن ان كان خلاقا له وملكة سمي صبورا . وان كان بتكلف وتمرن وتجرع لمرارته سمي تصبرا كما يدل عليه هذا البناء لغة ، فانه موضوع للتكلف كالتحلم والتشجع والتكرم والتحمل ونحوها واذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له كما في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « ومن يصبر يتصبره الله » وكذلك العبد يتكلف التعفف حتى يصير التعفف (١) له سجية ، كذلك سائر الاخلاق وهي مسألة اختلف فيها الناس هل يمكن اكتساب واحد منها أو التخلق لا يصير خلقا أبدا ، كما قال الشاعر ،

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل
وقال آخر : يا أيها المتحلى غير شيمته إن التخلق يأتي دونه الخلق
وقال آخر : فقبیح التطبع شيمة المطبوع

قالوا وقد فرغ الله سبحانه من الخلق والخلق والرزق والاجل ، وقالت طائفة أخرى بل يمكن اكتساب الخلق كما يكتسب العقل والحلم والجود والسخاء والشجاعة والوجود شاهد بذلك . قالوا والمزاوالات تعطى الملكات ومعنى هذا أن من زاول شيئا واعتاده وتمرن عليه صار ملكة له وسجية وطبيعة قالوا والعوائد تنقل الطباع . فلا يزال العبد يتكلف التصبر حتى يصير الصبر له سجية كما أنه لا يزال يتكلف الحلم والوقار والسكينة والثبات حتى يصير له أخلاقا بمنزلة الطباع . قالوا وقد جعل الله سبحانه في الانسان قوة القبول والتعلم فنقل الطباع عن مقتضياتها غير مستحيل ، غير أن هذا الانتقال قد يكون ضعيفا فيعود العبد الى طبعه بأذنى باعث ، وقد يكون قويا ولكن

(١) وفي نسخة (العفاف) على ما في هامش الاصل

لم ينقل الطبع فقد يعود الى طبعه اذا قوى الباعث واشتد ، وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبه طبعا ثانيا ، فهذا لا يكاد يعود الى طبعه الذى انتقل عنه

وأما الاصطبار فهو أبلغ من التصبر فانه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب فالتصبر مبدأ الاصطبار كما أن التكسب مقدمة الاكتساب ، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطبارا

وأما المصابرة فهي مقاومة الخصم فى ميدان الصبر فانها مفاعلة تستدعى وقوعها بين اثنين كالمشاة والمضاربة . قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعكم تفلحون » فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر فى نفسه والمصابرة وهى حاله فى الصبر مع خصمه ، والمرابطة وهى الثبات و اللزوم والاقامة على الصبر والمصابرة . فقد يصبر العبد ولا يصابر وقد يصابر ولا يرباط وقد يصبر ويصابر ويرباط من غير تعبد بالتقوى . فأخبر سبحانه ان ملاك ذلك كله التقوى ، وان الفلاح موقوف عليها فقال « واتقوا الله لعكم تفلحون » فالمرابطة كما أنها لزوم الشجر الذى يخاف هجوم العدو منه فى الظاهر ففى لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فىزيله عن مملكته

الباب الخامس

فى انقسامه باعتبار محله

الصبر ضربان ضرب بدنى وضرب نفسانى . وكل منهما نوعان اختيارى واضطرابى ، فهذه أربعة أقسام .

الأول البدنى الاختيارى كتعاطى الاعمال الشاقة على البدن اختيارا و ارادة .

الثانى البدنى الاضطرابى كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات . والبرد والحرق وغير ذلك .

الثالث النفساني الاختياري كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله
شرعا ولا عقلا .

الرابع النفساني الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها قهرا اذا حيل
بينها وبينه

فاذا عرفت هذه الاقسام فهي مختصة بنوع الانسان دون البهائم ومشاركة
للبهائم في نوعين منها وهما صبر البدن والنفس الاضطراريين . وقد يكون
بعضها أقوى صبرا من الانسان ، وانما يتميز الانسان عنها بالنوعين
الاختياريين . وكثير من الناس تكون قوة صبره في النوع الذي
يشارك فيه البهائم لافي النوع الذي يخص الانسان فيعد صابرا وليس
من الصابرين .

فان قيل هل يشارك الجن الانس في هذا الصبر . قيل نعم هذا من لوازم
التكليف وهو مظنة الامر والنهي . والجن مكلفون بالصبر على الأوامر
والصبر عن النواهي كما كلفنا نحن بذلك ، فان قيل فهل هم مكلفون على
الوجه الذي كلفنا نحن به أم على وجه آخر . قيل ما كان من لوازم
النفوس كالحب والبغض والايمان والتصديق والموالاتة والمعاداة فنحن
وهم مستوون فيه . وما كان من لوازم الابدان كغسل الجنابة وغسل
الاعضاء في الوضوء والاستنجاء والختان وغسل الحيض ونحو ذلك فلا
تجب مساواتهم لنا في تكلفه ، وان تعلق ذلك بهم على وجه يناسب خلقهم
وحياتهم .

فان قيل فهل تشار كنا الملائكة في شيء من أقسام الصبر ، قيل الملائكة
لم يبتلوا بهوى يحارب عقولهم ومعارفهم ، بل العبادة والطاعة لهم كالنفس
لنا، فلا يتصور في حقهم الصبر الذي حقيقته ثبات باعث الدين والعقل في مقابلة
باعث الشهوة والهوى . وان كان لهم صبر يليق بهم وهو ثباتهم واقامتهم على
ما خلقوا له من غير منازعة هوى أو شهوة أو طبع

فالانسان منا اذا غلب صبره باعث الهوى والشهوة التحق بالملائكة ،

وان غلب باعث الهوى والشهوة صبره التحق بالشیاطین ، وان غلب باعث طبعه
من الاكل والشرب والجماع صبره التحق بالبهائم
قال قتادة خلق الله سبحانه الملائكة عقولا بلا شهوات . وخلق البهائم
شهوات بلا عقول . وخلق الانسان وجعل له عقلا وشهوة ، فمن غلب عقله
شهوته فهو مع الملائكة ، ومن غلبت شهوته عقله فهو كالبهائم . ولما خلق
الانسان فى ابتداء أمره ناقصا لم يخلق فيه الشهوة الغذاء الذى هو محتاج اليه ،
فصبره فى هذه الحال بمنزلة صبر البهائم وليس له قبل تمييزه قوة صبر الاختيار
فاذا ظهرت فيه شهوة اللعب استعد لقوة الصبر الاختيارى على ضعفها فيه .
فاذا تعالقت به شهوة النكاح ظهرت فيه قوة الصبر . واذا تحرك سلطان العقل وقوى
استعان بجيش الصبر ، ولكن هذا السلطان وجنده لا يستقلان بمقاومة سلطان
الهوى وجنده . فان إشراق نور الهداية يلوح عليه عند أول سن التمييز
وينمو على التدريج الى سن البلوغ كما يبدو خيط الفجر ثم يتزايد ظهوره
وكلها هداية قاصرة غير مستقلة بادراك مصالح الآخرة ومضارها بل غايتها
تعلقها ببعض مصالح الدنيا ومفاسدها . فاذا طلعت عليه شمس النبوة والرسالة
وأشرق عليه نورها رأى فى ضوءها تفاصيل مصالح الدارين ومفاسدهما فتلمح
العواقب ولبس لامة الحرب وأخذ أنزاع الاسلحة ووقع فى حومة الحرب بين
داعى الطبع والهوى وداعى العقل والهدى . والمنصور من نصره الله والمخذول
من خذله ، ولا تضع الحرب أوزارها حتى ينزل فى احدى المنزلتين ويصير الى
ما خلق له من الدارين

الباب السادس

فى بيان أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه

ومقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه

وباعث الدين بالاضافة الى باعث الهوى له ثلاثة أحوال .

أحدها - أن يكون القهر والغلبة لداعى الدين فيرد جيش الهوى مغلولا

وهذا إنما يصل إليه بدوام الصبر، والواصلون الى هذه الرتبة هم المنصورون في الدنيا والآخرة وهم الذين قالوا « ربنا الله ثم استقاموا » وهم الذين تقول لهم الملائكة عند الموت « ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة » وهم الذين نالوا معية الله مع الصابرين، وهم الذين جاهدوا في الله حق جهاده وخصهم بهدايته دون من عداهم .

الحالة الثانية — أن تكون القوة والغلبة لداعي الهوى فيسقط منازعه باعث الدين بالسلبية فيستسلم البائس للشيطان وجنده فيفقدونه حيث شاءوا وله معهم حلتان .. احدهما أن يكون من جندهم وأتباعهم وهذه حال العاجز الضعيف . الثانية أن يصير الشيطان من جنده وهذه حال الفاجر القوي المتسلط والمبتدع الداعية المتبوع كما قال القائل .

وكنت أمراً من جند ابليس فارتقى

في الحال حتى صار ابليس من جندي

فيصير ابليس وجنده من اعوانه واتباعه وهؤلاء هم الذين غلبت عليهم شقوتهم؛ واشتروا الحياة الدنيا بالآخرة . وإنما صاروا الى هذه الحال لما أفلسوا من الصبر . وهذه الحالة هي حالة جهد البلاء، ودرك الشقاء وسوء القضاء، وشماتة الأعداء، وجند أصحابها المكر والخداع والاماني الباطلة والغرور والتسوية بالعمل وطول الأمل وإيثار العاجل على الآجل . وهي التي قال في صاحبها النبي صلى الله عليه وسلم « العاجز من اتبع نفسه هراها وتمنى على الله الاماني » وأصحاب هذه الحال أنواع شتى فمنهم المحارب لله ورسوله، الساعى في ابطال ما جاء به الرسول، يصد عن سبيل الله ويبغيها جهده عوجاً وتحريفاً ليصد الناس عنها . ومنهم المعرض عما جاء به الرسول . المقبل على دنياه وشهواتها فقط . ومنهم المنافق ذو الوجهين ، الذي يأكل بالكفر والاسلام . ومنهم الماخذ المتلاعب الذي قطع أنفاسه بالمجون واللغو واللعب . ومنهم من اذا وعظ قال واشوقاه الى التوبة ولكنها قد تعذرت

على فلا مطمع لي فيها . ومنهم من يقول ليس الله محتاجا الى صلاتي وصيامي
وأنا لا أنجو بعملى والله غفور رحيم . ومنهم من يقول ترك المعاصى استهانة
بعفو الله ومغفرته

فكثر ما استطعت من الخطايا إذا كان القـدوم على كريم
ومنهم من يقول ماذا تقع طاعتي في جنب ما قد عملت ، وما ينفع الغريق
خلاص أصبعه وبقاى بدنه غريق ، ومنهم من يقول سوف أتوب ، وإذا جاء
الموت ونزل بساحتى تبت وقبلت توبتي . الى غير ذلك من أصناف المغترين
الذين صارت عقولهم في أيدي شهواتهم فلا يستعمل أحدهم عقله الا في دقائق
الحيل التي بها يتوصل الى قضاء شهوته ، فعقله مع الشيطان كالأسير في يد الكافر
يستعمله في رعاية الخنازير وعصر الخمر وحمل الصليب وهو بقهرة عقله وتسليمه
الى أعدائه عند الله بمنزلة رجل قهر مسلما وباعه للكفار وسلمه اليهم وجعله
أسيرا عندهم .

فصل

وهاهنا نكتة بديعة يجب التفطن لها ، وينبغي اخلاء القلب لتأملها وهو
أن هذا المغرور لما أذل سلطان الله الذي أعزه به وشرفه ورفع به قدره وسلمه
في يد ابغض أعدائه اليه . وجعله أسيرا له تحت قهره وتصرفه وسلطانه ، ساط
الله عليه من كان حقه هو أن يتسلط عليه فجعله تحت قهره وتصرفه وسلطانه
يسخره حيث شاء ويسخر منه ويسخر منه جنده وحزبه . فكما أذل سلطان
الله وسلمه الى عدوه أذله الله وسلط عليه عدوه الذي أمره أن يتسلط هو عليه
و يذله ويقهره فصار بمنزلة من سلم نفسه الى اعدى عدوله يسومه سوء العذاب ،
وقد كان بصدد أن يستأسره ويقهره ويشقى غيظه . منه فلما ترك مقاومته
ومحاربتة واستسلم له سلط عليه عقوبة له . قال الله تعالى «فاذا قرأت القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ، انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون» فان قيل فقد أثبت
له على أوليائه هاهنا سلطانا فكيف نفاه بقوله تعالى حاكيا عنه مقرراله

« وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي » وقال تعالى « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين ، وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك » قيل السلطان الذي أثبت له عليهم غير الذي نفاه من وجهين : أحدهما أن السلطان الثابت هو سلطان التمكن منهم وتلاعبه بهم وسوقه إياهم كيف اراد بتمكينهم إياه من ذلك بطاعته وموالاته ، والسلطان الذي نفاه سلطان الحجة فلم يكن لابليس عليهم من حجة يتسلط بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان . الثاني أن الله لم يجعل له عليهم سلطانا ابتداء البتة ، ولكن هم سلطوه على أنفسهم بطاعته ، ودخولهم في جملة جنده وحزبه ، فلم يستلطن عليهم بقوته فان كيده ضعيف ، وإنما تسلطن عليهم بارادتهم واختيارهم . والمقصود أن من قصد اعظم أوليائه وأحبابه ونصحائه فاخذه وأخذ أولاده وحاشيته وسلمهم إلى عدوه كان من عقوبته أن يسلم عليه ذلك العدو نفسه

فصل

الحالة الثالثة — أن يكون الحرب سجالا ودولا بين الجندين ؛ فتارة له وتارة عليه؛ وتكثر نوبات الانتصار وتقل ، وهذه حال أكثر المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

وتكون الحال يوم القيامة موازنة لهذه الأحوال الثلاث سواء بسواء، فمن الناس من يدخل الجنة ولا يدخل النار، ومنهم من يدخل النار ولا يدخل الجنة ، ومنهم من يدخل النار ثم يدخل الجنة . وهذه الأحوال الثلاث هي أحوال الناس في الصحة والمرض . فمن الناس من تقاوم قوته داءه فتتمهره ويكون السلطان للقوة . ومنهم من يقهر دأؤه قوته ويكون السلطان للداء . ومنهم من الحرب بين داءه وقوته نوباً فهو متردد بين الصحة والمرض

فصل

ومن الناس من يصبر بجهد ومشقة . ومنهم من يصبر بأدنى حمل على النفس . ومثال الأول كرجل صارع رجلا شديدا فلا يقهره الا بتعب ومشقة . والثاني كمن صارع رجلا ضعيفا فانه يصرعه بغير مشقة . فهكذا تكون المصارعة بين جنود الرحمن وجنود الشيطان ، ومن صرع جند الشيطان صرع الشيطان . قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه « لقي رجل من الانس رجلا من الجن فصارعه فصرعه الانسى فقال ما لى اراك ضيلا فقال انى من بينهم لضليع » فقالوا هو عمر بن الخطاب فقال « من تروته غير عمر » وقال بعض الصحابة « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بغيره فى السفر » وذكر ابن أبى الدنيا عن بعض السلف أن شيطانا لقي شيطانا فقال ما لى اراك شخيا . فقال انى مع رجل ان أكل ذكر اسم الله فلا آكل معه ، وان شرب ذكر اسم الله فلا أشرب معه ، وان دخل بيته ذكر اسم الله فأيدت خارج الدار . فقال الآخر لكننى مع رجل ان أكل لم يسم الله فأكل أنا وهو جميعا . وان شرب لم يسم الله فأشرب معه ، وان دخل داره لم يسم الله فأدخل معه ، وان جامع أمرأته لم يسم الله فاجامعها . فمن اعتاد الصبر هابه عدوه ومن عز عليه الصبر طمع فيه عدوه وأوشك أن ينال منه غرضه

الباب السابع

فى ذكر أقسامه باعتبار متعلقه

الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام . صبر على الاوامر والطاعات حتى يؤديها . وصبر عن المناهى والمخالفات حتى لا يقع فيها . وصبر على الاقدار والاقضية حتى لا يتسخطها . وهذه الانواع الثلاثة هى التى قال فيها الشيخ عبد القادر فى فتوح الغيب « لا بد للعبد من أمر يفعلها ، ونهى يجتنبها ، وقدر يصبر عليه »

وهذا الكلام يتعلق بطرفين طرف من جهة الرب تعالى وطرف من جهة العبد.

فأما الذي من جهة الرب فهو أن الله تعالى له على عبده حكمان حكم شرعي ديني وحكم كوني قدرى . فالشرعي متعلق بأمره والكوني متعلق بخلقه ، وهو سبحانه له الخلق والأمر . وحكمه الديني الطلبي نوعان بحسب المطلوب . فان المطلوب ان كان محبوبا له فالمطلوب فعله إما واجبا وإما مستحبا ، ولا يتم ذلك الا بالصبر . وان كان مبغوضا له فالمطلوب تركه إما تحريماً وإما راحة ، وذلك أيضا موقوف على الصبر . فهذا حكمه الديني الشرعي . وأما حكمه الكوني فهو ما يقضيه ويقدره على العبد من المصائب التي لا صنع له فيها . ففرضه الصبر عليها . وفي وجوب الرضا بها قولان للعلماء وهما وجهان في مذهب أحمد . أصحهما أنه مستحب . فمرجع الدين كله الى هذه القواعد الثلاث . فعمل المأمور ، وترك المحذور ، والصبر على المقدور .

وأما الذي من جهة العبد فانه لا ينفك عن هذه الثلاث مادام مكلفاً ، ولا تسقط عنه هذه الثلاث حتى يسقط عنه التكليف . فقيام عبودية الامر والنهي والقدر على ساق الصبر لا تستوى الا عليه كما لا تستوى السنبلة الا على ساقها

فالصبر متعلق بالمأمور والمحذور والمقدور بالخلق والامر، والشيخ دائماً يحوم حول هذه الاصول الثلاثة ، كقوله يابني افعل المأمور واجتنب المحذور واصبر على المقدور . وهذه الثلاثة هي التي أوصى بها لقمان لابنه في قوله يابني « أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك » فأمره بالمعروف يتناول فعله بنفسه وأمر غيره به ، وكذلك نهيه عن المنكر . أما من حيث اطلاق اللفظ فتدخل نفسه وغيره فيه ، وأما من حيث اللزوم الشرعي فان الامر الناهي لا يستقيم له أمره ونهيه حتى يكون أول مأمور ، ونهيه . وذكر سبحانه هذه الاصول الثلاثة في قوله « انما يتذكر أولو الالباب، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر

الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . والذين صبروا
ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويذرون
بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار » فجمع لهم مقامات الاسلام والايمان
في هذه الاوصاف فوصفهم بالوفاء بعهد الذي عاهدتهم عليه ، وذلك يعم أمره
ونهيته الذي عهده اليهم بينهم وبينه وبينهم وبين خلقه ، ثم أخبر عن استمرارهم
بالوفاء به بأنهم لا يقع منهم نقضة ثم وصفهم بأنهم يصلون ما أمر الله به أن يوصل .
و يدخل في هذا ظاهر الدين و باطنه و حق الله و حق خلقه . فيصلون ما بينهم وبين
ربهم بعبوديته وحده لا شريك له ، والقيام بطاعته والا نابة اليه والتوكل عليه
وحبه وخوفه ورجائه والتوبة اليه والاستكانة له والخضوع والذلة والافتراق
له بنعمته وشكره عليها والاقرار بالخطيئة والاستغفار منها ، فهذه هي الوصلة
بين الرب والعبد . وقد أمر الله بهذه الاسباب التي بينه وبين عبده أن توصل .
وأمر أن يوصل ما بيننا وبين رسوله بالايمان به وتصديقه وتحكيمه في كل شيء
والرضا لحكمه والتسليم له وتقديم محبته على محبة النفس والولد والوالد والناس
أجمعين ، صلوات الله وسلامه عليه ، فدخل في ذلك القيام بحقه وحق رسوله .
وأمر أن نصل ما بيننا وبين الوالدين والاقربين بالبر والصلة ، فانه أمر ببر
الوالدين وصلة الارحام وذلك مما أمر به أن يوصل . وأمر أن نصل ما بيننا
وبين الزوجات بالقيام بحقوقهن ومعاشرتهم بالمعروف . وأمر أن نصل ما بيننا
وبين الارقاء بأن نطعمهم مما نأكل ونكسوهم مما نكتسى ولا نكلفهم فوق
طاقتهم ، وأن نصل ما بيننا وبين الجار القريب والبعيد بمراعاة حقه وحفظه
في نفسه وماله وأهله بما نحفظ به نفوسنا وأهلينا وأموالنا . وأن نصل ما بيننا
وبين الرفيق في السفر والحضر . وأن نصل ما بيننا وبين عموم الناس بأن
نأتى اليهم ما نحب أن يأتوه الينا وأن نصل ما بيننا وبين الحفظة الكرام الكلتين
بأن نكرمهم ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جلسه ومن هو معه ممن
يجله ويكرمه . فهذا كله مما أمر الله به أن يوصل . ثم وصفهم بالحامل لهم على
هذه الصلة وهو خشيته وخوف سوء الحساب يوم المآب . ولا يمكن لاحد قط
أن يصل ما أمر الله بوصله الا بخشيته ، ومتى ترحلت الخشية من القلب انقطعت

هذه الوصل . تم جمع لهم سبحانه ذلك كله في أصل واحد هو أخية ذلك (١) وقاعته ومداره الذي يدور عليه وهو الصبر فقال « والذين صبروا ابتغاه وجه ربهم » فلم يكتف منهم بمجرد الصبر حتى يكون خالصا لوجهه . ثم ذكر لهم ما يعينهم على الصبر وهي الصلاة فقال « وأقاموا الصلاة » وهذان هما العونان على مصالح الدنيا والآخرة وهما الصبر والصلاة . فقال تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الاعلى الخاشعين » وقال « يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين » ثم ذكر سبحانه احسانهم الى غيرهم بالانفاق عليهم سرا وعلانية فأحسنوا الى أنفسهم بالصبر والصلاة والى غيرهم بالانفاق عليهم . ثم ذكر حالهم اذا جهل عليهم وأوذوا انهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرأون بالحسنة السيئة فيحسنون الى من يسىء اليهم فقال « ويدرأون بالحسنة السيئة » وقد فسر هذا الدرء بانهم يدفعون بالذنب الحسنة بعده كما قال تعالى « ان الحسنة تذهب السيئات » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « اتبع السيئة الحسنة تمحها » والتحقيق ان الآية تعم النوعين . والمقصود ان هذه الآيات تناولت مقامات الاسلام والايمان كلها ، اشتملت على فعل المأمور وترك المحذور والصبر على المقدور . وقد ذكر تعالى هذه الاصول الثلاثة في قوله « بلى ان تصبروا وتتقوا » وقوله « انه من يتق ويصبر » وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورا بظوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فكل موضع قرن فيه التقوى بالصبر اشتمل على الامور الثلاثة فان حقيقة التقوى فعل المأمور وترك المحذور

الباب الثامن

في انقسامه باعتبار تعلق الاحكام الخمسة به

وهو ينقسم بهذا الاعتبار الى واجب ومندوب ومحذور ومكروه ومباح

(١) قال ابن الاثير في النهاية (في مادة أخا) . الاخية بالمد والتشديد حيل أو عويد يعرض في لحاظ ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة وتشد فيه الدابة . وجمعها الاواخي مشددا والاخايا على غير قياس

فالصبر الواجب ثلاثة أنواع أحدها الصبر على المحرمات ، والثاني الصبر على أداء الواجبات ، والثالث الصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالامراض والفقر وغيرها

وأما الصبر المندوب فهو الصبر عن المكروهات ، والصبر على المستحبات والصبر على مقابلة الجاني بمثل فعله

وأما المحظور فأنواع : أحدها الصبر على الطعام والشراب حتى يموت وكذلك الصبر على الميتة ولحم الخنزير عند الخمصة حرام اذا خاف بتركه الموت ، قال طاوس وبعده الامام احمد « من اضطر الى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النار »

فان قيل فما تقولون في الصبر عن المسألة في هذه الحال ، قيل اختلف في حكمه هل هو حرام أو مباح على قولين هما لاصحاب أحمد وظاهر نصهما ان الصبر عن المسألة جائز . فانه قيل له اذا خاف ان لم يسأل أن يموت ، فقال لا يموت يأتيه الله برزقه ، أو كما قال . فأحمد منع وقوع المسألة ومتى علم الله ضرورته وصدقه في ترك المسألة قيص الله له رزقا . وقال كثير من أصحاب أحمد والشافعي : يجب عليه المسألة وان لم يسأل كان عاصيا لان المسألة تضمن نجاته من التلف

فصل

ومن الصبر المحظور صبر الانسان على ما يقصد هلاكه من سبع أو حيات أو حريق أو ماء أو كافر يريد قتله ، بخلاف استسلامه وصبره في الفتنة وقتال المسلمين فانه مباح له بل يستحب كما دلت عليه النصوص الكثيرة ، وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه المسألة بعينها فقال « كن كخير ابني آدم » (١) وفي لفظ « كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل » وفي لفظ « دعه يبوء بأثمه وإثمك » وفي لفظ آخر « فان بهرك شعاع السيف فضع يدك على وجهك »

(١) أراد هابيل الذي قتل أخوه قابيل :

وقد حكى الله استسلام خير ابني آدم وأثني عليه بذلك . وهذا بخلاف قتل الكافر فإنه يجب عليه الدفع عن نفسه لأن من مقصود الجهاد أن يدفع عن نفسه وعن المسلمين وأما قتال اللصوص فهل يجب فيه الدفع أو يجوز فيه الاستسلام فإن كان عن معصوم غيره (١) وجب . وإن كان عن نفسه فظاهر نصوصه أنه لا يجب الدفع ، وأوجب بعضهم . ولا يجوز الصبر على من قصده أو حرّمته بالفاحشة

فصل

وأما الصبر المكروه فله أمثلة . أحدها أن يصبر عن الطعام والشراب واللبس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه ، الثاني صبره عن جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به ، الثالث صبره على المكروه ، الرابع صبره عن فعل المستحب

فصل

وأما الصبر المباح فهو الصبر عن كل فعل مستوًى الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه .

وبالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام . والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام . والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه . والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه . والصبر عن المباح مباح والله أعلم

الباب التاسع

في بيان تفاوت درجات الصبر

الصبر كما تقدم نوعان اختياري واضطراري . والاختياري أكمل من الاضطراري فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري . ولذلك كان صبر يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم عن مطاوعة

(١) المعصوم هنا من عصم الله دمه من الأبرياء

امرأة العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من أخوته لما ألقوه في الجب وفرقوا بينه وبين أبيه وباعوه ببيع العبد. ومن الصبر الثاني انشاء الله سبحانه له ما أنشأه من العز والرفعة والملك والتمكين في الأرض. وكذلك صبر الخليل صلى الله عليه وسلم والكليم وصبر نوح وصبر المسيح وصبر خاتم الانبياء وسيد ولد آدم عليهم الصلاة والسلام كان صبراً على الدعوة الى الله ومجاهدة أعداء الله. ولهذا سماهم الله أولى العزم وأمر رسوله أن يصبر صبرهم فقال: « فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » وأولو العزم هم المذكورون في قوله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى » وفي قوله « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى » كذلك قال ابن عباس وغيره من السلف ونهاه سبحانه أن يتشبه بصاحب الحوت حيث لم يصبر صبر أولى العزم « فقال فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم »

وها هنا سؤال نافع وهو أن يقال ما العامل في الظرف وهو قوله (اذ نادى) ولا يمكن أن يكون الفعل المنهى عنه، اذ يصير المعنى لا تكن مثله في ندائه وقد أثبت الله سبحانه عليه في هذا النداء فأخبر أنه نجاه به فقال « وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانه انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » وفي الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « دعوة أخى ذى النون اذ دعا بها في بطن الحوت ، مادعا بها مكروب الا فرج الله عنه : لا اله الا أنت سبحانه انى كنت من الظالمين » فلا يمكن أن ينهى عن التشبه به في هذه الدعوة وهى النداء الذى نادى به ربه ، وإنما نهى عن التشبه به فى السبب الذى أفضى به الى هذه المناداة وهى مغاضبته التى أفضت به الى حبسه فى بطن الحوت وشدة ذلك عليه حتى نادى ربه وهو مكظوم والكظيم والكظيم الذى قد امتلأ غيظاً وغضباً وهماً وحرناً وكظم عليه فلم يخرج به . فان قيل وعلى ذلك

فما العامل في الظرف ، قيل ما في صاحب الحوت من معنى الفعل ، فان قيل فالسؤال بعد قائم فانه اذا قيد المنهى بقيد أو زمن كان داخلاً في حيز النهي . فان كان المعنى لا تكن مثل صاحب الحوت في هذه الحال أو هذا الوقت كان نهياً عن تلك الحالة . قيل لما كان نداؤه مسيئاً عن كونه صاحب الحوت فنهى أن يشبهه به في الحال التي أفضت به الى صحبته الحوت والنداء وهي ضعف العزيمة والصبر لحكمه تعالى ولم يقل تعالى ولا تكن كصاحب الحوت اذ ذهب مغاضباً فالتقمة الحوت فنادى بل طوى القصة واختصرها وأحال بها على ذكرها في الموضوع الآخر واكتفى بغايتها وما انتهت اليه . فان قيل فما منعك بتعويض الظرف بنفس الفعل المنهى عنه أي لا تكن مثله في نداءه وهو مبتلى غيظاً وهما وغماً بل يكون نداؤك نداء راض بما قضى عليه قد تلقاه بالرضا والتسليم وسعة الصدر لانداء كظيم . قيل هذا المعنى وان كان صحيحاً إلا أن النهي لم يقع عن التشبه به في مجردة وانما نهى عن التشبه به في الحال التي حملته على ذهابه مغاضباً حتى سجن في بطن الحوت ، ويدل عليه قوله تعالى « فاصبر لحكم ربك » ثم قال « ولا تكن كصاحب الحوت » أي في ضعف صبره لحكم ربه فان الحالة التي نهى عنها هي ضد الحالة التي أمر بها . فان قيل فما منعك أن تصبر حيث أمر بالصبر لحكمه الكوني القدرى الذي يقدره عليه ولا تكن كصاحب الحوت حيث لم يصبر عليه بل نادى وهو كظيم لكشفه فلم يصبر على احتماله والسكون تحته . قيل منع من ذلك أن الله سبحانه أثنى على يونس وغيره من أنبيائه بسؤالهم اياه كشف ما بهم من الضر ، وقد أثنى عليه سبحانه بذلك في قوله « وذا النون اذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له فنجيناها من الغم وكذلك ننجي المؤمنين » فكيف ينهى عن التشبه به فيما يثنى عليه ويمدحه به ، وكذلك أثنى على أيوب بقوله « مسه الضر و أنت أرحم الراحمين » وعلى يعقوب بقوله « انما أشكو بثى وحزنى الى الله » وعلى موسى بقوله « رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » وقد شكوا اليه خاتم أنبيائه ورسله بقوله « اللهم أشكو اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى » الحديث فالشكوى

اليه سبحانه لا تنافي الصبر الجزيل بل اعراض عبده عن الشكوى الى غيره
جملة وجعل الشكوى اليه وحده هو الصبر . والله تعالى يبتلي عبده ليعلم شكواه
وتضرعه ودعاءه ، وقد ذم سبحانه من لم يتضرع اليه ولم يستكن له وقت البلاء
كما قال تعالى « ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون » والعبد
أضعف من أن يتجلد على ربه والرب تعالى لم يرد من عبده أن يتجلد عليه بل
أراد منه أن يستكين له ويتضرع اليه . وهو تعالى يمقت من يشكوه الى خلقه
ويحب من يشكو ما به اليه . وقيل لبعضهم كيف تشتكى اليه ما ليس يخفى عليه
فقال ربي يرضى ذل العبد اليه

والمقصود أنه سبحانه أمر أن يصبر صبر أولى العزم الذين صبروا لحكمه
اختيارا وهذا أكمل الصبر . ولهذا دارت قصة الشفاعة يوم القيامة على هؤلاء
حتى ردها الى أفضلهم وخيرهم وأصبرهم لحكم الله صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين .

فان قيل أى أنواع الصبر الثلاثة أكمل : الصبر على المأمور أم الصبر عن
المحذور أم الصبر على المقدور . قيل الصبر المتعلق بالتكليف وهو الامر والنهي
أفضل من الصبر على مجرد القدر فان هذا الصبر يأتى به البر والفاجر ، والمؤمن
والكافر . فلا بد لكل أحد من الصبر على القدر اختيارا أو اضطرارا . وأما
الصبر على الاوامر والنواهي فصبر اتباع الرسل ، وأعظمهم اتباعا أصبرهم في
ذلك وكل صبر في محله وموضعه أفضل : فالصبر عن الحرام فى محله أفضل .
وعلى الطاعة فى محلها أفضل .

فان قيل أى الصبرين أحب الى الله صبر من يصبر على أوامره أم صبر
من يصبر عن محارمه ، قيل هذا موضع تنازع فيه الناس . فقالت طائفة
الصبر عن المخالفات أفضل لأنه أشق وأصعب فان أعمال البر يفعلها البر
والفاجر ولا يصبر عن المخالفات الا الصديقون . قالوا ولأن الصبر عن
المحرمات صبر على مخالفة هوى النفس وهو أشق شيء وأفضله . قالوا ولأن ترك
المحبوب الذى تحبه النفوس دليل على أن من ترك لاجله أحب اليه من نفسه

وهو ان يخلاف فعل ما يحبه المحبوب فانه لا يستلزم ذلك . قالوا وايضاً فالمروءة
والفتوة كلها في هذا الصبر . قال الامام أحمد « الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى »
فمروءة العبد وقتوته بحسب هذا الصبر ، قالوا وليس العجب ممن يصبر على
الأوامر فان أكثرها محبوبات للنفوس السليمة لما فيها من العدل والأحسان
والإخلاص والبر وهذه محاب للنفوس الفاضلة الزكية ، بل العجب ممن يصبر
عن المناهي التي أكثرها محاب للنفوس فيترك المحبوب العاجل في هذه الدار
للمحبيب الآجل في دار أخرى . والنفس موكلة بحب العاجل فصبرها عنه
مخالف لطبعها . قالوا ولأن المناهي لها أربعة دواع تدعو اليها : نفس الإنسان
وشيطانه وهواه ودينه . فلا يتركها حتى يجاهد هذه الأربعة وذلك أشق شيء
على النفوس وأمره قالوا فالمناهي من باب حمية النفوس عن مشتبهاتها ولذاتها ،
والحمية مع قيام داعي التناول وقوته من أصعب شيء وأشقه . قالوا ولذلك
كان باب قربان النهي مسدوداً كله . وباب الأمر انما يفعل منه المستطاع
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « اذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم
وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » فدل على أن باب المنهيات أضيق من باب
المأمورات وانه لم يرخص في ارتكاب شيء منه كما رخص في ترك بعض
المأمورات للعجز والعذر . قالوا ولهذا كانت عامة العقوبات من الحدود
وغيرها على ارتكاب المنهيات بخلاف ترك المأمور فان الله سبحانه لم يرتب
عليه حداً معيناً فاعظم المأمورات الصلاة وقد اختلف العلماء ، هل على
تاركها حد أم لا .

فصل

فهذا بعض ما احتجت به هذه الطائفة . وقالت طائفة أخرى بل الصبر
على فعل المأمور أفضل وأجل من الصبر على ترك المحذور ، لان فعل المأمور
أحب الى الله من ترك المحذور ، والصبر على أحب الامرين أفضل واعلى
وبيان ذلك من وجوه . أحدها أن فعل المأمور مقصود لذاته فهو مشروع

شرع المقاصد . فان معرفة الله وتوحيده وعبوديته وحده والابانة اليه والتوكل
 عليه واخلاص العمل له ومحبته والرضا به والقيام في خدمته هو الغاية التي
 خلق لها الخلق وثبت بها الأمر وذلك أمر مقصود لنفسه . والمنهيات انما نهى
 عنها لانها صادرة عن ذلك أو شاغلة عنه أو مفوتة لكمالها ، ولذلك كانت درجاتها في
 النهى بحسب صدها عن المأمور وتعويقها عنه وتفويتها لكمالها فهي مقصودة
 لغيرها والمأمور مقصود لنفسه . فلو لم يصد الخمر والميسر عن ذكر الله
 وعن الصلاة وعن التوادر والتحاب الذي وضعه الله بين عباده لما حرمه
 وكذلك لو لم يحل بين العبد وبين عقله الذي به يعرف الله ويعبده ويحمده
 ويمجده ويصلي له ويسجد لما حرمه . وكذلك سائر ما حرمه انما حرمه لانه
 يصد عما يحبه ويرضاه ، يحول بين العبد وبين إكمالها ، الثاني إن المأمورات
 متعلقة بمعرفة الله وتوحيده وعبادته وذكره وشكره ومحبته والتوكل عليه
 والابانة اليه ، فتعلقها ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته . ومتعلق المنهيات
 ذوات الأشياء المنهية عنها والفرق من أعظم ما يكون . الثالث إن ضرورة العبد
 وحاجته الى فعل المأمور أعظم ما يكون . الثالث إن ضرورة العبد وحاجته
 الى فعل المأمور أعظم من ضرورته الى ترك المحذور فإنه ليس الى شيء أضر
 وأحوج وأشد فاقة منه الى معرفة ربه وتوحيده واخلصاص العمل له وافراده
 بالعبودية والمحبة والطاعة . وضرورته الى ذلك أعظم من ضرورته الى نفسه ،
 ونفسه وحياته أعظم من ضرورته الى غذائه الذي به قوام بدنه ، بل هذا
 لقلبه وروحه كالحياة والغذاء لبدنه . وهو انما هو انسان بروحه وقلبه لا يبدنه
 وقاله كما قيل .

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته فانت بالقلب لا بالجسم انسان
 وترك المنهى انما شرع له تحصيلاً لهذا الأمر الذي هو أضر شيء وأحوج
 وأفقره اليه . الرابع إن ترك المنهى من باب الحمية وفعل المأمور من باب
 حفظ القوة والغذاء الذي لا تقوم البنية بدونه ، ولا تحصل الحياة الا به . فقد
 يعيش الانسان مع تركه الحمية وان كان بدنه عليلاً أشد ما يكون علة ولا

يعيش بدون القوة والغذاء الذي يحفظها فهذا مثل المأمورات والمنهيات. الخامس
إن الذنوب كلها ترجع الى هذين الاصلين ترك المأمور وفعل المحذور. ولو فعل
العبد المحذور كله من أوله الى آخره حتى أتى من مأمور الايمان بأدنى أدنى
مثقال ذرة منه نجا بذلك من الخلود في النار. ولو ترك كل محذور ولم يأت
بمأمور الايمان لكان مخلداً في السعير. فإين شيء مثاقيل الذر منه تخرج من
النار، الى شيء وزن الجبال منه اضعافاً مضاعفة تقتضى الخلود في النار، مع
وجود ذلك المأمور أو أدنى شيء منه. السادس إن جميع المحظورات من أولها
الى آخرها تسقط بمأمور التوبة. ولا تسقط المأمورات كلها معصية المخالفة
الا بالشرك أو الوفاة عليه، ولا خلاف بين الامة ان كل محذور يسقط بالتوبة
منه واختلفوا هل تسقط الطاعة بالمعصية؛ وفي المسألة نزاع وتفصيل ليس هذا
موضعه. السابع إن ذنب الأب كان بفعل المحذور فكان عاقبته ان اجتباه
ر به فتاب عليه وهدى، وذنوب ابليس كان بترك المأمور فكان عاقبته ما ذكر
الله سبحانه وجعل هذا عبرة للذرية الى يوم القيامة. الثامن إن المأمور
محبوب الى الرب والمنهى مكروه له وهو سبحانه إنما قدره وقضاه لانه
ذريعة الى حصول محبوه من عبده ومن نفسه تعالى. أما من عبده فالتوبة
والاستغفار والخضوع والذل والانكسار وغير ذلك، وأما من نفسه فبالغفرة
التوبة على العبد والعفو عنه والصفح والحلم والتجاوز عن حقه وغير ذلك
مما هو أحب اليه تعالى من فواته بعدم تقدير ما يكرهه، وإذا كان إنما قدر
ما يكرهه لانه يكون وسيلة الى ما يحبه؛ علم أن محبوه هو الناية فقوات
محبوه أبغض اليه واكره له من حصول مبغوضه، بل اذا ترتب على حصول
مبغوضه ما يحبه من وجه آخر كان المبغوض مراداً له ارادة الوسائل كما كان
المنهى عنه وكرهته لذلك. وأما المحبوب فمراده ارادة المقاصد كما تقدم
فهو سبحانه إنما خلق الخلق لاجل محبوه ومأموره وهو عبادته وحده كما قال
تعالى، وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون، وقدر مكروهه ومبغوضه تكميلاً
لهذه الغاية التي خلق خلقه لاجلها فانه ترتب عليه من المأمورات ما لم يكن يحصل

بدون تقديره كالجهاد الذي هو أحب العمل اليه والموالاته فيه والمعاداة فيه ولولا محبته لهذه المأمورات لما قدر من المكروه له ما يكون سبباً لحصولها . التاسع إن ترك المحذور لا يكون قرينة مالم يقارنه فعل المأمور فلو ترك العبد كل محذور لم يثبه الله عليه حتى يقارنه مأمور الايمان ، وكذلك المؤمن لا يكون تركه المحذور قرينة حتى يقارنه ما مور النية بحيث يكون تركه لله . فافتقر ترك المنهيات بكونه قرينة يثاب عليها الى فعل المأمور ولا يفتقر فعل المأمور في كونه قرينة وطاعة الى ترك المحذور ، ولو افتقر اليه لم يقبل لله طاعة من عصاه أبداً وهذا من أبطال الباطل . العاشر إن المنهى عنه مطلوب اعدامه والمأمور مطلوب ايجاده والمراد ايجاد هذا وإعدام ذلك . فاذا قدر عدم الامرين أو وجودهما كان وجودهما خير من عدمهما فانه إذا عدم المأمور لم ينفع عدم المحذور . واذا وجد المأمور فقد يستعان به على دفع المحذور أو دفع أثره فوجود القوة والمرض خير من عدم الحياة والمرض . الحادى عشر إن باب المأمور الحسنه فيه بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة و باب المحذور السيئه فيه بمثلها وهي بصد الزوال بالتوبة والاستغفار والحسنه الماحية والمصيبه المكفرة واستغفار الملائكة للمؤمنين واستغفار بعضهم لبعض وغير ذلك ، وهذا يدل على أنه أحب الى الله من عدم المنهى . الثانى عشر إن باب المنهيات يحو الله سبحانه ويبطل أثره بأمر عديده من فعل العبد وغيره ، فانه يبطله بالتوبه النصوح وبالاستغفار وبالחסنات الماحية والمصائب المكفرة وباستغفار الملائكة وبدعاء المؤمنين . فهذه ستة فى حال حياته وبتشديد الموت وكرهه وسياقه عليه فهذا عند مفارقتة الدنيا وبهول المطالع وروعة الملاكين فى القبر وضغطته وعصرتة له وشدة الموقف وعنائته وصعوبته وبشفاعة الشافعين فيه وبرحمة أرحم الراحمين له . فان عجزت عنه هذه الأمور فلا بدله من دخول النار ويكون لبثه فيها على قدر بقاء خبثه ودرنه فان الله حرم الجنة الا على كل طيب فما دام درنه ووسخه وخبثه فيه فهو فى كبر التطهير حتى يتصفى من ذلك الوسخ والخبث . وأما باب المأمورات فلا يبطله الا الشرك . الثالث عشر إن جزء المأمورات الثواب وهو من باب الاحسان والفضل والرحمة وجزء المنهيات

العقوبة وهي من باب الغضب والعدل ، ورحمته سبحانه تغلب غضبه ، فاتعلق
 بالرحمة والفضل أحب إليه مما تعلق بالغضب والعدل . وتعطيل ما تعلق بالرحمة
 أكره إليه من فعل ما تعلق بالغضب . الرابع عشر إن باب المنهيات تسقط الآلاف
 المؤلفة منه الواحدة من المأمورات وباب المأمورات لا يسقط الواحدة منه
 الآلاف المؤلفة من المنهيات . الخامس عشر إن متعلق المأمورات الفعل وهو
 صفة ، كال بل كمال المخلوق بنفعه فإنه فعَلْ فكمَل . ومتعلق المنهى الترك
 والترك عدم ومن حيث هو كذلك لا يكون كمالاً فإن عدم المحض ليس بكمال
 وإنما يكون كمالاً لما يتضمنه أو يستلزمه من الفعل الوجودي الذي هو سبب
 الكمال وإما أن يكون مجرد الترك الذي هو عدم محض كالأ أو سبباً للكمال
 فلا . مثال ذلك لو ترك السجود للصائم لم يكن كماله في مجرد هذا الترك ما لم
 يسجد لله ، والا فلو ترك السجود لله وللصائم لم يكن ذلك كمالاً ، وكذلك لو
 ترك تكذيب الرسول ومعاداته لم يكن بذلك مؤمناً ما لم يفعل ضد ذلك
 من التصديق والحب وموالاته وطاعته . فعلم أن الكمال كله في المأمور وإن
 المنهى ما لم يتصل به فعل المأمور لم ينفذ شيئاً ولم يكن كمالاً . فإن الرجل لو مال
 للرسول لا أكذبك ولا أصدقك ولا أواليك ولا أعاديك ولا أحاربك
 ولا أحارب من يحاربك لكان كافراً ، ولم يكن مؤمناً بترك معاداته وتكذيبه
 ومحاربه ما لم يأت بالفعل الوجودي الذي أمر به : السادس عشر إن العبد إذا
 أتى بالمأمور به على وجه ترك المنهى عنه ولا بد فالمقصود إنما هو فعل المأمور
 ومع فعله على وجه يتعذر فعل المنهى فالمنهى ، عنه في الحقيقة هو تعريض
 المأمور للاضاعة . فأن العبد إذا فعل ما أمر به من العدل والعفة وامتنع من
 صدور الظلم والفواحش منه ، فنفس العدل يتضمن ترك الظلم ، ونفس العفة
 تتضمن ترك الفواحش ، فدخل ترك المنهى عنه في المأمور به ضمناً وتبعاً .
 وليس كذلك في عكسه فإن ترك المحذور لا يتضمن فعل المأمور فإنه قد
 يتركها معاً كما تقدم . فعلم أن المقصود هو إقامة الأمر على وجهه ، ومع ذلك
 لا يمكن ارتكاب المنهى البتة ، وأما ترك المنهى عنه فإنه يستلزم إقامة الأمر .
 السابع عشر إن الرب تعالى إذا أمر عبده بأمر ونهاه عن أمر ففعله جميعاً كان

قد حصل محبوب الرب وبعيضة فقد تقدم له من محبوبه ما يدفع عنه شر بعيضة
 ومقاومته، ولا سيما اذا كان فعل ذلك المحبوب احب اليه من ترك ذلك البغيض
 فيهب له من جنائته ما فعل من هذا بطاعته ويتجاوز له عما فعل من الآخر .
 ونظير هذا في الشاهد أن يقتل الرجل عدوا للملك هو حريص على قتله
 وشرب مسكرا نهاه عن شربه فانه يتجاوز له عن هذه الزلة بل عن أمثالها في
 جنب ما أتى به من محبوبه. واما اذا ترك محبوبه وبعيضة فانه لا يقوم ترك بعيضة
 بمصلحة فعل محبوبه أبدا كما اذا أمر الملك عبده بقتل عدوه ونهاه عن شرب
 مسكر فعصاه في قتل عدوه مع قدرته عليه وترك شرب المسكر فان الملك لا يهب
 له جرمة بترك أمره في جنب ترك ما نهاه عنه ، وقد فطر الله عباده على هذا .
 فهكذا السادات مع عبيدهم والآباء مع أولادهم والملاك مع جندهم والزوجات
 مع أزواجهم ، ليس التارك منهم محبوب الأمر ومكروهه بمنزلة الفاعل منهم
 محبوب أمره ومكروهه . يوضحه الوجه الثامن عشر ان فاعل محبوب الرب
 يستحيل أن يفعل جميع مكروهه بل يترك من مكروهه بقدر ما أتى به من
 محبوبه فيستحيل الاثنان بجمع مكروهه وهو يفعل ما أحبه وأبعضه فغايتة
 انه اجتمع الامران فيحبه الرب تعالى من وجه ويبغضه من وجه ، أما اذا
 ترك المأمور به جملة فانه لم يقم به ما يحبه الرب عليه فان مجرد ترك المنهى
 لا يكون طاعة الا باقترانه بالمأمور كما تقدم فلا يحبه على مجرد الترك وهو
 سبحانه يكرهه ويبغضه على مخالفة الامر فصار مبعوضا للرب تعالى من كل
 وجه اذ ليس فيه ما يحبه الرب عليه فتأمل . يوضحه الوجه التاسع عشر وهو
 أن الله سبحانه لم يعلق محبته الابامر وجردى أمره به ايجابا أو استحبابا ولم يعلقها
 بالترك من حيث هو ترك ولا في موضع واحد فانه يحب التوابين، ويحب المحسنين،
 ويحب الشاكرين، ويحب الصابرين، ويحب المتطهرين ، ويحب الذين يقاتلون
 في سبيله صفاء كأنهم بنيان مرصوص ، ويحب المتقين ويحب الذاكرين ويحب
 المتصدقين . فهو سبحانه انما علق محبته بأوامره اذ هي المقصود من الخلق والامر كما
 قال تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فما خلق الخلق الا لقيام أوامر ،

ومناهم الاعما يصدهم عن قيام أو امره ويعوقهم عنها . يوضحه الوجه العشرون
 إن المنهيات لو لم تصد عن المأمورات وتمنع وقوعها على الوجه الذي أمر الله بها
 لم يكن للنهي عنها معنى وإنما نهى عنها لمضادتها لاوامرها وتعويقها لها وصدها
 عنها، فالنهي عنها من باب التكميل والتسمة للمأمور فهو بمنزلة تنظيف طرق
 الماء ليجري في مجارية غير معوق. فالامر بمنزلة الماء الذي أرسل في نهر الحياة
 البلاد والعباد، والنهي بمنزلة تنظيف طرقه ومجراه وتنقيتها مما يعوق الماء،
 والامر بمنزلة القوة والحياة، والنهي بمنزلة الحمية الحافظة للقوة والداء والخادم
 لها. قالوا وإذا تبين أن فعل المأمور أفضل فالصبر عليه أفضل أنواع الصبر،
 وبه يسهل عليه الصبر من المحذور والصبر على المقدور فان الصبر الاعلى
 يتضمن الصبر الادنى دون العكس . وقد ظهر لك من هذا ان الانواع الثلاثة
 متلازمة وكل نوع منها يعين على النوعين الآخرين . وان كان من الناس من
 قوة صبره على المقدور فاذا جاء الامر والنهي فقوة صبره هناك ضعيفة . ومنهم
 من هو بالعكس من ذلك . ومنهم من قوة صبره في جانب الامر أقوى . ومنهم
 من هو بالعكس والله أعلم .

الباب العاشر

في انقسام الصبر الى محمود ومذموم

الصبر ينقسم الى قسمين، قسم مذموم وقسم محمود .

فالمذموم الصبر عن الله واراادته ومحبته وسير القلب اليه . فان هذا الصبر
 يتضمن تعطيل كمال العبد بالكلية وتقوية ما خلق له . وهذا كما انه أقبح الصبر
 فهو أعظمه وأبلغه . فانه لا صبر أبلغ من صبر من صبر عن محبته الذي لا حياة
 له بدون البتة . كما انه لا زهد أبلغ من زهد الزاهد فيما أعد الله لاوليائه من كرامته
 مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فالزاهد في هذا
 أعظم أنواع الزهد . كما قال رجل لبعض الزاهدين وقد تعجب من زهده .

« مارأيت أزهد منك » فقال « أنت أزهد مني ؛ أنا زهدت في الدنيا وهي لا بقاء لها ولا وفاء ، وأنت زهدت في الآخرة . فمن أزهد منا » قال يحيى بن معاذ الرازي « صبر المحبين أعجب من صبر الزاهدين واعجبا كيف يصبرون » وفي هذا قيل .

الصبر يحمد في المواطن كلها الا عليك فانه لا يحمد
ووقف رجل على الشبلي فقال « أي الصبر أشد على الصابرين » فقال :
« الصبر في الله » قال (لا) فقال « الصبر لله » فقال (لا) قال « فالصبر مع الله »
قال (لا) قال « فايش هو » (قال الصبر عن الله) فصرخ الشبلي صرخة كادت
روحه تزهق . وقيل « الصبر مع الله وفاء ؛ والصبر عن الله جفاء » وقد أجمع الناس
على أن الصبر عن المحبوب غير محمود فكيف اذا كان كمال العبد وفلاحه في محبته .
ولم تزل الاحباب تعيب المحبين بالصبر عنهم كما قيل :

والصبر عنك فمذموم عواقبه والصبر في سائر الاشياء محمود

وقال آخر في الصبر عن محبوبه

اذا لعب الرجال بكل شيء رأيت الحب يلعب بالرجال

وكيف الصبر عن من حل مني بمنزلة اليمين مع الشمال

وشكا آخر الى محبوبه ما يقاسى من حبه فقال : « لو كنت صادقا لما

صبرت عنى »

ولما شكوت الحب قالت كذبتني ترى الصب عن محبوبه كيف يصبر

فصل

وأما الصبر المحمود فنوعان صبر لله وصبر بالله ، قال الله تعالى « واصبر

وما صبرك الا بالله » وقال « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا »

وقد تنازع الناس أي الصبرين أكمل فقالت طائفة « الصبر له أكمل

فان ما كان لله أكمل مما كان بالله ، فان ما كان له فهو غاية وما كان به فهو

وسيلة . والغايات أشرف من الوسائل ، ولذلك وجب الوفاء بالنذر اذا كان تبردا

وتقرباً الى الله لانه نذر له ولم يجب الوفاء به اذا خرج مخرج اليمين لانه حلف به
فما كان له سبحانه فهو متعلق بالوهيته وما كان به فهو متعلق بربو بيته وما تعلق
بالوهيته أشرف مما تعلق بربو بيته، ولذلك كان توحيد الالهية هو المنجى من
الشرك دون توحيد الربوبية بمجردة. فان عباد الاصنام كانوا مقرين بان
الله وحده خالق كل شىء وربه ومليكه، ولكن لما لم يأتوا بتوحيد الالهية
وهو عبادته وحده لا شريك له لم ينفعهم توحيد ربو بيته «

وقال طائفة: الصبر بالله اكمل بل لا يمكن الصبر له الا بالصبر به كما قال
تعالى « واصبر » فأمره بالصبر والمأمور به هو الذى يفعل لاجله ثم قال
« وما صبرك الا بالله » فهذه جملة خبرية غير الجملة الطلبية التى تقدمتها، أخبر
فيها انه لا يمكنه الصبر الا به، وذلك يتضمن امرين الاستعانة به والمعية الخاصة
التى تدل عليها باء المصاحبة كقوله « فبى يسمع و بى يبصر و بى يبسطش و بى
يمشى » وليس المراد بهذه الباء الاستعانة فان هذا أمر مشترك بين المطيع والعاصى
فان مالا يكون بالله لا يكون بل هى باء المصاحبة والمعية التى صرح بمضمونها
فى قوله « ان الله مع الصابرين » وهى المعية الحاصلة لعبده الذى تقرب اليه
بالنوافل حتى صار محبوباً له فبه يسمع وبه يبصر وكذلك به يصبر فلا يتحرك
ولا يسكن ولا يدرك الا والله معه، ومن كان كذلك امكنه الصبر له وتحمل
الا ثقال لاجله كما فى الاثر الهى (١) يعنى وما يتحمل المتحملون من أجل فدل
قوله « وما صبرك الا بالله » على أنه من لم يكن الله معه لم يمكنه الصبر وكيف يصبر
على الحكم الأمرى امثالاً وتنفيذاً وتبليغاً؛ وعلى الحكم القدرى احتمالاً له
واضطلاعاً به، من لم يكن الله معه فلا يطمع فى درجة الصبر المحمود وعواقبه، من
لم يكن صبره بالله كما لا يطمع فى درجة التقريب المحبوب من لم يكن سمعه
وبصره وبطشه ومشيه بالله

وهذا هو المراد من قوله « كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر
به ويده التى يبسطش بها ورجله التى يمشى بها » ليس المراد انى كنت نفس
هذه الاعضاء والقوى كما يظنه اعداء الله أهل الوحدة، وان ذات العبد

(١) كذا فى الاصل وفى هامشه (لعله الالهى)

هي ذات الرب تعالى الله عن قول اخوان النصارى علوا كبيرا . ولو كان
كما يظنون لم يك فرق بين هذا العبد وغيره ولا بين حالتى تقربه الى
ربه بالنوافل وتممته اليه بالمعاصى بل لم يكن هناك متقرب ومتقرب اليه
ولا عبد ولا معبود ولا محب ولا محبوب فالحديث كله مكذب لدعواهم
الباطلة من نحو ثلاثين وجها تعرف بالتأمل الظاهر . وقد فسر المراد من قوله
« كنت سمعه وبصره و يده ورجله » بقوله « في يسمع وبي يبصر وبي بطش
وبي يمشى » فعبر عن هذه المصاحبة التي حصلت بالتقرب اليه بمحابه بالطف
عبارة وأحسنها تدل على تأكد المصاحبة ولزومها حتى صار له بمنزلة سمعه
و بصره و يده ورجله

ونظير هذا قوله « الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن صافحه وقبله
فكأنما صافح الله وقبل يمينه »

ومثل هذا سائغ في الاستعمال أن ينزل الى منزلة ما يصاحبه ويقارنه حتى
يقول المحب للمحب أنت روحى وسمعى وبصرى وفى ذلك معنيان : أحدهما
أنه صار منه بمنزلة روجه وقلبه وسمعه وبصره . والثانى أن محبته وذكره لما استولى
على قلبه وروحه صار معه وجليسه كما فى الحديث « يقول الله تعالى أنا جليس
من ذكر . » وفى الحديث الآخر « أنا مع عبدى ما ذكرنى ونحرتنى شفتاه »
وفى الحديث آلهى (١) « فاذا أحببت عبدى كنت له سمعا وبصرا ويداؤمؤ بدأ »
ولا يعبر عن هذا المعنى بأتم من هذه العبارة ولا أحسن ولا ألطف منها . وايضاح
هذه العبارة بما يزيد بها جفاء وخفاء

والمقصود انما هو ذكر الصبر بالله وان العبد بحسب نصيبه من معية الله
له يكون صبره، واذا كان الله معه أمكن أن يأتي من الصبر بما لا يأتي به غيره
قال أبو على « فاز الصابرون بعز الدارين لانهم نالوا من الله معيته قال تعالى
« ان الله مع الصابرين »

وها هنا سر بديع وهو ان من تعلق بصفة من صفات الرب تعالى أدخلته

١، كذا فى الاصل . وفى هامشه . « لعله الالهى »

تلك الصفة عليه وأوصلته إليه . والرّب تعالى هو الصبور بل لا احد أصبر
على أذى سمعه منه . وقد قيل ان الله سبحانه أوحى الى داود « تخلّق بأخلاقى
فإن من أخلاقى انى أنا الصبور » والرّب تعالى يحب اسماءه وصفاته ويحب
مقتضى صفاته وظهور آثارها فى العبد فانه جميل يحب الجمال ، عفو يحب أهل
العفو ، كريم يحب أهل الكرم ، عليم يحب أهل العلم ، وتر يحب أهل الوتر
قوى والمؤمن القوى احب اليه من المؤمن الضعيف ، صبور يحب الصابرين
شكور يحب الشاكرين . واذا كان سبحانه يحب المتصفين بأثار صفاته فهو
معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف . فهذه المعية الخاصة عبر عنها بقوله
« كنت له سمعاً وبصراً ويداؤ ومؤيداً »

فصل

وزاد بعضهم قسماً ثالثاً من أقسام الصبر وهو الصبر مع الله، وجعلوه على
أنواع الصبر . وقالوا هو الوفاء . ولو سئل هذا عن حقيقة الصبر مع الله لما
أمكنه أن يفسره بغير الانواع الثلاثة التى ذكرت . وهى الصبر على أقضيته
والصبر على أوامره والصبر عن نواهيه. فان زعم ان الصبر مع الله هو الثبات
معه على أحكامه يدور معها حيث دارت فيكون دائماً مع الله لا مع نفسه
فهو مع الله بالمحبة والموافقة، فهذا المعنى حق ولكن مداره على الصبر
على الانواع المتقدمة، وان زعم ان الصبر مع الله هو الجامع لانواع الصبر فهذا
حق ولكن جعله قسماً رابعاً من أقسام الصبر غير مستقيم
واعلم أن حقيقة الصبر مع الله هو ثبات القلب بالاستقامة معه وهو أن لا
يروغ عنه روغان الثعالب ها هنا وها هنا، فحقيقة هذا هو الاستقامة اليه
وعكوف القلب عليه . وزاد بعضهم قسماً آخر من أقسامه وسماه الصبر فيه
وهذا أيضاً غير خارج عن أقسام الصبر المذكورة ولا يعقل من الصبر فيه
معنى غير الصبر له وهذا كما يقال فعلت هذا فى الله وله كما قال حبيب
وذلك فى ذات الاله وان يشأ

يبارك على أوصال شلو بمنع

وقد قال تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » وقال : « وجاهدوا في الله » وفي حديث جابر « ان الله تعالى لما أحيا أباه وقال له تمنّ قال يارب ان ترجعني الى الدنيا حتى أقتل فيك مرة ثانية » وقال صلى الله عليه وسلم « ولقد أوديت في الله » وما يؤذى أحد، وهذا يفهم منه معنيان أحدهما ان ذلك في مرضاته وطاعته وسبيله وهذا فيما يفعله الانسان باختياره كما في الحديث « تعلمت فيك العلم » والثاني انه بسببه وبجهته حصل ذلك وهذا فيما يصيبه بغير اختياره وغالب ما يأتي قولهم ذلك في الله في هذا المعنى فتأمل قوله صلى الله عليه وسلم « ولقد أوديت في الله » وقول حبيب « وذلك في ذات الاله » وقول عبدالله ابن خزام حتى أقتل فيك » وكذلك قوله « والذين جاهدوا فينا » فانه يترتب عليه الأذى فيه سبحانه وليست (في) ها هنا للظرفية ولا لمجرد السببية وان كانت السببية هي أصلها ، فانظر الى قوله « في نفس المؤمن مائة من الأبل » وقوله « دخلت امرأة النار في هرة » كيف تجد فيه معنى زائدا على السببية وليست (في) للوعاء في جميع معانيها فقولك « فعلت هذا في مرضاتك » فيه معنى زيد على « فعلته لمرضاتك » وأنت اذا قلت « أوديت في الله » لا يقوم مقام هذا للفظ كقولك « أوديت لله » ولا « بسبب الله » واذا فهم المعنى طوى حكم العبارة، والمقصود أن الصبر في الله ان أريد به هذا المعنى فهو حق، وان أريد به معنى خارج عن الصبر على أفضيته وعلى أوامره وعن نواهيته وله وبه لم يحصل، فالصابر في الله كالمجاهد في الله والجهاد فيه لا يخرج عن معنى الجهاد بهوله والله الموفق .

« وأما قول بعضهم « الصبر لله غناء، والصبر بالله بقاء، والصبر في الله بلاء؛ والصبر مع الله وفاء؛ والصبر عن الله جفاء » فكلام لا يجب التسليم لقائله لانه ذكر ما سنع له وتصوره، وانما يجب التسليم للنقل المصدق عن القائل المعصوم . ونحن نشرح هذه الكلمات أما قوله « الصبر لله غناء » فان الصبر لله بترك حظوظ النفس ومرادها لمراد الله وهذا أشق شيء على النفس وأصعبه، فان قطع المفازة التي بين النفس وبين الله بحيث يسير منها الى الله شديد جدا على النفس، بخلاف السفر الى الآخرة فانه سهل كما قال الجنيد « السير من الدنيا الى الآخرة سهل . يعني على المؤمن ، وهجران الخلق في جنب الحق شديد ، والسير من النفس

الى الله صعب شديد ، والصبر مع الله أشد « وأما قوله « والصبر بالله بقاء »
 فلأن العبد اذا كان بالله هان عليه كل شيء ويتحمل الأثقال ولم يجد لها
 ثقلا، فانه اذا كان بالله لا بالخلق، ولا بنفسه كان ثقله وروحه وجود آخر وشأن
 آخر غير شأنه اذا كان بنفسه وبالخلق وبهذا الحال لا يجد عناء الصبر ولا مرارته
 وتقلب مشاق التكليف له نعيما وقررة عين ، كما قال بعض الزهاد « عاجلت قيام
 الليل سنة وتنعمت به عشرين سنة » ومن كانت قررة عينه في الصلاة لم يجد لها
 مشقة وكلفة . وأما قوله « والصبر في الله بلاء » فالبلاء فوق العناء والصبر فيه
 فوق الصبر له وأخص منه كما تقدم، فان الصبر فيه بمنزلة الجهاد فيه وهو أشق من
 الجهاد له فكل مجاهد في الله وصابر في الله مجاهد له وصابر له من غير عكس،
 فان الرجل قد يجاهد ويصبر لله مرة فيقع عليه اسم من فعل ذلك لله ولا يقع
 عليه اسم من فعل ذلك في الله، وانما يقع على من انغمس في الجهاد والصبر ودخل
 الجنة . وأما قوله « والصبر مع الله وفاء » فلأن الصبر معه هو الثبات معه على
 أحكامه ولا يزيغ القلب عن الانابة ولا الجوارح عن الطاعة فتحظى المعية حقها
 من التوفية كما قال تعالى « وابراهيم الذي وفى » أى وفى ما أمر به بصبره مع الله
 على أوامره وأما « قوله والصبر عن الله جفاء » فلا جفاء أعظم ممن صبر عن
 معبوده والهه ومولاه الذى لا مولى له سواه ولا حياة له ولا صلاح ولا نعيم
 الا بمحبته والقرب منه وايشار مرضاته على كل شيء فأى جفاء أعظم من الصبر
 عنه . وهذا معنى قول من قال : الصبر على ضديين صبر العابدين وصبر المحبين ،
 فصبر العابدين أحسنه أن يكون محفوظا وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضا
 كما قيل :

يسين يوم البين ان اعترامه على الصبر من احدى الظنون الكواذب
 وقال الآخر :

ولما دعوت الصبر بعدك والبكا

أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر

قالوا ويدل عليه أن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه قال « فصبر جميل »
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم. اذا وعد وفا، ثم حملة الوجد على يوسف والشرق

اليه ان قال « يا أسفا على يوسف » فلم يكن عدم صبره عنه منافياً لقوله « فصبر جميل » فان الصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه ولا تنافيه الشكوى الى الله سبحانه وتعالى ، فانه قد قال انما أشكوى شي وحزنى الى الله . والله تعالى أمر رسوله بالصبر الجميل وقد امتثل ما أمر به وقال « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيايتي » الحديث . وأما قول بعضهم ان الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو ، فهذا من الصبر الجميل لان من فقد الصبر الجميل فان ظهور أثر المصيبة على العبد مما لا يمكن دفعه البتة و بالله التوفيق .
وزاد بعضهم في الصبر قسماً آخر وسماه الصبر على الصبر وقال هو ان يستغرق في الصبر حتى يعجز الصبر عن الصبر كما قيل :

صابر الصبر فاستغاث به الصبر فصاح المحب بالصبر صبيرا
وليس هذا خارجا عن اقسام الصبر وانما هو المرابطة على الصبر والثبات
عليه والله أعلم

الباب الحادى عشر

في الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام

كل أحد لا بد أن يصبر على بعض ما يكره إما اختيارا واما اضطرارا فالكريم يصبر اختيارا لعلمه بحسن عاقبة الصبر وأنه يحمد عليه ويندم على الجزع، وانه ان لم يصبر لم يرد الجزع عليه فائتا ولم ينزع عنه مكروها ، وان المقدور لا حيلة في دفعه ومالم يقدر لا حيلة في تحصيله فالجزع ضره أقرب من نفعه قال بعض العقلاء « العاقل عند نزول المصيبة يفعل ما يفعله الاحمق بعد شهر كما قيل :

وأن الأمر يفضى الى آخر فيصير آخره أولا
فاذا كان آخر الأمر الصبر والعهد غير محمود فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الاحمق في آخره . وقال بعض العقلاء « من لم يصبر صبر الكرام سلاسلو البهائم » فالكريم ينظر الى المصيبة فان رأى الجزع

يردها و يدفعها فهذا قد ينفعه الجزع ، وان كان الجزع لا ينفعه فانه يجعل
المصيبة مصيبتين

فصل

وأما اللئيم فانه يصبر اضطرارا فانه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها
تجدى عليه شيئاً فيصبر صبر الموثق للضرب . وأيضاً فالكريم يصبر في طاعة
الرحمن، واللئيم يصبر في طاعة الشيطان ، فاللئيم أصبر الناس في طاعة اهوائهم
وشهواتهم وأقل الناس صبراً في طاعة ربهم . فيصبر على البذل في طاعة الشيطان
أتم صبر ، ولا يصبر على البذل في طاعة الله في أيسر شيء ، ويصبر على تحمل
المشاق لهوى نفسه في مرضاة عدوه، ولا يصبر على أدنى المشاق في مرضاة ربه ؛
ويصبر على ما يقال في عرضه في المعصية ، ولا يصبر على ما يقال في عرضه اذا
أوذى في الله، بل يفر من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر خشية أن يتكلم
في عرضه في ذات الله ويبدل عرضه في هوى نفسه وهوى مرضاته صابراً على
ما يقال فيه . وكذلك يصبر على التبذل بنفسه وجاهه في هوى نفسه ومراده ولا
يصبر على التبذل لله في مرضاته وطاعته فهو أصبر شيء على التبذل في طاعة
الشيطان ومراد النفس وأعجز شيء عن الصبر على ذلك في الله، وهذا أعظم اللؤم،
ولا يكون صاحبه كريماً عند الله ولا يقوم مع أهل الكرم اذا نودى بهم يوم
القيامة على رؤوس الاشهاد ليعلم أهل الجمع من أولى بالكرم اليوم أين المتقون

الباب الثاني عشر

في الاسباب التي تعين على الصبر

لما كان الصبر مأموراً به جعل الله سبحانه له أسباباً تعين عليه وتوصل اليه
وكذلك ما أمر الله سبحانه بالامر بالأعان عليه ونصب له أسباباً تمده وتعين
عليه كما أنه ما قدر داء الا وقدر له دواء وضمن الشفاء باستعماله . فالصبر وان كان
شاقاً كريهاً على النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب من مفردين، العلم والعمل

فمنها تركب جميع الأدوية التي تداوى بها القلوب والابدان. فلا بد من جزء علمي وجزء
 عملي فمنها يتركب هذا الدواء الذي هو أنفع الأدوية. فأما الجزء العلمي فهو ادراك ما في
 الأمور من الخير والنفع واللذة والكمال وادراك ما في المحذور من الشر والضر والنقص،
 فاذا ادرك هذين العلمين كما ينبغي اضاف اليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية
 والنخوة والمروءة الانسانية وضم هذا الجزء الى هذا الجزء فتمت فعل ذلك
 حصل له الصبر وهانت عليه مشاقه وحلت له مرارته وانقلب ألمه لذة. وقد
 تقدم ان الصبر مصارعة باعث العقل والدين لباعث الهوى والنفس، وكل
 متصارعين أراد أن يتغلب احدهما على الآخر، فالطريق فيه تقوية من أراد أن
 تكون الغلبة له ويضعف الآخر كالحال مع القوة والمرض سواء. فاذا قوى
 باعث شهوة الوقاع المحرم وغلب بحيث لا يملك معها فرجه أو يملكه ولكن
 لا يملك طرفه أو يملكه ولكن لا يملك قلبه بل لا يزال يحدثه بما هناك ويعده
 ويمنيه ويصرفه عن حقائق الذكر والتفكير فيما ينفعه في دنياه وآخرته، فاذا
 عزم على التداوى ومقاومة هذا الداء فليضعفه أولاً بأمر: احدها أن ينظر
 الى مادة قوة الشهوة فيجدها من الاغذية المحركة للشهوة اما بنوعها أو بكميتها
 وكثرتها ليحسم هذه المادة بتقليلها، فان لم تنحسم فليبادر الى الصوم فانه
 يضعف مجارى الشهوة ويكسر حدتها، ولا سيما اذا كان اكله وقت الفطر
 معتدلاً. الثاني أن يحتنب محرك الطلب وهو النظر فليقتصر لجام طرفه
 ما أمكنه، فان داعى الارادة والشهوة انما يهيج بالنظر والنظر يحرك القلب
 بالشهوة. وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم «النظر سهم مسموم من سهامه
 ابليس» وهذا السهم يشرده ابليس نحو القلب ولا يصادف جنة دونه،
 وليست الجنة الا غض الطرف او التحيز والاحراف عن جهة الرمي، فانه انما
 يرمى هذا السهم عن قوس الصور فاذا لم تقف على طريقها اخطأ السهم وان
 نصبت قلبك غرضاً فيوشك ان يقتله سهم من تلك السهام المسمومة: الثالث
 تسلية النفس بالمباح المعوض عن الحرام فان كل ما يشتهي الطبع ففيها أباحه الله
 سبحانه غنية عنه وهذا هو الدواء النافع في حق اكثر الناس. كما أرشد اليه النبي
 صلى الله عليه وسلم فالدواء الاول يشبه قطع العلف عن الدابة الجموح وعن

الكلب الضارى لضعاف قوتها . والدواء الثانى يشبه تعقيب اللحم عن
الكلب والشعير عن البهيمة لئلا تتحرك قوتها له عند المشاهدة . والدواء
الثالث يشبه اعطائهما من الغذاء ما يميل اليه طبعهما بحسب الحاجة لتبقى معه
القوة فتطبع صاحبهما ولا تغلب باعطائها الزيادة على ذلك . الرابع التفكر فى
المفاسد الدنيوية المتوقعة من قضاء هذا الوطر فانه لو لم يكن جنة ولا نار
لكان فى المفاسد الدنيوية ما ينهى عن اجابة هذا الداعى ، ولو تكلفنا عددا
لفاقت الحصر ، ولكن عين الهوى عمياء . الخامس الفكرة فى مقابح الصورة
التي تدعوه نفسه اليها ان كانت معروفة بالاجابة له ولغيره فيعز نفسه أن
يشرب من حوض ترده الكلاب والذئاب كما قيل :

سأترك وصلكم شرفاً وعزاً خمسة سائر الشركاء فيه
وقال آخر

اذا كثر الذباب على طعام رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود وروداء اذا كان الكلاب يلغى فيه

وليدكر مخالطة ريقه لريق كل خبيث ريقه الداء الدوى فان ريق الفاسق
داء كما قيل

تسل يا قلب عن سمح بمهجته مبذل كل من يلقاه يقرفه
كالماء أى صيد يأتيه ينهله والغصن أى نسيم من يعطفه
وان حلا ريق فاذا كمرارته فى فم البحر يحفيه ويرشفه

ومن له اذى مروءة ونخوة يأف لنفسه من مواصلة من هذا شأنه فان لم
تجبه نفسه الى الاعراض ورضى بالمشاركة فانظر الى ما وراء هذا اللون والجمال
الظاهر من القبائح الباطنة ، فان من مكن نفسه من فعل القبائح فنفسه أقبح من
نفوس البهائم ، فانه لا يرضى لنفسه بذلك حيوان من الحيوانات اصلا الا ما يحكى
عن الخنزير ، وانه ليس فى البهائم لوطى سواه فقد رضى هذا الممكن من نفسه
انه يكون بمنزلة الخنزير وهذا القبح يغطى كل جمال وملاحة فى الوجه والبدن
غير ان حبك الشئ يعمى . ويصم ، وان كانت الصورة أنثى فقد خانت الله ورسوله
وأهلها وبعلمها ونفسها وأورثت ذلك لمن بعدها من ذريتها فلها نصيب من وزرهم

وعارهم ولا نسبة لجمال صورتها الى هذا القبح البتة، واذا أردت معرفة ذلك فانظر
الى القبح الذى يعلو وجه أحدهما فى كبره وكيف يقرب الله سبحانه تلك
المحاسن مقامح حتى تعلوا الوحشة والقبح وجهه كما قيل شعراً
لوفكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسببه لم يسببه
وتفصيل هذه الوجوه يطول جداً فيكفى ذكر أصولها

فصل

وأما تقوية باعث الدين فانه يكون بامرر : احدها اجلال الله تبارك وتعالى أن
يعصى وهو يرى ويسمع ، ومن قام بقلبه مشهد اجلاله لم يطاوعه قلبه لذلك البتة.
الثانى مشهد محبته سبحانه فيترك معصيته محبة له فان المحب لمن يحب مطيع، وأفضل
الترك ترك المحبين كما ان أفضل الطاعة طاعة المحبين، فبين ترك المحب وطاعته
وترك من يخاف العذاب وطاعته بون بعيد . الثالث مشهد النعمة والاحسان
فان الكريم لا يقابل بالاساءة من أحسن ائيه وانما يفعل هذا لثام الناس
فليمنعه مشهد احسان الله تعالى ونعمته عن معصيته حياء منه أن يكون خير
الله وانعامه نازلا اليه ومخالفاته ومعاصيه وقبائح صاعدة الى ربه فملك ينزل
بهذا وملك يعرج بذاك فأقبح بها من مقابلة . الرابع مشهد الغضب والانتقام
فان الرب تعالى اذا تمادى العبد فى معصيته غضب واذا غضب لم يقم لغضبه
شيء، فضلا عن هذا العبد الضعيف . الخامس مشهد الفوات وهو ما يفوته
بالمعصية من خير الدنيا والآخرة وما يحدث له بها من كل اسم مذموم عقلا
وشرعا وعرفا ويزول عنه من الاسماء الممدوحة شرعاً وعقلا وعرفاً ويكفى
فى هذا المشهد مشهد فوات الايمان الذى ادنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا
وما فيها أضعافا مضاعفة، فكيف أن يبيعه بشهوة تذهب لذاتها وتبقى تبعثها، تذهب
الشهوة وتبقى الشقوة. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزنى
الزانى حين يزنى وهو مؤمن . قال بعض الصحابة ينزع منه الايمان حتى يبتى
على رأسه مثل الظلة فان تاب رجع اليه وقال بعض التابعين ينزع عنه الايمان
كما ينقص القميص فان تاب لبسه ، ولهذا روى عن النبي صلى الله عليه

وسلم في الحديث الذي رواه البخاري: الزنات في التنور عراة لانهم تعرفوا
من لباس الايمان، وعاد تنور الشهوة الذي كان في قلوبهم تنورا ظاهرا يحمي عليه
في النار. السادس مشهد القهر والظفر فان قهر الشهوة والظفر بالشیطان له
حلاوة ومسرة وفرحة عند من ذاق ذلك أعظم من الظفر بعدوه من
الآدميين واحلى موقعا وأتم فرحة وأما عاقبته فأحمد عاقبة وهو
كعاقبة شرب الدواء النافع الذي أزال داء الجسد وأعاده الى صحته واعتداله،
السابع مشهد العوض وهو ما وعد الله سبحانه من تعويض من ترك المحرم
لاجله ونهى نفسه عن هواها وليوازنه بين العوض والمعوض فأيهما كان أولى
بالايتار اختاره وارتضاه لنفسه. الثامن مشهد المعية وهو نوعان معية عامة
ومعية خاصة فالعامة اطلاع الرب عليه وكونه بعينه لا تخفى عليه حاله وقد تقدم
هذا، والمقصود هنا المعية الخاصة كقوله «ان الله مع الصابرين» وقوله «ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون» وقوله «وان الله لمع المحسنين» فهذه المعية الخاصة
خير وأنفع في دنياه وآخرته ممن قضى وطره ونيل شهوته على التمام من
أول عمره الى آخره فكيف يؤثر عليها لذة منغصة منكدة في مدة
يسيرة من العمر انما هي كأحلام نائم أو كظلم زائل. التاسع مشهد المغاضاة
والمماجلة وهو أن يخاف أن يغافسه الأجل فيأخذ الله على غرة فيحال
بينه وبين ما يشتهي من لذات الآخرة فيألها من حسرة ما أمرها وما أصعبها
لكن ما يعرفها إلا من جربها. وفي بعض الكتب القديمة يامن لا يامن على نفسه
طرفة عين ولا يتم له سرور يوم الحذر الحذر. العاشر مشهد البلاء والعافية
فان البلاء في الحقيقة ليس إلا الذنوب وعواقبها، والعافية المطلقة هي الطاعات
وعواقبها فأهل البلاء هم أهل المعصية وإن عوفيت أبدانهم، وأهل العافية هم أهل
الطاعة وإن مرضت أبدانهم وقال بعض أهل العلم في الاثر المروى، اذا رأيتم
أهل البلاء فاسألوا الله العافية. فان أهل البلاء المبتلون بمعاضى الله والاعراض
والغفلة عنه. وهذا وإن كان أعظم البلاء فاللفظ يتناول أنواع المبتلين في أبدانهم
وأديانهم والله أعلم. الحادى عشر أن يعود باعث الدين ودواعيه مصارعة داعى
الهوى ومقاومته على التدرىج قليلا قليلا حتى يدرك لذة الظفر فتقوى حينئذ

همته. فان من ذاق لذة شيء قويته همته في تحصيله. والاعتیاد لممارسة الاعمال
 الشاقة تزيد القوى التي تصدر عنها تلك الاعمال، ولذلك تجد قوى الجمالين وأرباب
 الصنائع الشاقة تتزايد بخلاف البزاز والخياط ونحوهما، ومن ترك المجاهدة بالكلية
 ضعف فيه باعث الدين وقوى فيه باعث الشهوة ومضى عود نفسه مخالفة الهوى
 غلبه متى أراد. الثاني عشر كف الباطل عن حديث النفس واذا مرت به
 الخواطر نفاها ولا يؤويها ويساكنها فانها تصير مئذ وهي رؤوس أموال
 المفاليس ومتى ساكن الخواطر صارت أمانى ثم تقوى فتصير هموماً ثم تقوى
 فصير ارادات ثم تقوى فتصير عزمًا يقترن به المراد فدفع الخاطر الأول أسهل
 وأيسر من رفع أثر المتمدور بعد وقوعه وترك معاودته. الثالث عشر قطع العلائق
 التي تدعوه الى موافقة الهوى وليس المراد أن لا يكون له هوى بل المراد أن
 يصرف هواه الى ما ينفعه ويستعمله في تنفيذ مراد الرب تعالى فان ذلك يدفع عنه
 شر استعماله في معاصيه فان كل شيء من الانسان يستعمله لله فان الله يقيه شر استعماله
 لنفسه وللشيطان وما لا يستعمله الله يستعمله لنفسه. وهو اهل لا بد. فالعلم ان لم يكن
 لله كان للنفس والهوى. والعمل ان لم يكن لله كان للرياء والنفاق، والمال ان لم ينفق
 في طاعة الله أنفق في طاعة الشيطان والهوى، والجاه ان لم يستعمله الله استعمله
 صاحبه في هواه وحظوظه، والقوة ان لم يستعملها في أمر الله استعملته في
 معصيته. فمن عود نفسه العمل لله لم يكن عليه أشق من العمل لغيره، ومن عود
 نفسه العمل لهواه وحظه لم يكن عليه أشق من الاخلاص والعمل لله، وهذا في
 جميع أبواب الاعمال، فليس شيء أشق على المنفق لله من الانفاق لغيره وكذا
 بالعكس. الرابع عشر صرف الفكر الى عجائب آيات الله التي تدب عباده
 الى التفكير فيها وهي آياته المتلوة وآياته المجلوة، فاذا استولى ذلك على قلبه دفع
 عنه محاضرة الشيطان ومحادثته ووسواسه. وما اعظم غبن من امكنه ان لا يزال
 محاضراً للرحمن وكتابه ورسوله والصحابة، فرغب عن ذلك الى محاضرة الشيطان
 من الانس والجن فلا غبن بعد هذا الغبن والله المستعان. الخامس عشر التفكير
 في الدنيا وسرعة زوالها وقرب انقضائها فلا يرضى لنفسه ان يتزود منها الى
 دار بقاءه وخلوده اخس ما فيها واقله نفعاً الا ساقط الهمة دنى المروءة ميت

القلب فان حسرتة تشتد اذا عاين حتمية ما تزوده وتبين له عدم نفعه له فكيف اذا كان ترك تزود ما ينفعه الى زاد يعذب به ويناله بسببه غاية الالم ، بل اذا تزود ما ينفعه وترك ما هو انفع منه له كان ذلك حسرة عليه وغبنا : السادس عشر تعرضه الى من القلوب بين أصبحيه وازمة الأمور بيديه وانتهاء كل شيء اليه على الدوام فلعله ان يصادف أوقات النفحات كما في الاثر المعروف . ان الله في ايام دهره نفحات فتعرضوا لنفحاته واسألوا الله ان يستر عوراتكم ويؤمن روعاتكم . ولعله في كثرة تعرضه ان يصادف ساعة من الساعات التي لا يسأل الله فيها شيئاً الا أعطاه فمن اعطى منشور الدعاء اعطى الاجابة فانه لو لم يرد اجابته لما الهمه الدعاء كما قيل :

لو لم ترد نيل ما ارجو واطلبه من جود كفك ما عودتني الطلب
ولا يستوحش من ظاهر الحال فان الله سبحانه يعامل عبده معاملة من ليس كمثل شيء في أفعاله كما ليس كمثل شيء في صفاته، فانه ما حرمه الا يعطيه، ولا أمرضه الا ليشفيه، ولا افقره الا ليغنيه، ولا اياته الا ليحييه، وما اخرج ابويه من الجنة الا ليعيدهما اليها على اكمل حال . كما قيل يا آدم لا تجزع من قولي لك اخرج منها فلك خلقتها وسأعيدك اليها، فالرب تعالى ينعم على عبده بابتلائه ويعطيه بحرمانه ويصححه بسقمه فلا يستوحش عبده من حالة تسوؤه اصلا الا اذا كانت تغضبه عليه وتبعده منه . السابع عشر ان يعلم العبد بان فيه جاذبين متضادين ومحتته بين الجاذبين جاذب يجذبه الى الرفيق الاعلى من أهل عليين وجاذب يجذبه الى اسفل سافلين فكلاهما انقاد مع الجاذب الاعلى صعود درجة حتى ينتهي الى حيث يليق به من المحل الاعلى وكلاهما انقاد الى الجاذب الاسفل نزل درجة حتى ينتهي الى موضعه من سجين ، ومتى أراد ان يعلم هل هو مع الرفيق الاعلى أو الاسفل فلينظر اين روحه في هذا العالم، فانها اذا فارقت البدن تكون في الرفيق الاعلى الذي كانت تجذبه اليه في الدنيا فهو أولى بها، فالمرء مع من أحب طبعاً وعقلاً وجزاء، وكل مهتم بشيء فهو منجذب اليه و الى اهله بالطبع ، وكل امرئ يصبو إلى ما يناسبه وقد قال تعالى « قل كل يعمل على شاكلته » فالنفوس

العلوية تنجذب بذاتها وهمها وأعمالها الى أعلى، والنفوس السافلة الى
 أسفل. الثامن عشر ان يعلم العبد ان تفرغ المحل شرط لنزول غيث
 الرحمة، وتنقيته من الدغل شرط لكمال الزرع فمتى لم يفرغ المحل لم
 يصادف غيث الرحمة محلا قابلا ينزل فيه، وان فرغه حتى أصابه غيث
 الرحمة ولكنه لم ينقه من الدغل لم يكن الزرع زرعاً كاملاً، بل ربما غلب
 الدغل على الزرع فكان الحكم له وهذا كالذي يصلح أرضه وبهيتها لقبول
 الزرع ويودع فيها البذور وينتظر نزول الغيث، فاذا طهر العبد قلبه وفرغه
 من ارادت السوء وخواطره وبذرفيه بذر الذكر والفكر والمحبة والاخلاص
 وعرضه لمهاب رياح الرحمة وانتظر نزول غيث الرحمة في أوانه كان جديراً
 بحصول المقل وكما يقوى الرجاء لنزول الغيث في وقته، كذلك يقوى الرجاء
 لاصابة نفحات الرحمن جل جلاله في الاوقات الفاضلة والاحوال الشريفة
 ولا سيما اذا اجتمعت الهمم وتساعدت القلوب وعظم الجمع كجمع عرفة
 وجمع الاستسقاء وجمع أهل الجمعة؛ فان اجتماع الهمم والأنفاس أسباب نصبها
 الله تعالى مقتضية لحصول الخير ونزول الرحمة كما نصب سائر الأسباب مقتضية
 الى مسبباتها، بل هذه الأسباب في حصول الرحمة أقوى من الأسباب الحسية
 في حصول مسبباتها ولكن العبد بجهله يغلب عليه الشاهد على الغائب الحسن
 وبظلمه يؤثر ما يحكم به هذا ويتقضي عليه ما يحكم به الآخر ويتقضي به، ولو
 فرغ العبد المحل وهياه وأصلحه لرأى العجائب فان فضل الله لا يرده الا المانع
 الذي في العبد، فلوزال ذلك المانع لسارع اليه الفضل من كل صوب. فتأمل
 حال نهر عظيم يسقي كل أرض يمر عليها فحصل بينه وبين بعض الارض
 المعطشة المجذبة سكر وسد كشيء فصاحبها يشكو الجذب والنهر الى جانب
 أرضه التاسع عشر ان يعلم العبد ان الله سبحانه خلقه لبقاء لا فناء له، ولعز
 لاذل معه، وأمن لا خوف فيه، وغناء لا فقر معه، ولذة لا ألم معها، وكال لانقص
 فيه وامتحنه في هذه الدار بالبقاء الذي يسرع اليه الفناء، والعز الذي يقارنه الذل
 ويعقبه الذل، والامن الذي معه الخوف وبعده الخوف، وكذلك الغناء واللذة

والفرح والسرور والنعيم الذي هنا مشوب بضده لانه يتعقبه ضده وهو سريع الزوال . فغلط اكثر الخلق في هذا المقام اذ طلبوا النعيم والبقاء والعز والملك والجاه في غير محله ففاتهم في محله ، واكثرهم لم يظفر بما طلبه من ذلك والذي ظفر به انما هو متاع قليل والزوال قريب فانه سريع الزوال عنه . والرسول صلوات الله وسلامه عليهم انما جاؤا بالدعوة الى النعيم المقيم والملك الكبير فمن اجابهم حصل له الذما في الدنيا وأطيبه ، فكان عيشه فيها أطيب من عيش الملوك فمن دونهم ، فان الزهد في الدنيا ملك حاضر والشيطان يحسد المؤمن عليه أعظم حسد ، فيحرص كل الحرص على أن لا يصل اليه ، فان العبد اذا ملك شهوته وغضبه فانقادا معه لداعي الدين فهو الملك حقاً ، لأن صاحب هذا الملك حر ، والملك المنقاد لشهوته وغضبه عبد شهوته وغضبه فهو مسخر مملوك في زى مالك يقوده زمام الشهوة والغضب كما يتقاد البعير . فالمغرور المخدع يقطع نظره على الملك الظاهر الذي صورته ملك وباطنه رق وعلى الشهوة التي أولها لذة وآخرها حسرة . والبصير الموفق يعير نظره من الاوائل الى الاواخر ، ومن المبادئ الى العواقب . وذلك فضل الله يؤتية من يشاء والله ذو الفضل العظيم . العشرون أن لا يغتر العبد باعتقاده أن مجرد العلم بما ذكرنا كاف في حصول المقصود بل لا بد أن يضيف اليه بذل الجهد في استعماله واستفراغ الوسع والطاقة فيه ، وملاك ذلك الخروج عن العوائد فانها أعداء الكمال والفلاح . فلا أفلح من استمر مع عرائده أبدأ ويستعين على الخروج عن العوائد بالهرب عن مظان الفتنة والبعد عنها ما أمكنه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « من سمع بالدجال فليأمن عنه » فما استعين على التخلص من الشر بمثل البعد عن أسبابه ومظانه . وها هنا لطيفة الشيطان لا يتخلص منها الا حاذق . وهي أن يظهر له في مظان الشر بعض شئ من الخير ويدعوه الى تحصيله . فاذا قرب منه القاه في الشبكة والله أعلم

الباب الثالث عشر

في بيان أن الانسان لا يستغنى عن الصبر في حال من الاحوال

فانه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهى يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجري عليه اتفاقاً ونعمة يجب شكر المنعم عليها، واذا كانت هذه الاحوال لا تفارقه فالصبر لازم له الى الممات، وكل ما يلقي العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما يوافق هواه ومراده والآخر مخالفه وهو محتاج الى الصبر في كل منهما. أما النوع الموافق لغرضه فكالصحة والسلامة والجاه والمال وانواع الملاذ المباحة وهو احوج شيء الى الصبر فيها من وجوه: احدها ان لا يركن اليها ولا يعتز بها ولا تحمله على البطر والاشر والفرح المذموم الذي لا يحب الله اهله. الثاني ان لا ينهمك في نيلها و يباليغ في استقصائها فانها تنقلب الى اضدادها، فمن بالغ في الاكل والشرب والجماع انقلب ذلك الى ضده وحرمة الاكل والشرب والجماع. الثالث ان يصبر على اداء حق الله فيها ولا يضيعه فيسلبها. الرابع ان يصبر عن صرفها في الحرام فلا يمكن نفسه من كل ما تريده منها فانها توقعه في الحرام، فان احتراز كل الاحتراز او وقعته في المكروه، ولا يصبر على السراء إلا الصديقون. قال بعض السلف «البلاء يصبر عليه المؤمن والكافر ولا يصبر على العافية إلا الصديقون». وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه «ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر» ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والازواج والاولاد فقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم ولا أزواجكم عدوا لكم فاحذروهم» وليس المراد من هذه العداوة ما يفهمه كثير من الناس انها عداوة البغضاء والمحاداة، بل انما هي عداوة المحبة الصادرة للاباء عن الهجرة والجهاد وتعلم العلم والصدقة وغير ذلك من أمور الدين واعمال البر كما في جامع الترمذي من حديث اسرائيل. حدثنا سماك عن عكرمة عن بن عباس وسأله رجل عن هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا ان من

أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم » قال « هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فارادوا ان يأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم ان يدعوهم ان يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوا الناس فدققوه في الدين هموا ان يعاقبوهم فانزل الله « يا ايها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم » الآية قال الثرمذى هذا حديث حسن صحيح. وما اكثر ما فات العبد من الكمال والفلاح بسبب زوجته وولده وفي الحديث « الولد مبخله مجبنة » وقال الامام احمد حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني زيد بن واقد قال حدثني عبد الله بن بريدة قال سمعت ابي يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين عليهما قيصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله « انما أموالكم وأولادكم فتنة » نظرت الى هذين الصبيين يمشيان. ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما، وهذا من كمال رحمته صلى الله عليه وسلم ولطفه بالصغار وشفقته عليهم وهو تعلم منه للامة: الرحمة والشفقة واللطف بالصغار

فصل

وانما كان الصبر على السراء شديداً لأنه مقرون بالقدرة والجائع عند غيبة الطعام أقدر منه على الصبر عند حضوره وكذلك الشبق عند غيبة المرأة أصبر منه عند حضورها

فصل

وأما النوع الثاني المخالف للهوى فلا يخلو اما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي أو لا يرتبط أوله باختياره كالمصائب أو يرتبط أوله باختياره ولكن لا اختيار له في إزالته بعد الدخول فيه فهاهنا ثلاثة أقسام أحدها ما يرتبط باختياره وهو جميع أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية، فأما الطاعة فالعبد محتاج الى الصبر عليها لأن النفس بطبعها تنفر عن

كثير من العبودية ، اما في الصلاة فلما في طبعها من الكسل وإيثار الراحة ولا سيما اذا اتفق مع ذلك قسوة القلب ورين الذنب والميل الى الشهوات ومخالطة أهل الغفلة فلا يكاد العبد مع هذه الأمور وغيرها أن يفعلها وإن فعلها مع ذلك كان متكلفاً غائب القلب ذاهلاً عنها طالباً لفراقها كالجالس الى الجيفة .
وأما الزكاة فلما في طبعها (١) من الشح والبخل وكذلك الحج والجهاد للامرين جميعاً . ويحتاج العبد هاهنا الى الصبر في ثلاثة أحوال ، أحدها قبل الشروع فيها بتصحيح النية والاخلاص وتجنب دواعي الريبة والسمعة وعقد العزم على توفيقية المأمورية حقها . الحالة الثانية الصبر حال العمل فيلازم العبد الصبر عن دواعي التقصير فيه والتفريط ويلازم الصبر على استصحاب ذكر النية وعلى حضور القلب بين يدي المعبود وأن لا ينساه . في أمره فليس الشأن في فعل المأمور بل الشأن كل الشأن أن لا ينسى الأمر حال الاتيان بأمره بل يكون مستصحباً لذكوره في أمره فهذه عبادة العبيد المخلصين لله فهو محتاج الى الصبر على توفيقية العبادة حقها بالقيام بادائها وأركانها وواجباتها وسننها . والى الصبر على استصحاب ذكر المعبود فيها ولا يشتغل عنه بعبادته فلا يعطله حضوره مع الله بقلبه عن قيام جوارحه بعبوديته ، ولا يعطله قيام الجوارح بالعبودية عن حضور قلبه بين يديه سبحانه . الحالة الثالثة الصبر بعد الفراغ من العمل وذلك من وجوه : أحدها أن يصبر نفسه عن الاتيان بما يبطله عمله قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى » فليس الشأن الاتيان بالطاعة إنما الشأن في حفظها بما يبطلها . الثاني أن يصبر عن رؤيتها والعجب بها والتكبر والتعظم بها فان هذا أضر عليه من كثير من المعاصي الظاهرة . الثالث أن يصبر عن نقلها من ديوان السر الى ديوان العلانية فان العبد يعمل العمل سرّاً بينه وبين الله سبحانه فيكتب في ديوان السر فان تحدث به نقل الى ديوان العلانية فلا يظن أن بساط الصبر انطوى بالفراغ من العمل

فصل

وأما الصبر عن المعاصي فأمره ظاهر وأعظم ما يعين عليه قطع المألوفات
ومفارقة الاعوان عليها في المجالسة والمحادثة وقطع العوائد فان العادة طبيعة
خاصة ، فاذا انضافت الشهوة الى العادة تظاهر جندان من جند الشيطان فلا
يقوى باعث الدين على قهرهما

فصل

القسم الثاني ما لا يدخل تحت الاختيار وليس للعبد حيلة في دفعه كالمصائب
التي لا صنع للعبد فيها كموت من يعز عليه وسرقة ماله ومرضه ونحو ذلك وهذا
نوعان . أحدهما ما لا صنع للعبد لأدمى فيه ، والثاني ما اصابه من جهة آدمى
مثله كالسب والضرب وغيرهما — فالنوع الاول للعبد فيه اربع مقامات احدها
مقام العجز وهو مقام الجزع والشكوى والسخط وهذا ما لا يفعله الا اقل الناس
عقلا ودينا ومروءة وهو اعظم المصيبتين . المقام الثاني مقام الصبر اما لله واما
للرؤة الانسانية . المقام الثالث مقام الرضا وهو اعلى من مقام الصبر وفي وجوبه
نزاع والصبر متفق على وجوبه . المقام الرابع مقام الشكر وهو اعلى من مقام
الرضا فانه يشهد البلية نعمة فيشكر المبتلى عليها . وأما النوع الثاني وهو
ما اصابه من قبل الناس فله فيه هذه المقامات ويضاف اليها أربعة آخر .
أحدها مقام العفو والصفح ، والثاني مقام سلامة القلب من ارادة التشفى
والانتقام وفراغه من ألم مطالعة الجناية كل وقت وضيقة بها . الثالث مقام
شهود القدر وانه وان كان ظالما بايصال هذا الاذى اليك فالذى قدره عليك
وأجراه على يد هذا الظالم ليس بظالم وأذى الناس مثل الحر والبرد لا حيلة
في دفعه ، فالمتسخط من أذى الحر والبرد غير حازم والسكل جار بالقدر وارزق
اختلفت طرقه وأسبابه . المقام الرابع مقام الاحسان الى المسيء ومقابلة إساءته
باحسانك ، وفي هذا المقام من الفوائد والمصالح ما لا يعلمه الا الله ، فان فات العبد
هذا المقام العالى فلا يرضى لنفسه بأحسن المقامات وأسفلها

فصل

القسم الثالث . ما يكون وروده باختياره فاذا تمكن لم يكن له اختيار ولا حيلة في دفعه وهذا كالعشق أوله اختيار و آخره اضطرار ، وكالتعرض لاسباب الأمراض والالام التي لا حيلة في دفعها بعد مباشرة أسبابها كما لا حيلة في دفع السكر بعد تناول المسكر . فهذا كان فرضه الصبر عنه في أوله فلما فاتته بقى فرضه الصبر عليه في آخره وأن لا يطيع داعى هواه ونفسه . وللشيطان هاهنا دسيسة عجيبة وهي أن يخيل اليه أن ينل بعض مامنع قد يتعين عليه أو يساح له على سبيل التداوى ، وغايته أن يكون كالتداوى بالخنز والنجاسة ، وقد أجازته كثير من الفقهاء وهذا من اعظم الجهل ، فان هذا التداوى لا يزال الداء بل يز يده ويقويه ، وكمن تداوى بذلك فكان هلاك دينه وديناه في هذا الدواء بل الدواء النافع لهذا الداء الصبر والتقوى . كما قال تعالى « وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » وقال « انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين » فالصبر والتقوى دواء كل داء من أدواء الدين ولا يستغنى أحدهما عن صاحبه فان قيل : فهل يثاب على الصبر في هذا القسم اذا كان عاصياً مفرطاً يتعاطى أسبابه وهل يكون معاقباً على ما تولد منه وهو غير اختياري له . قيل نعم اذا صبر لله تعالى وندم على ما تعاطاه من السبب المحذور أثيب على صبره لانه جهاد منه لنفسه وهو عمل صالح والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً . وأما عقوبته على ما تولد منه فانه يستحق العقوبة على السبب وما تولد منه كما يعاقب السكران على ما جنه في حال سكره فاذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران مقدوراً فان الله سبحانه يعاقب على الاسباب المحرمة وعلى ما تولد منها كما يثيب على الاسباب المأمور بها وعلى ما تولد منها . ولذا كان من دعا الى بدعة وضلالة فعليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه لان اتباعهم له تولد عن فعله ولذلك كان على ابن آدم القاتل لأخيه كفيل من ذنب كل قاتل إلى يوم القيامة وقد قال تعالى « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم

بغير علم، وقال تعالى « وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم » فان قيل؛ فكيف التوبة من هذا المتولد وليس من فعله، والانسان انما يتوب عما يتعلق باختياره. قيل التوبة منه بالندم عليه وعدم اجابة دواعيه وموجباته وحبس النفس عن ذلك، فان كان المتولد متعلقاً بالغير فتوبته مع ذلك برفعه عن الغير بحسب الامكان، ولهذا كان من توبة الداعي الى البدعة أن يبين ان ما كان يدعو اليه بدعة وضلالة، وان الهدى في ضده كما شرط تعالى في توبة اهل الكتاب الذين كان ذنبهم كتمان ما انزل الله من البيئات والهدى ليضلوا الناس بذلك أن يصلحوا العمل في نفوسهم ويبينوا للناس ما كانوا يكتُمونهم اياه فقال « ان الذين يكتُمون ما انزلنا من البيئات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم » وهذا كما شرط في توبة المنافقين الذين كان ذنبهم افساد قلوب ضعفاء المؤمنين وتحيزهم واعتصامهم باليهود والمشركين اعداء الرسول واطهارهم الاسلام رياء وسمعة أن يصلحوا بدل افسادهم وان يعتصموا بالله بدل اعتصامهم بالكفار من اهل الكفار والمشركين، وأن يخلصوا دينهم لله بدل إظهارهم له رياء وسمعة فهكذا تفهم شرائط التوبة وحققتها والله المستعان

الباب الرابع عشر

في بيان اشق الصبر على النفوس

مشقة الصبر سبب قوة الداعي الى الفعل وسهولته على العبد فاذا اجتمع في الفعل هذان الأمران ان كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر، وان فقدا معاً سهل الصبر عنه وان وجد احدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه وصعب من وجه فمن لاداعي له الى القتل والسرقه وشرب المسكر وانواع الفواحش والا هو سهل عليه فصبره عنه من ايسر شيء وأسهله، ومن اشتد داعيه الى ذلك وسهل عليه فعله فصبره عنه أشق شيء عليه، ولهذا كان صبر السلطان عن الظلم

وصبر الشباب عن الفاحشة وصبر الغنى عن تناول اللذات والشهوات عند الله
 بمكان. وفي المسند وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم عجب ربك من شاب
 ليست له صبرة. ولذلك استحق السبعة المذكورين في الحديث الذين يظلمهم
 الله في ظل عرشه لكمال صبرهم ومشقته فان صبر الامام المتسلط على العدل في
 قسمه وحكمه ورضاه وعضبه. وصبر الشباب على عبادة الله ومخالفة هواه؛ وصبر
 الرجل على ملازمة المسجد؛ وصبر المتصدق على اخفاء الصدقة حتى عن بعضه
 وصبر المدعو الى الفاحشة مع كمال جمال الداعي ومنصبه، وصبر المتحابين في
 الله على ذلك في حال اجتماعهما واقترافهما، وصبر الباكي من خشية الله على
 كتمان ذلك واظهاره للناس من أشق الصبر، ولهذا كانت عقوبة الشيخ الزاني والملك
 الكذاب والفقير المحتال أشد العقوبة لسهولة الصبر عن هذه الأشياء المحرمات
 عليهم لضعف دواعيها في حقهم، فكان تركهم الصبر عنها مع سهولته عليهم
 دليلا على تمردهم على الله وعتوهم عليه. ولهذا كان الصبر عن معاصي اللسان
 والفرج من أصعب أنواع الصبر لشدة الداعي اليهما وسهولتهما، فان معاصي
 اللسان فاكهة الانسان كالنخلة والغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس
 تعريضا وتصريحا وحكاية كلام الناس والطعن على من يبغضه ومدح من يحبه
 ونحو ذلك فتتفق قوة الداعي وتيسر حركة اللسان فيضعف الصبر. ولهذا
 قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ « امسك عليك لسانك » فقال « وانا لمؤاخذون
 بما نتكلم به » فقال « وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم »
 ولا سيما اذا صارت المعاصي اللسانية معتادة للعبد فانه يعز عليه الصبر عنها.
 ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ويتورع من استناده الى وسادة
 حرير، لحظة واحدة، ويطلق لسانه في الغيبة والنميمة والتفكك في أعراض الخلق
 وربما خص أهل الصلاح والعلم بالله والدين والقول على الله مالا يعلم. وكثير
 ممن تجده يتورع عن الدقائق من الحرام والقطرة من الخمر ومثل رأس الابرة
 من النجاسة. ولا يبالي بارتكاب الفرج الحرام. كما يحكى ان رجلا جلا بامراة
 اجنبية فلما أراد مواععتها قال يا هذه غطى وجهك فان النظر الى وجه الاجنبية

حرام . وقد سأل رجل عبد الله بن عمر (١) عن دم البعوض فقال انظروا الى هؤلاء يسألوني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . واتفق لي قريب من هذه الحكاية كنت في حال الاحرام فاتاني قوم من الاعراب المعروفين بقتل النفوس والاغارة على الاموال يسألوني عن قتل المحرم القمل فقلت يا عجبا لقوم لا يتورعون عن قتل النفس التي حرم الله قتلها ويسألون عن قتل القملة في الاحرام . والمقصود أن اختلاف شدة الصبر في أنواع المعاصي واحادها يكون باختلاف داعيه الى تلك المعصية في قوتها وضعفها . ويذكر عن علي رضي الله عنه أنه قال « الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة ، وصبر على الطاعة ، وصبر على المعصية . فمن صبر على المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ، ومن صبر على الطاعة حتى يؤديها كما أمر الله كتب الله له ستمائة درجة ، ومن صبر عن المعصية خوفاً من الله ورجاء ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة » وقال ميمون بن مهران « الصبر صبران فالصبر على المصيبة حسن وأفضل منه الصبر عن المعصية » وقال الفضيل في قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم » ثم قال « صبروا على ما أمروا به وصبروا عما نهوا عنه » وكأنه جعل الصبر على المصيبة داخلاً في قسم الامور به والله أعلم

الباب الخامس عشر

في ذكر ماورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز

قال الامام أحمد رحمه الله « ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعاً » انتهى . ونحن نذكر الانواع التي سيق فيها الصبر وهي عدة أنواع : احدها الامر به كقوله « واصبر وما صبرك الا بالله » « واصبر لحكم ربك » الثاني النهي عما يضاده كقوله « ولا تستعجل لهم » وقوله « ولا تنهوا ولا تحزنوا » وقوله « ولا تكن كصاحب الحوت » وبالجملة فكلماتها هي عنه فانه يضاد الصبر

(١) في هامش الاصل « وفي نسخة : سأل عبد الله بن عمر رجل من اهل الكوفة »

المأمور به. الثالث تعليق الفلاح به كقوله « يا أيها الذين آمنوا صبروا وصابروا
 ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » فعلق الفلاح بمجموع هذه الآدور. الرابع
 الاخبار عن مضاعفة أجر الصابر على غيره كقوله « انما يوفى الصابرون
 أجرهم غير حساب » قال سليمان بن القاسم كل عمل يعرف ثوابه الا الصبر
 قال الله تعالى « انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » قال : كالماء المنهمر .
 الخامس تعليق الامامة في الدين به وباليقين قال الله تعالى « وجعلناهم ائمة
 يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » فبالصبر واليقين تنال الامامة
 في الدين . السادس ظفرهم بمعينة الله سبحانه لهم قال تعالى « ان الله مع الصابرين »
 قال أبو علي الدقاق « فاز الصابرون بعز الدارين لانهم نالوا من الله معيته .
 السابع انه جمع للصابرين ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم وهي الصلاة منه عليهم
 ورحمته لهم وهدايته اياهم قال تعالى « وبشر الصابرين الذين اذاصابتهم مصيبة
 قالوا ان الله وانا اليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوئلك
 هم المهتدون » وقال بعض السلف وقد عوى على مصيبة نالته فقال مالي لا
 أصبر وقد وعدني الله على الصبر ثلاث خصال كل خصلة منها خير من الدنيا
 وما عليها . الثامن انه سبحانه جعل الصبر عوناً وعدة وأمر بالاستعانة به
 فقال « واستعينوا بالصبر والصلاة » فمن لا صبر له لا عون له . التاسع انه
 سبحانه علق النصر بالصبر والتقوى فقال تعالى « بلى ان تصبروا وتتقوا وياذنبكم
 من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين » ولهذا قال النبي
 صلى الله عليه وسلم « واعلم ان النصر مع الصبر » العاشر انه سبحانه جعل
 الصبر والتقوى جنة عظيمة من كيد العدو ومكره فما استجن العبد من ذلك
 جنة اعظم منهما قال تعالى « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
 شيئاً » ، الحادى عشر انه سبحانه أخبر أن ملائكته تسلم عليهم في الجنة
 بصبرهم كما قال « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم
 فنعم عقبى الدار » الثانى عشر انه سبحانه اباح لهم أن يعاقبوا على ما عوقبوا
 به ثم أقسم قسماً مؤكداً غاية التاكيد أن صبرهم خير لهم فقال « وان عاقبتم
 فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولن صبر ثم هو خير للصابرين » فتأمل هذا التاكيد

بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب . الثالث عشر انه سبحانه رتب المغفرة والاجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال « الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير » وهو لاء ثنية (١) الله من نوع الانسان المذموم الموصوف باليأس والكفر عند المصيبة والفرح والفخر عند النعمة ولا خلاص من هذا الذم الا بالصبر والعمل الصالح كما لا تنال المغفرة والاجر الكبير الا بهما . الرابع عشر انه سبحانه جعل الصبر على المصائب من عزم الامور أى بما يعزم من الامور التي انما يعزم على اجلها وأشرفها فقال « ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور » وقال لقمان لابنه وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور . الخامس عشر انه سبحانه وعد المؤمنين بالنصر والظفر وهي كلمته التي سبقت لهم وهي الكلمة الحسنى وأخبر انه انما انالهم ذلك بالصبر فقال تعالى « وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا » . السادس عشر انه سبحانه علق محبته بالصبر وجعلها لأهله فقال « وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين » . السابع عشر انه سبحانه أخبر عن خصال الخير انه لا يلقاها إلا الصابرون في موضعين من كتابه في سورة القصص في قصة قارون وان الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتى ويلمكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون، وفي سورة حميم السجدة حيث أمر العبد أن يدفع بالتي هي أحسن ، فاذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوة كأنه حبيب قريب ثم قال « وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » . الثامن عشر انه سبحانه أخبر انه إنما ينتفع بآياته ويتعظ بها الصبار الشكور فقال تعالى « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا ان أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور »

(١) ثنية الله أى الذين استنابهم الله . ومثله حديث كعب وقيل ابن جبير « الشهداء ثنية الله في الخلق »

أى الذين استنابهم الله من الصعق الذى يصيب الخلق اذا نفخ في الصور

وقال تعالى في لقمان « ألم تر ان الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » وقال في قصة سبا « وجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » وقال تعالى « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام، ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » فهذه أربع مواضع في القرآن تدل على أن آيات الرب إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر. التاسع عشر - أنه اثني على عبده أيوب بأحسن الثناء على صبره فقال « إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب » فأطلق عليه نعم العبد بكونه وجده صابراً ، وهذا يدل على أن من لم يصبر إذا ابتلى فانه بثس العبد. العشرون انه سبحانه حكم بالخسر ان حكماً عاماً على كل من لم يؤمن ولم يكن من أهل الحق والصبر ، وهذا يدل على انه لا راجح سواهم فقال تعالى « والعصر ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ولهذا قال الشافعي لو فكر الناس كلهم في هذه الآية لو سعتهم ولذلك ان العبد كاله في تكميل قوته قوة العلم وقوة العمل ، وهما الايمان والعمل الصالح وكما هو محتاج الى تكميل نفسه فهو محتاج الى تكميل غيره وهو التواصي بالحق والتواصي بالصبر وأخية ذلك وقاعدته وساقه الذي يقوم عليه انما هو الصبر. الحادي والعشرون انه سبحانه خص أهل الميمنة بأهل الصبر والمرحمة الذين قامت بهم هاتان الخصيتان ووصوا بهما غيرهم فقال تعالى « ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ، أولئك أصحاب الميمنة » وهذا حصر لأصحاب الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان والناس بالنسبة اليهما أربعة أقسام هؤلاء خير الاقسام ، وشرهم من لا صبر له ولا رحمة فيه ويليه من له صبر ولا رحمة عنده، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقة ولكن لا صبر له. الثاني والعشرون انه سبحانه قرن الصبر بأركان الاسلام ومقامات الايمان كلها فقرنه بالصلاة كقوله « واستعينوا بالصبر والصلاة » وقرنه بالأعمال الصالحة عموماً كقوله « إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات » وجعله قرين التقوى كقوله « انه من يتق

و يصبر » وجعله قرين الشكر كقوله « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور »
 وجعله قرين الحق كقوله « وتواصروا بالصبر وتواصوا بالرحمة » وجعله قرين
 اليقين كقوله « لما صبروا وكاوا بآياتنا يوقنون » وجعله قرين الصدق كقوله
 « والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات » وجعله سبب محبته ومعيته
 ونصره وعونه وحسن جزائه ويكفي بعض ذلك شرفاً وفضلاً والله أعلم .

الباب السادس عشر

في ذكر ماورد فيه من نصوص السنة

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكى على صبي لها فقال لها اتق الله واصبرى فقالت
 وماتبالي بمصيتي فلما ذهب قيل لها أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها
 مثل الموت فأنت بابيه فلم تجد على بابيه بوابين فقالت يا رسول الله لم أعرفك
 فقال إنما الصبر عند أول صدمة ، وفي لفظ عند الصدمة الأولى وقوله الصبر
 عند الصدمة الأولى مثل قوله ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك
 نفسه وقت الغضب، فان مفاجآت المصيبة بعتة ، لها روعة تززع القلب وتزعجه
 بصدمها ، فان صبر للصدمة الأولى انكسر حدها وضعفت قوتها فهان عليه
 استدامة الصبر ، وأيضاً فان المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه
 وهي الصدمة الأولى ، واما اذا وردت عليه بعد ذلك فقد توطن لها وعلم أنه
 لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار ، وهذه المرأة لما علمت أن جزعها
 لا يجدى عليها شيئاً جاءت تعتذر الى النبي صلى الله عليه وسلم كأنها تقول له قد
 صبرت فاخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى ، ويدل على هذا المعنى
 ما رواه سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال .
 مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة جاثمة على قبر تبكى فقال لها يا أمة الله
 اتق الله واصبرى ، قالت يا عبد الله ثكلى ، قال يا أمة الله اتق الله واصبرى ،
 قالت يا عبد الله لو كنت مصاباً عذرتنى ، قال يا أمة الله اتق الله واصبرى ، قالت

يا عبد الله قد سمعت فانصرف عني، فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعه
 رجل من أصحابه فوقف على المرأة فقال لها ما قال لك الرجل الذاهب قالت
 قال لي كذا وكذا وأجبتة بكذا وكذا قال هل تعرفينه؟ قالت لا، قال ذلك
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوثبت سرعة نحوه حتى انتهت اليه وهي تقول
 أنا أصبر أنا أصبر يا رسول الله، فقال الصبر عند الصدمة الأولى، الصبر عند
 الصدمة الأولى. قال ابن أبي الدنيا حدثنا بشر بن الوليد وصالح الكندي
 ابن مالك قالا حدثنا سعيد بن زرنى فذكره، فهذا السياق يبين معنى الحديث، قال
 ابو عبيد معناه أن كل ذى رزية فإن قصاره الصبر ولكنه إنما يحمد على صبره
 عند حدة المصيبة وحرارتها. قلت وفي الحديث أنواع من العلم أحدها وجوب
 الصبر على المصائب وأنه من التقوى التي أمر العبد بها. الثاني الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وان سكر المصيبة وشدها لا يسقطه عن الأمر الناهي. الثالث
 تكرار الأمر والنهي مرة بعد مرة حتى يعذو الأمر الى ربه. الرابع احتج به
 على جواز زيارة النساء للقبور فإنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر عليها الزيارة
 وإنما أمرها بالصبر، ولو كانت الزيارة حراما لبين لها حكمها وهذا كان في آخر
 الأمر. فان أبا هريرة إنما أسلم بعد السنة السابعة، واجيب عن هذا بأنه صلى الله
 عليه وسلم قد أمرها بتقوى الله والصبر وهذا إنكار منه لحالها من الزيارة
 والبكاء ويدل عليه أنها لما علمت أن الأمر لها من تجب طاعته انصرفت مسرعة،
 وأيضا فابو هريرة لم يخبر أنه شهد هذه القصة فلا يدل الحديث على أنها بعد
 اسلامه، ولو شهدا فلعنته صلى الله عليه وسلم لزيارات القبور والمتخذين عليها
 المساجد والسرج كان بعد هذا في مرض موته وفي عدم تعريفه لها بنفسه في
 تلك الحال التي لا تملك فيها نفسها شفقة منه ورحمة بها اذا عرفها بنفسه في
 تلك الحال فربما لم تسمع منه فتهلك وكان معصيتها له وهي لا تعلم انه رسول
 الله اخف من معصيتها له لو علمت، فهذا من كمال رأفته صلوات الله وسلامه
 عليه وفي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله انا لله وانا اليه راجعون

اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيرا منها الا أخلق الله خيرا منها . قالت
فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة ، أول بيت هاجر الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إنى قتلها فأخلف الله لي رسوله صلى الله عليه
وسلم فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب بن أبي بلتعة يخطبني له
فقلت ان لي بنتا وأنا غير فقال أما بنتها فادعو الله أن يغنيها عنها وادعو الله
أن يذهب بالغيرة فتزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعند أبي داود
في هذا الحديث عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أصابت احدكم
مصيبة فليقل انا لله وانا اليه راجعون اللهم عندك احتسب مصيبي فاجرني
فيها وأبدلني خيرا منها فلما احتضر أبو سلمة قال اللهم اخلفني في أهلي خير
منى فلما قبض قالت أم سلمة انا لله وانا اليه راجعون ، عند الله احتسب مصيبي .
فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله الى ما آلت ،
وأنا لأم سلمة نكاح اكرم الخلق على الله . وفي جامع الترمذي ومسنند الامام
احمد وصحيح بن حبان عن أبي موسى الاشعري قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي ، فيقولون نعم
فيقول قبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم ، فيقول ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجعك فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد . وفي صحيح
البخاري من حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اذا ابتليت
عبدي بحبيبية ثم صبر عوضته منهما الجنة ، يريد عينيه . وعند الترمذي في
الحديث اذا اخذت كريمي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي الا الجنة .
وفي الترمذي أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى
عليه وسلم يقول الله عز وجل من أذبت حبيبيه فصبر واحتسب لم أرض
له ثوابا دون الجنة . وفي سنن أبي داود (١) من حديث عبد الله بن عمر قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرضى الله لعبده المؤمن اذا ذهب
بصفيه من أهل الارض واحتسبه بثواب دون الجنة وفي صحيح البخاري

(١) في هامش الاصل : وفي نسخة « وفي سنن النسائي »

من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ما لعبدى المؤمن جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة. وفي صحيحه ايضا عن عطاء بن ابى رباح قال : قال لى ابن عباس الا أريك امرأة من أهل الجنة قلت بلى قال هذه المرأة السوداء انت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إني اصرع وانى اتكشف فادع الله لى، قال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله تعالى ان يعافيك فقالت اصبر فقالت انى اتكشف فادع الله ان لا اتكشف فدعا لها. وفي الموطأ من حديث عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض العبد بعث اليه ملكين، فقال انظرا ماذا يقول لعوده فان هو اذ جاؤه حمد الله وأثنى عليه رفعا ذلك الى الله وهو أعلم، فيقول ان لعبدى على ان توفيته أن ادخله الجنة وان انا شفيته ان أبدله لحما خيرا من لحمه ودماء خيرا من دمه وأن أ كفر عنه سيئاته. وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الصبر فيقوم ناس وهم قليلون فينطلقون سراعا الى الجنة فتلقاهم الملائكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فمن اتم؟ فيقولون نحن أهل الفضل، فيقولون ما كان فضلكم، فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا، واذا أسىء الينا غفرنا، واذا جهل علينا حلمنا، فيقال لهم ادخلو الجنة فنعلم أجر العاملين. وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم مالا فقال بعض الناس هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر. وفي الصحيحين من حديث الزهري عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما من مصيبة تصيب المسلم الا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وفيهما أيضا من حديث أبى سعيد وأبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها. وفي صحيح مسلم من حديث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يصيب

المؤمن من شوكة فما فوقها الا رفعه الله بهادرجة وخط عنه خطيئته وفي المسند
 من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه قل لا يزال البلاء بالمؤمن أو
 المؤمنة في جسده وفي ماله وفي ولده حتى يلقي الله وما عليه خطيئته وفي الصحيح
 من حديث سعد بن أنى وقاص رضى الله عنه قال: قلت يا رسول الله اى الناس
 أشد بلاء، قال الا نبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب
 دينه فان كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه وان كان فى دينه رقة خفف عنه
 وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على الارض وليس عليه خطيئة. وفي الصحيحين
 عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو يوعك وعكا شديداً. قل فقلت يا رسول الله انك لتوعك وعكا شديداً. قال
 أجل إني لأوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت إن لك لأجرين قال نعم، والذي
 نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه الا حظ الله عنه
 به خطاياها كما تحط الشجرة اليابسه ورقها. وفي الصحيحين أيضاً من حديث عائشة
 رضى الله عنها قالت ما رأيت ألوجع أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وفي بعض المساند مرفوعاً إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها
 بعمل حتى يبتلى ببلاء فى جسمه فيبلغها بذلك. ويروى عن عائشة رضى الله
 عنها عنه صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما
 يخلص الكبر الخبث من الحديد. وفي صحيح البخارى من حديث خباب بن
 الارت قال شكرونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد ببرد له فى
 ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعونا، فقال قد كان من قبلكم يؤخذ
 الرجل فيحضر له فى الأرض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمشار فيوضع على رأسه
 فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن
 دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يصير الراكب من صنعاء الى حضر موت
 لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكم تستعجلون. وفي لفظ للبخارى
 اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة وقد لقينا من
 المشركين شدة فقلنا الا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه فقال لقد كان الرجل

لمشط بامشاط الحديد مادون لحمه وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه وقد حمل
 أهل العلم قول خباب شكونا الى رسول صلى الله عليه وسلم حر الرضاء فلم
 يشكنا على هذا المحمل وقال شكوا اليه حر الرضاء الذي كان يصيب جباههم
 واكفهم من تعذيب الكفار فلم يشكهم وانما دلهم على الصبر . وهذا الوجه
 أنسب من تفسير من فسر ذلك بالسجود على الرضاء واحتج به على وجوب
 مباشرة المصلي بالجبهة لثلاثة أوجه: أحدها انه لا دليل في اللفظ على ذلك . الثاني
 انهم قد أخبروا انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان أحدهم اذا لم
 يستطع أن يسجد على الأرض يبسط ثوبه فسجد عليه، والظاهر ان هذا يبلغه
 ويعلم به وقد أقرهم عليه. الثالث ان شدة الحر في الحجاز تمنع من مباشرة الجبهة
 والكف للأرض بل يكاد يشوي الوجه والكف فلا يتمكن من الطمأنينة
 في السجود ويذهب خشوع الصلاة ويتضرر البدن ويتعرض للرض .
 والشيعة لا تأتي بهذا فتأمل رواية خباب لهذا والذي قبله واجمع بين اللفظين
 والمعنيين والله أعلم، ولا تستوحش من قوله فلم يشكنا فانه هو معنى إعراضه
 عن شكائهم واخباره لهم بصبر من قبلهم والله أعلم . وفي الصحيح من حديث
 اسامة ابن زيد قال أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم اليه إن ابى الى احتضر
 فأتنا، فأرسل يقريها السلام ويقول ان الله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده
 باجل مسمى فالتصبر ولتحتسب، فأرسلت اليه تقسم عليه ليا تينها فقام ومعه
 سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وابي ابن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرجع
 الصبي الى رسول الله فاقعده في حجره ونفسه تقعقع كأنها شن ففاضت عيناه
 فقال سعد يا رسول الله ما هذا قال هذه رحمة جعله الله في قلوب من يشاء من
 عباده، وانما يرحم الله عباده من الرحماء . وفي سنن النسائي عن ابن عباس قال
 احتضرت ابنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرة فاخذها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وضمها الى صدره ثم وضع يده عليها وهي بين يدي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فبكت ام ايمن فقلت لها اتبكين ، ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم عندك فقلت مالي لا ابكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبكي فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لست ابكى ولكنها رحمة . ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو
يحمد الله عز وجل . وفي صحيح البخارى من حديث انس رضى الله عنه قال اشتكى
ابن لابي طلحة فمات وأبو طلحة خارج فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت
شيئاً وسجنه فى جانب البيت فلما جاء أبو طلحة قال كيف الغلام قالت قد هدأت
نفسه وأرجو أن يكون قد استراح فظن أبو طلحة أنها صادقة قال فبات معها فلما
أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم أخبره بما كان منهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله
أن يبارك لكما فى ليلتكما قال ابن عيينة فقال رجل من الانصار فرأيت له تسعة
أولاد كلهم قد قرؤوا القرآن . وفى موطأ مالك عن القاسم بن محمد قال هلك
امرأة لى فأتانى محمد بن كعب القرظى يعزىنى فيها فقال انه قد كان فى بنى اسرائيل
رجل فقيه عابد عالم مجتهد وكانت له امرأة وكان بها معجبا فماتت فوجد عليها
وجداً شديداً حتى خلى فى بيت وأغلق على نفسه واحتجب عن الناس ، فلم يكن
يدخل عليه أحد ، ثم ان امرأة من بنى اسرائيل سمعت به فجاءته فقالت ان لى
اليه حاجة أستفتيه فيها ليس يجزىنى الا أن أشافه بها فذهب الناس ولزمت
الباب فاخبر فاذن لها فقالت أستفتيك فى أمر قال وما هو قالت انى استعرت
من جارة حلياً فكنت ألبسه وأعيره زماناً ثم أنها أرسلت إلى فيه فأرده
الها ؟ قال نعم ، قالت والله إنه مكث عندى زماناً فقال ذلك أحق لردك إياه
فقالت له يرحمك الله أفتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك وهو أحق به
منك فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها . وفى جامع الترمذى عن شيخ من
بنى مرة قال قدمت الكوفة فاخبرت عن بلال بن أبى بردة فقلت إن فيه لمعترا
فأتيته وهو محبوس فى داره التى كان بناء واذ اكل شىء منه قد تغير من العذاب
والضرب واذ هو فى قشاش ، فقلت له الحمد لله يا بلال لقد رأيتك تمر بنا وأنت
تمسك أنفك من غير غبار وأنت فى حالتك هذه فكيف صبرك اليوم فقال
من أنت ، قلت من بنى مرة بن عباد قال ألا أحدثك حديثاً عسى أن ينفعك
الله به قال هات قال حدثنى أبو بردة عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال لا يصيب عبداً نكبة فما فوقها أو دونها الا بذنب وما يعفو الله عنه
 اكثر قال وقرأ « وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير »
 وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كأني أنظر إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي أن نبياً من الانبياء ضربه قومه فادموه وهو
 يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم أغفر لقومي فانهم لا يعلمون فتضمنت هذه
 الدعوة العفو عنهم والدعاء لهم والاعتذار عنهم والاستعطاف بقوله لقومي. وفي
 الموطأ من حديث عبد الرحمن بن القاسم قال : قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ليعز المسلمين في مصائبهم المصيبة بي . وفي الترمذي من حديث يحيى بن
 وثاب عن شيخ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم . قال الترمذي كان
 شعبة يرى أن الشيخ ابن عمر . وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما أعطى أحد عطاء خير
 وأوسع من الصبر . وفي بعض المسانيد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله
 عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم
 استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيمة ان أنصب له ميزانا أو أنشر
 له ديواناً . وفي جامع الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم إذ أحب الله قوماً ابتلاهم
 فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط . وفي بعض المسانيد عنه صلى الله
 عليه وسلم مرفوعاً اذا أراد الله بعبد خيراً صب عليه البلاء صباً . وفي صحيح
 مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 دخل على امرأة فقال مالك ترفرفين قالت الحمى لا بارك الله فيها قال تسمى الحمى
 فانها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكبر خبث الحديد . ويذكر عن أبي
 هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من وعك ليلة فصبر
 ورضى عن الله تعالى خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال الحسن إنه ليكفر
 عن العبد خطاياها كلها بحمى ليلة . وفي المسند وغيره عن أبي سعيد الخدري
 رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو محموم فوضعت
 يدي من فوق القטיפه فوجدت حرارة الحمى، فقلت ما أشد حماك يا رسول الله

قال إنا كذلك معاشر الانبياء يضاعف علينا الوجد ليضاعف لنا الأجر قال قلت يا رسول الله فأي الناس أشد بلاء قال الانبياء قلت ثم من . قال الصالحون ان كان الرجل ليتلى بالفقر حتى ما يجد الا العباء فيجوبها فيلبسها ، وإن كان الرجل ليتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب اليهم من العطا اليكم وقال عقبه بن عامر الجهني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من عمل إلا وهو يختم عليه ، فاذا مرض المؤمن قالت الملائكة يا ربنا عبدك فلان قد حبسته عن العمل فيقول الرب تعلى اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت . وقال أبو هريرة رضي الله عنه ادا مرض العبد المسلم نودي صاحب اليمين ان اجر على عبدى صالح ما كان يعمل وهو صحيح ويقال لصاحب الشمال اقصر عن عبدى مادام في وثاقي ، فقال رجل عند ابى هريرة ياليتنى لا ازال ضاجعا فقال أبو هريرة كره العبد الخطايا ذكره ابن ابى الدنيا وذكر أيضا عن هلال بن بساق قال كنا قعودا عند عمار بن ياسر فذكروا الاوجاع فقال اعرابي ما اشتكيت قط فقال عمار ما انت منا أو لست منا ان المسلم يتبلى ببلاء فتحط عنه ذنوبه كما يحط الورق من الشجر ، وان الكافر او قال الفاجر يتبلى ببلية فثله مثل البعير ان اطلق لم يدر لم أطلق وان عقل لم يدر لم عقل وذاكر عن ابى معمر الازدى قال كنا اذا سمعنا من ابن مسعود شيئا نكرهه سكتنا حتى يفسره لنا فقال لنا ذات يوم الا ان السقم لا يكتب له ، أجر فساءنا ذلك وكبر علينا فقال ولكن يكفر به الخطيئة فسرنا ذلك واعمجنا ، وهذا من حال علمه وفقهه رضي الله عنه فان الاجر انما يكون على الاعمال الاختيارية وما تولد منها كما ذكر الله سبحانه النوعين في آخر سورة التوبة في قوله في المباشر من الانفاق وقطع الوادى الا كتب لهم وفي المتولد من إصابة الضياء والنصب والمخضمة في سبيله وغيظ الكفار الا كتب لهم به عمل صالح فالثواب مرتبط بهذين النوعين وأما الإسقام والمصائب فان ثوابها تكفير الخطايا . ولهذا قال تعالى « وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم » والنبي صلى الله عليه وسلم انما قال في المصائب كفر الله بها من خطاياها كما تقدم ذكر الفاضل صلى الله عليه وسلم وكذا قوله المرض حطة ، فالطاعات ترفع الدرجات ، والمصائب تحط السيئات . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم من

يرد الله به خيرا يصب منه ، وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يفقهه في الدين فهذا يرفعه وهذا يحط خطاياہ وقال يزيد بن ميسرة إن
العبد لمرض المرض وماله عند الله من عمل خير فيذكره الله سبحانه
بعض ما سلف من خطاياہ فيخرج من عينه مثل رأس الذباب من الدرع
من خشية الله فيبعثه الله ان يبعثه مطهراً أو يقبضه إن قبضه مطهراً ولا يرد
على هذا حديث أبي موسى الأشعري رضى الله عنه في ثواب من قبض الله
ولده وثمره فؤاده بان يبقى له بيتا في الجنة ويسميه بيت الحمد . وقال زياد بن
زياد مولى بن عباس رضى الله عنه وعن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال دخلنا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ممعوك أى محموم فقلنا اح اح بأبائنا
وامهاتنا يارسول الله ما أشد وعكك قال إنا معاشر الانبياء يضاعف علينا البلاء
تضعيفا ، قال قلنا سبحان الله ، قال افعجبتم ان كان النبي من الانبياء ليقتله القمل
قلنا سبحان الله ، قال أفاعجبتم إن أشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل
فالا مثل ، قلنا سبحان الله قال افعجبتم ان كان النبي من الانبياء ليقتله القمل ، قلنا
سبحان الله ، قال افعجبتم ان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخا . اح بالحاء
المهملة هو المعروف من كلامهم ومن قاله بالحاء المعجمة فقد غلط . وذكر النسائي
عن عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في
نسوة تعودن فاذا سقاء ملعقة يقطر ماءها من شدة ما كان يجد من الحمى ، فقلنا
لودعوت الله يارسول الله أن يذهبها عنك ، فقال إن أشد الناس بلاء الانبياء ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم . وقال مسروق عن عائشة رضى الله عنها ما رأيت
أحداً أشد وجعاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم : كان يشدد عليه اذا مرض
حتى انه لربما مكث خمس عشرة لا ينام وكان يأخذه عرق السكية وهو
الخاصرة فقلنا يارسول الله لودعوت الله فيكشف عنك ، قال إنا معاشر الانبياء
يشدد علينا الوجل ليكفر عنا . وفي المستند والنسائي من حديث أبي سعيد
قال : قال رجل يارسول الله ارأيت هذه الامراض التي تصيبنا ما لنا بها
قال كفارات فقال أبى بن كعب يارسول الله وان قلت قال شوكة فما فوقها
قال فدعا أبى على نفسه عند ذلك ان لا يفارقه الوعك حتى يموت ولا يشغله

عن حج ولا عمرة ولا جهاد في سبيل الله وصلاة مكتوبة في جماعة، قال فإمس
 رجل جلده بعدها الا وجد حرها حتى مات . وقال عبد الله بن عمر قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض
 قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان طلقا أو اكتبه الى ناقة طلق
 بضم الطاء واللام اذا حل عقابها ، ويقال كفته اليه اذا ضمه اليه ذكره ابن
 ابي الدنيا وذكر أيضا عن ابي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله
 وسلم ان الله ليجرب احدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم
 من يخرج كالذهب الابريز فذلك الذي نجاه الله من السيئات، ومنهم من يخرج
 كالذهب دون ذلك، فذلك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب
 الاسود فذلك الذي قد افتن . وذكر أيضا من مراسيل الحسن البصري عن النبي
 صلى الله عليه وسلم ان الله ليكفر عن المؤمن خطايا كلها بحمى ليلة . قال ابن ابي
 الدنيا قال ابن المبارك هذا من الحديث الجيد قال وكانوا يرجون في حمى ليلة كفارة
 ماضى من الذنوب . وذكر عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل
 على رجل وهو يشتكى فقال : قل اللهم انى أسألك تعجيل عافيتك وصبراً على
 بليتك وخروجاً من الدنيا الى رحمتك . وقالت عائشة قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم . ان الحمى تحط الخطايا كما تحط الشجرة ورقها . وقال ابو هريرة وقد
 عاد مريضاً فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله عز وجل يقول
 هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار فى الآخرة
 وقان مجاهد الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ « وان منكم الا واردها كان
 على ربك حتما مقضيا » وهذا لم يرد به مجاهد تفسير الورود الذى فى القرآن
 فان السياق يابى حمله على الحمى قطعاً . وانما مراده ان الله سبحانه وعده عباده
 كلهم بورود النار . فالحمى للمؤمن تكفر خطاياهم فيسهل عليه الورود يوم القيامة
 فينبجو منها سريعاً والله اعلم . ويدل عليه حديث ابي ریحانة عن النبي صلى
 الله عليه وسلم الحمى . من كبر جهنم وهى نصيب المؤمن من النار ، وقال أنس
 رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . مثل المؤمن اذا برأ وصح من
 مرضه كمثل البردة تقع من السماء فى صفاها ولونها . ذكره ابن ابي الدنيا ، وذكر

أيضاً عن ابى امامة برفعه مامن مسلم يصرع صرعة من مرض الا بعث منها
 طاهراً . وذكر عنه صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن حين يصيبه الوعك مثل
 الحديد تدخل النار فيذهب خبيثها ويبقى طيبها . وذكر أيضاً عنه مرفوعاً أن
 العبد اذا مرض أوحى الله الى ملائكته ياملائكتى أنا قيدت عبدى بقيد من
 قيودى فأنا أقبضه أعفر له وأن أعافه ففسد مغفور لا ذنب له . وذكر عن سهل
 ابن أنس الجهنى عن أبيه عن جده قال دخلت على أبى الدرداء فى مرضه
 فقلت يا أبى الدرداء انا نحب أن نصبح ولا نمرض ، فقال أبو الدرداء سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الصداع والمليلة لا يزلان بالأمم
 وان كان ذنبه مثل أحد حتى لا يدعان عليه من ذنبه مثقال حبة من خردل .
 المليلة فعيلة من التمليل واصلها من الملة التى يخبز فيها . وقالت أم سلمة عن
 النبى صلى الله عليه وسلم ما ابتلى الله عبداً ببلاء وهو على طريق يكرهها
 إلا جعل الله ذلك البلاء كفارة وطهوراً ما لم ينزل ما اصابه من البلاء بغير
 الله أو يدعو غير الله يكشفه . وقال عطية بن قيس مرض كعب فعاده رهط من
 اهل دمشق فقالوا كيف نجدك يا اسحق قال بخير ، جسد أخذ بذنبه ان
 شاء ربه . عذبه وان شاء رحمه ، وان بعثه بعثه خلقاً جديداً لا ذنب له .
 وقال سعيد بن وهب دخلنا مع سليمان الفارسى على رجل من كنده نعوده
 فقال سليمان ان المسلم يبتلى فيكون كفارة لما مضى ومستعباً فى ما بقى
 وان الكافر يبتلى فمثله كمثل البعير أطلق فلم يدر لم أطلق وعقل
 فلم يدر لم عقل . وذكر أيضاً عن أبى أيوب الانصارى قال عاد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الانصاروا كب عليه فسأله فقال يا نبى الله
 ما غمضت منذ سبع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أخى أصبر ،
 أى أخى اصبر تخرج من ذنوبك كما دخلت فيها ، ثم قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا . وفى النسائى من
 حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال لا عرابى هل
 أخذتك أم ملدم قال يا رسول الله وما أم . ملدم قال حر يكون بين الجلد
 والدم . قال ما وجدت هذا قال يا اعرابى هل أخذك هذا الصداع قال

يا رسول الله وما الصداع قال عرق يضرب على الانسان في رأسه : قال
 ما وجدت هذا فلما ولي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحب أن
 ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا . وقالت أم سليم مرضت فعادني
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم أتعرفين النار والحديد
 وخبث الحديد قلت نعم يا رسول الله قال ابشري يا ام سليم فانك ان
 تخلصي من وجعك هذا تخلصي منه كما يخلص الحديد من النار من خبثه .
 وخرج بعض الصحابة زائرا لرجل من أخوانه فبلغه أنه شاك قبل أن يدخل
 عليه فقال أتيتك زائرا وأتيتك عائدا ومبشرا قال كيف جمعت هذا قال
 خرجت وأنا أريد زيارتك فبلغني شكاتك فصارت عيادة وإبشرك بشيء
 سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، اذا سبقت للعبد من الله منزلة لم
 يبلغها او قال لم ينلها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ولده أو في ماله ثم صبره
 حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل . وقال الحسن وذ كر الوجد
 أما والله ما هو بشر أيام المسلم أيام نورت له فيها مراحلها وذ كر فيها مانسى من
 معاده و كفر بها عنه من خطاياها وقال بعض السلف لولا مصائب الدنيا لوردنا
 الآخرة مفايس . وقال أنس ابن مالك رضى الله عنه انتهى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى شجرة فهزها حتى سقط من ورقها ماشاء الله ثم قال المصائب
 والاورجاج في احباط ذنوب أمتي أسرع منى في هذه الشجرة . وذ كر ابن أبي
 الدنيا عن أبي هريره يرفعه : ما من مسلم الا وكل الله به ملكين من ملائكته
 لا يفارقانه حتى يقضى الله بأمره باحدى الحسينين اما بموت واما بحياة ، فاذا قال
 له العواد كيف تجدك قال احمد الله أجدنى والله المحمود بخير قال له الملكان
 ابشر بدم هو خير من دمك وصحة هي خير من صحتك وان قال أجدنى مجهوداً
 فى بلاء شديد قال له الملكان أبشر بدم هو شر من دمك وبلاء أطول من
 بلائك ولا يناقض هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم فى وجعه و رأساه وقول
 سعد يا رسول الله قد اشتد بى الوجد وأنا ذو مال قول عائشة و رأساه فان هذا
 إنما قيل على وجه الاخبار لا على وجه شكوى الرب تعالى الى العواد ، فاذا حمد

المريض الله سم أخبر بعلته لم يكن شكوى منه وإن أخبر بها تبرأ وتسخطا كان
 شكوى منه فالكلمة الواحدة قد يثاب عليها وقد يعاقب بالنية والقصد: وقال
 ثابت البناني انطلقنا مع الحسن الى صفوان ابن محرز نعوده فخرج الينا ابنه وقال
 هو مبطون لا يستطيعون ان تدخلوا عليه فقال الحسن ان اباك ان يؤخذ اليوم
 من لحمه ودمه فيوجد فيه خير من ان يأكله التراب. وقال ثابت ايضا دخلا على
 ربيعة بن الحارث نعوده وهو ثقيل فقال انه من كان في مثل حالتى هذه ملائت
 الآخرة قلبه كانت الدنيا اصغر في عينيه من ذباب. وذكر عن أنس عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال اذا مرض العبد ثلاثة ايام خرج من ذنوبه كيوم
 ولدته امه، ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم لا ترد دعوة المريض حتى يبرأ.
 وذكر ابن ابي الدنيا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى
 الله عليه وسلم جالسا فتبسم فقلنا يارسول الله مم تبسمت، قال تعجبا للمؤمن
 من جزعه من السقم ولو كان يعلم ماله في السقم أحب ان يكون سقيما
 حتى يلقى الله ثم تبسم ثانية ورفع رأسه الى السماء قلنا يارسول الله مما
 تبسمت ورفعت رأسك الى السماء قال عجبت من ملكين نزلا من
 السماء يلتمسان عبدا مؤمنا كان في مصلاه يصلى فلا يجدها فعرجا الى الله
 فقالا يارب عبدك فلان المؤمن كنا نكتب له من العمل في يوم وليلة كذا
 وكذا فوجدنا قد حبسته في جبالك فلم نكتب له شيئا من عمله فقالا كتبوا
 لعبدي عمله الذى كان يعمل في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئا فعلى أجر
 ما حبسته وله أجر ما كان يعمل. ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم من وعك ليلة
 فصبر ورضى بها عن الله عز وجل خرج من ذنوبه كهيئة يوم ولدته امه.
 ومن مراسيل يحيى بن كثير قال فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان
 فسأل عنه فأخبر انه عليل فأتاه يعوده فقال شفى الله سقمك وعظم أجرك
 وغفر ذنبك ورزقك العافية في دينك وجسمك الى منتهى أجلك، ان لك
 من وجعك خلا لا ثلاثا: أما الأولى فتذكر من ربك يذكرك بها.
 وأما الثانية فتمحيص لما سلف من ذنوبك. وأما الثالثة فادع بما شئت فان
 المبتلى مجاب الدعوة. وقال زياد بن الربيع قلت لأبي بن كعب آية من

كتاب الله قد احزنتني قال ماهي قلت « من يعمل سوءاً يجز به به » قال
 ما كنت أراك الا افقه مما أرى إن المؤمن لا يصيبه عثرة قدم ولا اختلاج
 عرق الا بذنب وما يعفو الله عنه اكثر . وسئلت عائشة عن هذه الآية فقالت
 ما سألتني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم يا عائشة هذه معاينة الله تعالى لعبده بما يصيبه من الحمي والبليلة
 والشوكة وانقطاع شسعه حتى البضاعة يضعها في كفه فيفقدوها فيفزع لها
 فيجدها في اضنبه حتى ان المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج الذهب الاحمر
 من الكير. ضمن الانسان ما تحت يده يقال اضطن كذا اذا حمه تحت يده
 وقال وهب بن منبه لا يكون الرجل فقيها كامل الفقه حتى يعد البلاء نعمة ويعد
 الرخاء مصيبة . وذلك ان صاحب البلاء ينتظر الرخاء وصاحب الرخاء ينتظر
 البلاء . وفي بعض كتب الله سبحانه ان الله ليصيب العبد بالأمير يكرهه وانه
 ليحبه لينظر كيف تضرعه اليه . وقال كعب أجد في التوراة لو أن يحزن عبدي
 المؤمن لعصبة الكافر بعصاة من حديد لا يصدع ابداً . وقال معروف الكرخي
 ان الله ليبتلي عبده المؤمن بالاسقام والاوجاع فيشكو الى اصحابه فيقول الله
 تبارك وتعالى وعزتي وجلالي ما ابتليتك بهذه الاوجاع والاسقام الا لأغسلك
 من الذنوب فلا تشتك . وذكر ابى الدنيا ان رجلا قال يا رسول الله ما الاسقام
 قال او ما سقمت قط قال لا فقال قم عنا فليست مؤمنا . وكان عبد الله
 ابن مسعود قد اشتدت به العلة فدخل عليه بعض اصحابه يعودده واهله
 تقول نفسي فداك ما نطعمك ما نسقيك فأجابها بصوت ضعيف بليت الحراقيف
 وطالت الضجعة والله ما يسرنى ان الله نقصني منه قلامة ظفر . وطلق خالد
 ابن الوليد امرأة له ثم احسن عليها الثناء فقيل له يا أبا سليمان لاي شيء طلقتهما
 قال ما طلقتهما لامر رابني منها ولا ساءني ولكن لم يصبها عندي بلاء . ويذكر
 عنه صلى الله عليه وسلم ما ضرب على مؤمن عرق الا كتب الله له به حسنة
 وحط عنه به سيئة ورفع له به درجة . ولا ينافي هذا ما قدمناه من ان المصائب
 مكفرات لا غير، لان حصول الحسنة انما هو بصبره الاختيارى عليها وهو عمل
 منه . وعاد رجل من المهاجرين مريضا فقال ان للهريض أربعاً يرفع عنه القلم

ويكتب له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته ويتبع المرض كل خطيئة من مفصل من مفصله فيستخرجها فان عاش عاش مغفوراً له وان مات مات مغفوراً له، فقال المريض اللهم لا ازال مضطجعاً وفي المسند صلى الله عليه وسلم والذي نفس بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء الا كان خيراً له وليس ذلك الا للمؤمن. وفي لفظ ان امر المؤمنين كله عجيب ان اصابته سراء شكر فكان خيراً له وان اصابته ضراء صبر فكان خيراً له

الباب السابع عشر

في الآثار الواردة عن الصحابة

ومن بعدهم في فضيلة الصبر

قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن مالك بن مغول عن السفر قال مرض أبو بكر رضى الله عنه فعادوه فقالوا ألا ندعوا لك الطبيب فقال قد رآنى الطبيب قالوا فإى شيء قال لك قال انى فعال لما أريد. وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية. حدثنا الاعمش عن مجاهد قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجدنا خير عيشنا بالصبر وقال أيضاً أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً. وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه ألا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، فاذا قطع الرأس بار الجسد، ثم رفع صوته. فقال ألا انه لا ايمان لمن لا صبر له، وقال الصبر مطية لا تكبو. وقال الحسن الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله الا لعبد كريم عنده. وقال عمر بن عبد العزيز ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر الا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه. وقال ميمون بن مهران ما نال أحد شيئاً من ختم الخير فما دونه الا الصبر وقال سليمان بن القاسم كل عمل يعرف ثوابه الا الصبر. قال الله تعالى: «انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» قال كالماء المنهمر. وكان بعض العارفين فى جيبه رقعة يخرجها كل وقت ينظر فيها، وفيها «واصبر لحكم بك فانك باعيننا» وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه

لو كان الصبر والشكر بعيرين لم ابال أيهما ركبت ، وكان محمد بن شبرمه اذا نزل به بلاء قال سحابة صيف ثم تنقشع ، وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا » لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رؤوسا. وقيل للاحنف بن قيس ما الحلم قال ان تصبر على ما تكره قليلا. وقال وهب مكتوب في الحكمة قصر السفه النصب ، وقصر الحلم الراحة وقصر الصبر الظفر . قصر الشيء وقصاراه غايته وثمرته. وقدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد وكان من أحسن الناس وجها فدخل يوما على الوليد في ثياب وشيء وله غدirtان وهو يضرب بيده فقال الوليد هكذا تكون فتيان قريش فعانه فخرج من عنده متوسنا فوقع في اصطبل الدواب فلم تزل الدواب تطأه بأرجلها حتى مات . ثم إن الآكلة وقعت في رجل عروة فبعث اليه الوليد الاطباء فقالوا ان لم تقطعها سرت الى باقى الجسد فتهلك فعزم على قطعها ، فذسروها بالمنشار فلما صار المنشار الى القصبة وضع رأسه على الوسادة ساعة فغشى عليه ثم افاق والعرق يتحدر على وجهه وهو يهلل ويكبر فأخذها وجعل يقلبها في يده ثم قال اما والذي حملني عليك انه ليعلم انى ما مشيت بك الى حرام ولا الا معصية ولا الى ما لا يرضى الله ، ثم أمر بها فغسلت وطببت وكفنت في قطيفة ، ثم بعث بها الى مقابر المسلمين. فلما قدم من عند الوليد المدينة تلقاه أهل بيته واصدقاؤه يعزونه فجعل يقول لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يزد عليه ثم قال لا أدخل المدينة انما انا بها بين شامت بنسكة أو حاسد لنعمة فمضى الى قصر بالعقيق فاقام هنالك ، فلما دخل قصره قال له عيسى بن طلحة لا ابا لشانك ارني هذه المصيبة التي نعزيك فيها فكشف له عن ركبته فقال له عيسى أما والله ما كنا نعدك للصراع قد أبقى الله أكثرك ، عقلك ولسانك وبصرك ويداك واحدى رجائك فقال له يا عيسى ما عزانى أحد مثل ما عزيتنى به ، ولما أرادوا قطع رجله قالوا له لوسقيناك شيئا كيلا تشعر بالوجع فقال انما ابتلانى ليرى صبرى أفا عارض أمره . وسئل ابنه هشام كيف كان أبوك يصنع برجله التي قطعت اذا توضع

قال كان يمسح عليها . وقال الامام احمد حدثنا عبد الصمد حدثنا سلام قال سمعت
قتادة يقول قال لقمان وسأله رجل أى شىء خيرا قال صبر لا يتبعه أذى ، قال فأى
الناس خيرا قال الذى يرضى بما أوتى ، قال فأى الناس أعلم قال الذى يأخذ من
علم الناس الى علمه ، قيل فمن خير الكنز من المال أو من العلم ، قال سبحان الله
بل المؤمن العالم الذى ان ابتغى عنده خيرا وجد ، وان لم يكن عنده كف نفسه
ويحسب المؤمن أن يكف نفسه وقال حسان ابن أبى جبلة من بث فلم يصبر
ورواه ابن أبى الدنيا مرفوعاً الى النبي صلى الله عليه وسلم وإن صح فمعناه الى
المخلوق لا من بث الى الله . وقال حسان بن أبى جبلة أيضاً فى قوله تعالى « فصبر
جميل » قال لا شكوى فيه ورفعه ابن أبى الدنيا أيضاً وقال مجاهد فصبر جميل فى
غير جزع وقال عمرو بن قيس فصبر جميل قال الرضا بالمصيبة والتسليم . وقال بعض
السلف فصبر جميل لا شكوى فيه . وقال همام عن قتادة فى قوله تعالى « وابيضت
عيناه من الحزن فهو كظيم » قال كظم على حزن فلم يقل الا خيرا وقال
يحيى بن المختار عن الحسن الكظيم الصبور وقال همام عن قتادة فى قوله تعالى
وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم أى كمد أى كد الحزن وقال الحسن
ما جرعتين أحب الى الله من جرعة مصيبة موجعة محزنة ردها صاحبها بحسن
عزاء وصبر ، وجرعة غيظ ردها بحلم وقال عبد الله بن المبارك أخبرنا عبد الله
ابن لهيعة عن عطاء بن دينار ان سعيد بن جبير قال : الصبر اعتراف العبد لله بما
أصابه منه واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه . قد يجزع الرجل وهو يتجلد لا يرى
منه الا الصبر . فقوله اعتراف العبد لله بما أصاب منه كانه تفسير لقوله انا لله
فيعترف أنه ملك لله يتصرف فيه ما لك بما يريد . وقوله راجيا به ما عند الله
كأنه تفسير لقوله وانا اليه راجعون أى نرد اليه فيجزينا على صبرنا ولا يضيع
أجر المصيبة وقوله وقد يجزع الرجل وهو يتجلد أى ليس الصبر بالتجلد وانما
هو حبس القلب عن التسخط على المقدور ورد اللسان عن الشكوى ، فمن تجلد
وقلبه ساخط على القدر فليس بصابر . وقال يونس بن يزيد سألت ربيعة بن
أبى عبد الرحمن ما منتهى الصبر قال ان يكون يوم تصيبه المصيبة مثله قبل ان
تصيبه ، وقال قيس بن الحجاج فى قول الله « فاصبر صبرا جميلا » قال ان يكون

صاحب المصيبة في القوم لا يعرف من هو . وكان شمر اذا عزي مصابا قال اصبر
لما حكم ربك وقال ابو عقيل رأيت سالم بن عبد الله بن عمر بيده سوط وعليه
ازار في موت واقد بن عبد الله بن عمر لا يسمع صارخة ينالها بالسوط الا ضربها
قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن جعفر بن مهران قال قالت امرأة من قریش،
أما والذي لا خلد الا لوجهه ، ومن ليس في العز المنيع له كفوا، لئن كان بدء
الصبر مرا مذاقه ، لقد يجنى من غبه الثمر الحلو، قال وانشدني عمرو بن بكير

صبرت فكان الصبر خير مغبة وهل جزع يجدى على فاجزع
ملكتم دموع العين حتى رددتها الى ناظري فالعين في القلب تدمع

قال وانشدني احمد بن موسى الثقفي

نبئت خولة امس قد جزعت من ان تنوب نوائب الدهر
لا تجزعي ياخول واصبري ان الكرام بنوا على الصبر

قال وحدثني عبد الله بن محمد بن اسماعيل التيمي ان رجلا عزي رجلا في
ابنه فقال انما يستوجب على الله وعده من صبر له بحقه ، فلا تجمع الى ما اصبحت
به من المصيبة الفجيعة بالاجر فانها أعظم المصيبتين عليك وانكى الرزيتين لك
والسلام. وعزي ابن أبي السماك رجلا فقال عليك بالصبر فبه يعمل من احتسب
واليه يصبر من جزع. وقال عمر بن عبد العزيز اما الرضاء فمنزلة عزيزة أو منيعة
ولكن جعل الله في الصبر معولا حسنا ولما مات عبد الملك ابنه صلى عليه ثم
قال رحمك الله لقد كنت لي وزيرا و كنت لي معينا قال والناس يبكون وما يقطر
من عينيه قطرة. واصيب مطرف بن عبد الله في ابن له، فاتاه قوم يعزونه فخرج
اليهم احسن ما كان بشرا، ثم قال اني لا استحي من الله ان اتضعضع لمصيبة.
وقال عمر بن دينار قال عبيد بن عمير ليس الجزع ان تدمع العين ويحزن القلب
ولكن الجزع القول السيء والظن السيء وقال ابن ابي الدنيا حدثني الحسين
ابن عبد العزيز الخروزي، قد مات ابن لي نفيس فقلت لأمه اتق الله واحتسبيه
واصبري، فقالت مصيبتى اعظم من ان افسدها بالجزع. قال ابن ابي الدنيا
واخبرني عمر بن بكير عن شيخ من قریش قال مات الحسن بن الحصين ابو عبيد
الله بن الحسن وعبيد الله يومئذ قاض على البصرة وأميرا فكثير من يعزيه
فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره، فاجمعوا انه اذا ترك شيئا مما كان

يصنعه فقد جزع. وقال خالد بن ابى عثمان القرشى كان سعيد بن جبير يعزىنى
فى ابى فرآنى اطوف بالبيت متقنعاً فكشف القناع عن رأبى وقال
الاستكانة من الجزع

فصل

واما قول كثير من الفقهاء من اصحابنا وغيرهم لا بأس ان يجعل المصاب
على رأسه ثوباً يعرف به قالوا لان التعزية سنة، وفى ذلك تيسير لمعرفة حتى
يعزى به فقيه نظر، وأنكره شيخنا ولا ريب ان السلف لم يكونوا يفعلوا شيئاً
من ذلك، ولم نقل هذا عن احد من الصحابة والتابعين. والآثار المتقدمة كلها
صريحة فى رد هذا القول وقد فكر اسحق بن راهوية ان يترك لبس ما عادت به
لبسه وقال هو من الجزع وبالجملة فعادت بهم انهم لم يكونوا يغيروا شيئاً من
زيهم قبل المصيبة ولا يتركوا ما كانوا يعملونه فهذا كله مناف للصبر والله
سبحانه اعلم

الباب الثامن عشر

فى ذكر امور تتعلق بالمصيبة

من البكاء والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية ونحوها

فمنها البكاء على الميت ومذهب احمد وابى حنيفة أجازاه قبل الموت وبعده
واختاره ابو اسحاق الشيرازى وكرهه الشافعى وكثير من أصحابه بعد الموت
ورخصوا فيه قبل خروج الروح واحتجوا بحديث جابر بن عتيك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت فوجده قد غلب فصاح به
فلم يجب فاسترجع وقال غلبنا عليك يا أبا الربيع فصاح النسوة وبكين فجعل
ابن عتيك يسكتهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن فاذا وجب فلا
تبكين باكية، قالوا وما الوجوب يا رسول الله قال الموت، واه ابو داود والنسائي.
قالوا وفى الصحيحين من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الميت ليعذب ببكاء أهله عليه، وهذا انما هو بعد الموت، وأما قبله فلا يسمى

ميتاً. وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم من أحد سمع نساء
 بني عبد الأشهل يبكين على هلكاهن، فقال لکن حمزة لا وای له فجن نساء
 الانصار فبكين على حمزة عنده فاستيقظ فقال ويحمن اتينا هاهنا يبكين حتى
 الآن مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالك بعد اليوم رواه الامام احمد، وهذا
 صريح في نسخ الاباحة المتقدمة. والفرق بين ما قبل الموت وبعده انه قبل
 الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذراً فاذامات انقطع الرجاء وأبرم القضاء
 فلا ينفع البكاء. قال المجوزون قال جابر بن عبد الله أصيب أبي يوم أحد فجعلت
 أبكي فجعلوا ينهونني ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فجعلت عمتي
 فاطمة تبكي فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبكين أولاً تبكين ما زالت الملائكة
 تظله باجنحتها حتى رفعتموه متفق عليه. وفي الصحيحين أيضاً عن ابن عمر، قال
 اشتكى سعد بن عباد شكوى له فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعود مع عبدالرحمن
 ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود فلما دخل عليه وجده في
 غشية فقال قد مضى قالوا لا يارسول الله، فبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فلما رأى القوم بكاءه بكوا فقال الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين
 ولا يحزن القلب ولكن يعذب بهذا وأشار الى لسانه أو يرحم. وفي الصحيحين
 أيضاً من حديث أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى
 احدى بناته ولها صبي في الموت فرفع اليه الصبي ونفسه تقعقع كأنها في شنة
 ففاضت عيناه فقال سعد ما هذا يارسول الله قال هذه رحمة جعلها الله في قلوب
 عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء. وفي مسند الامام احمد من حديث بن
 عباس قال ماتت رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت النساء فجعل
 عمر يضربهن بسوطه فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر يبكين وايا لکن
 ونعيق الشيطان، ثم قال انه مهما كان من العين ومن القلب فمن الله ومن الرحمة
 وما كان من اليد ومن اللسان فمن الشيطان. وفي المسند أيضاً عن عائشة أن
 سعد بن معاذ لما مات حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
 قالت فوالذي نفسي بيده اني لا أعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وأنا في
 حجرتي. وفي المسند أيضاً عن أبي هريرة قال: مر على النبي صلى الله عليه

وسلم بجنازة يبكي عليها وأنا معه ومعه عمر بن الخطاب فاتهر عمر اللاتي يبكين
 عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعهن يا ابن الخطاب فان النفس مصابة
 وان العين دامعة والعهد قريب . وفي جامع الترمذى عن جابر بن عبد الله
 قال أخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلق الى ابنه
 ابراهيم فوجده يجود بنفسه فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه في
 حجره فبكى فقال له أتبكي، أو لم تكن نهيت عن البكاء قال لا ولكن
 نهيت عن صوتين احمقين فاجر بن صوت عند مصيبة خمش الوجه وشق
 الجيوب ورنه الشيطان . قال الترمذى هذا حديث حسن . وقد صح عنه
 صلى الله عليه وسلم أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . وقد صح عنه
 صلى الله عليه وسلم أنه قبل عثمان بن مضعون حتى سالت دموعه على وجهه
 وضح عنه أنه نعى جعفر وأصحابه وعيناه تذر فان . وضح عن أبى بكر الصديق
 رضى الله عنه انه قبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو ميت وبكى فهداه اثنا عشرة
 حجة تدل على عدم كراهة البكاء، فتعين حمل احاديث النهى على البكاء الذى معه
 ندب ونياحة . ولهذا جاء فى بعض الفاظ حديث عمر . الميت يعذب ببعض بكاء
 أهله عليه، وفى بعضها يعذب بما ينح عليه وقال البخارى فى صحيحه قال عمر
 دعهن يبكين على أبى سليمان يعنى خالد ابن الوليد ما لم يكن نقع أو لقلقة . والنقع
 حث التراب والقلقة الصوت . وأما دعوى النسخ فى حديث حمزة فلا يصح،
 إذ معناه لا يبكين على هالك بعد اليوم من قتلى احد . ويدل على ذلك ان نصوص
 الاباحة اكثرها متأخرة عن غزوة احد . منها حديث ابى هريرة إذ اسلامه
 وصحبه كانا فى السنة السابعة . ومنها البكاء على جعفر وأصحابه وكان استشهادهم
 فى السنة الثامنة . ومنها البكاء على زينب وكان موتها فى السنة الثامنة أيضاً .
 ومنها البكاء على سعد بن معاذ وكان موته فى الخامسة . ومنها البكاء عند قبر أمه
 صلى الله عليه وسلم وكان عام الفتح فى الثامنة . وقولهم انما جاز قبل الموت
 حذراً بخلاف ما بعد الموت . جوابه ان الباكي قبل الموت يبكى حزناً . وحزنه بعد
 الموت أشد فهو اولى برخصة البكاء من الحالة التى يرجى فيها . وقد أشار النبي
 صلى الله عليه وسلم الى ذلك بقوله تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط

الرب وانا بك يا ابراهيم محزون

فصل

وأما النذب والنياحة فنص احمد على تحريمها . قال في رواية حنبل النياحة معصية . وقال أصحاب الشافعي وغيرهم النوح حرام . قال بن عبد البر . أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء . وقال بعض المتأخرين من أصحاب أحمد يكره تنزيها وهذا لفظ أبي الخطاب في الهداية قال ويكره النذب والنياحة وخمش الوجوه وشق الجيوب والتحنفي ، والصواب القول بالتحريم لما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعى بدعوى الجاهلية وفي الصحيحين أيضا عن أبي بردة قال وجع أبو موسى وجعاً فغشى عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فصاحت امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئاً فلما أفاق قال أنا برىء مما برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والشاقة . وفي الصحيحين أيضاً عن المغيرة بن شعبة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن من ينجح عليه يعذب بما ينجح عليه . وفي الصحيحين أيضاً عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيعة ألا ننوح فما وفت منا امرأة الا خمس نسوة . وفي صحيح البخارى عن بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الميت يعذب في قبره بما ينجح عليه . وفي صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع في امتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالاحساب والطعن في الانساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة . وقال النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سر بال من قطران ودرع من جرب . وفي سنن ابى داود عن اسيد بن ابى اسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذى اخذ علينا ان لانعصيه فيه ، ان لانخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا نتفش شعرا . وفي مسند الامام احمد عن

أنس قال اخذ النبي صلى الله عليه وسلم على النساء حين بايعهن ان لا ينحنن فقلن
 يارسول الله ان نساء اسعدتنا في الجاهلية افنساعدهن في الاسلام فقال لا اسعاد
 في الاسلام. وقد تقدم قوله ما كان من اليد واللسان فمن الشيطان وقوله نهيت
 عن صوتين احمقين فاجرين صوت عند مصيبة خمس وجوه وشق جيوب وورثة
 شيطان. وفي مسند الامام احمد من حديث ابي موسى ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال الميت يعذت ببيك الحى اذا قالت النائحة واعضداه واناصراه
 واكاسياه جبذ الميت وقيل له انت عضدتها انت ناصرها انت كاسيها. وفي صحيح
 البخارى عن النعمان بن بشير، قال اغمى على عبد الله بن رواحة فجعلت أخته
 عمرة تبكى وتقول واجبلاه واكذا واكذا تعدد عليه، فقال حين افاق ما قلت
 لى شيئاً الا قيل لى انت كذا، فلما مات لم تبك عليه. وكيف لا يكون هذه الخصال
 محرمة وهى مشتملة على التسخط على الرب وفعل ما يناقض الصبر والاضرار
 بالنفس من لطم الوجه وحلق الشعر وتفهو والدعاء عليها بالويل والثبور والتظلم
 من الله سبحانه واتلاف المال بشق الثياب وتمزيقها وذكر الميت بما ليس فيه
 ولا ريب ان التحريم الشديد يثبت ببعض هذا. قال الميحيون لمجرد النذب
 والنياحة مع كراهتهم له قد روى حرب عن وائلة بن الاسقع وابي وائل انهما
 كان يسمعان النوح ويسكتان. قالوا وفي الصحيحين عن أم عطية قالت لما
 نزلت هذه الآية « يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك عن ان لا يشركن
 بالله شيئاً » الى قوله ولا يعصينك فى معروف كان منه النياحة، فقلت يارسول
 الله الا آل فلان فانهم كانوا اسعدوني فى الجاهلية فلا بد لى من ان اسعدهم، فقال
 الا آل فلان وفى رواية لهما انها قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقراً علينا ان لا يشركن بالله شيئاً ونهانا عن النياحة فقبضت منا امرأة يدها
 فقالت فلانة اسعدتنى فانا أريدان اجزيها، قالت فما قال لها شيئاً فذهبت فانطلقت
 ثم رجعت فبايعها قالوا وهذا الاذن لبعضهن فى فعله يدل على ان النهى عنه
 تنزيهه لا تحريم، ويتعين حمله على المجرد من تلك المفاسد جمعاً بين الادلة. قال
 المحرمون لا تعارض سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم باحد من الناس كائناً
 من كان ولا تضرب سنته بعضها ببعض وما ذكر من النصوص صحيحة صريحة

لا تحتمل تأويلا، وقد انعقد عليها الاجماع. واما التي قلها الا آل فلان والمرأة التي سكت عنها فذلك خاص بهما الوجهين: احدهما انه قال لغيرهما لما سأله ذلك لا اسعاد في الاسلام والثاني انه اطلق لهما ذلك وهما حديثا عهد بالاسلام وهما لم يميزا بين الجائز من ذلك وبين المحرم؛ وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز، فعلم ان الحكم لا يعدوهما الى غيرهما واما الكلمة اليسيرة اذا كانت صدقا لا على وجه النوح والتسخط فلا تحرم ولا تنافي الصبر الواجب، نص عليه احمد في مسنده من حديث أنس ان ابا بكر رضى الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه ووضع يده على صدغيه وقال وانياءه واخيلاه واصفياه. وفي صحيح البخارى عن أنس أيضا قال لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة واكرب ابتاه فقال ليس على أبيك كرب بعد اليوم فلما مات قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل انعاه، فلما دفن قالت فاطمة يا أنس اطابت انفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والتراب. وقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا بك يا ابراهيم لمحزونون. وهذا ونحوه من القول الذي ليس فيه تظلم للمقدور ولا تسخط على الرب ولا إسقاط له فهو ك مجرد البكاء

فصل

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت ليعذب بالنياحة عليه فقد ثبت عنه من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله والمغيرة بن شعبة وروى نحوه عن عمران بن حصين وأبي موسى رضى الله عنهم فاختلفت طرق الناس في ذلك فقالت فرقة يتصرف الله في خلقه بما يشاء وافعال الله لا تعلل ولا فرق بين التعذيب بالنوح عليه والتعذيب بما هو منسوب اليه لان الله خالق الجميع. والله تعالى يولم الاطفال والبهائم والمجانين بغير عمل وقالت فرقة هذه الاحاديث لا تصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انكرتها عائشة أم المؤمنين واحتجت بقوله تعالى « ولا تزروا وزارة وزر أخرى » ولما بلغها رواية عمر وابنه قالت انكم لتحدثون عن غير كاذبين ولا متهمين وليكن

السمع يخطي، وقالت إنما امر النبي صلى الله عليه وسلم على قبر يهودى فقال
 إن صاحب هذا القبر يعذب وأهله يبكون عليه. وفي رواية متفق عليها عنها
 إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ليزيد الكافر عذاباً يبكاء أهله
 عليه، وقالت حسبكم القرآن ولا تزر وازرة وزر أخرى. وقالت فرقة أخرى
 منهم المزنى وغيره إن ذلك محمول على من أوصى به إذا كانت عادتهم ذلك وهو
 كثير في أشعارهم كقول طرفة:

إذا مت فابعيني بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد
 وقول لبيد .

فقوما فقولا بالذى قد علمتها ولا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
 وقولا هو المرء الذى لا صديقه أضع ولا خان الأمين ولا غدر
 إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
 ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وقالت طائفة هو محمول على من سنته وسنة قومه ذلك إذا لم ينههم عنه
 لأن ترك نهيه دليل على رضاه به. وهذا قول ابن المبارك وغيره قال أبو البركات
 ابن تيمية وهو أصح الأقوال كلها لأنه متى غلب على ظنه فعلهم ولم يوصهم
 بتركه فقد رضى به وصار كمن ترك النهى عن المنكر مع القدرة عليه. فاما إذا
 أوصاهم بتركه فخالقوه فإله أكرم من أن يعذبه بذلك وقد حصل بذلك
 العمل بالآية مع اجراء الخبر على عمومته في كثير من الموارد وإنكار عائشة لذلك
 بعد رواية الثقات لا يعول عليه فانهم قد يحضرون ما لا تحضره ويشهدون
 ما تغيب عنه واحتمال السهو والغلط بعيد خصوصاً في حق خمسة من أكابر
 الصحابة وقوله في اليهود لا يمنع أن يقول قد قال ما رواه عنه هؤلاء الخمسة
 في أوقات أخر ثم هي محجوجة بروايتها عنه انه قال: إن الله يزيد الكافر عذاباً
 يبكاء أهله عليه، فإذا لم يمنع زيادة الكافر عذاباً بفعله غيره مع كونه مخالفاً
 لظاهر الآية لم يمنع ذلك في حق المسلم، إن الله سبحانه كما لا يظلم عبده المسلم
 لا يظلم الكافر والله أعلم

فصل

ولا تحتاج هذه الاحاديث الى شيء من هذه التكلفات وليس فيها بحمد الله اشكال ولا مخالفة لظاهر القرآن ولا لقاعدة من قواعد الشرع ولا تتضمن عقوبة الانسان بذنوب غيره . فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل ان الميت يعاقب ببكاء أهله عليه ونوحهم وانما قال يعذب بذلك ولا ريب ان ذلك يؤلمه ويعذبه والعذاب هو الالم الذي يحصل له وهو أعم من العقاب والاعم لا يستلزم الأخص . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب وهذا العذاب يحصل للمؤمن والكافر حتى ان الميت ليتألم بمن يعاقب في قبره في جواره ويتأذى بذلك كما يتأذى الانسان في الدنيا بما يشاهده من عقوبة جاره فاذا بكى أهل الميت عليه البكاء المحرم وهو البكاء الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه والبكاء على الميت عندهم اسم لذلك وهو معروف في نظمهم ونثرهم تألم الميت بذلك في قبره فهذا التألم هو عذابه بالبكاء عليه، وهذه طريقة شيخنا في هذه الاحاديث وبالله التوفيق

الباب التاسع عشر

في ان الصبر نصف الايمان

والايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قال غير واحد من السلف الصبر نصف الايمان . وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » في سورة ابراهيم وفي سورة حمعسق وفي سوره سبأ وفي سورة لقمان . وقد ذكر لهذا التنصيف اعتبارات: احدها ان الايمان اسم لمجموع القول والعمل والنية وهي ترجع الى شطرين، فعل وترك، فالفعل هو العمل بطاعة الله وهو حقيقة الشكر . والترك هو الصبر عن المعصية والدين كله في هذين الشيتين، فعل المأمور وترك المحذور . الاعتبار الثاني ان الايمان مبنى على ركنين يقين وصبر وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى

« وجعلناهم أمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهي والثواب والعقاب ، وبالصبر ينفذ ما أمر به ويكف نفسه عما نهى عنه ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهي انه من عند الله والثواب والعقاب الا باليقين ولا يمكنه الدوام على فعل المأمور وكف النفس عن المحذور الا بالصبر فصار الصبر نصف الايمان والنصف الثاني الشكر بفعل ما امر به وبترك ما نهى عنه . الاعتبار الثالث ان الايمان . قول وعمل والقول قول القلب واللسان والعمل عمل القلب والجوارح . وبيان ذلك ان من عرف الله بقلبه ولم يقر بلسانه لم يكن مؤمنا كما قال عن قوم فرعون « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم » وكما قال عن قوم عاد و قوم صالح « وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين » وقال موسى لفرعون « لقد علمت ما انزل هؤلاء إلا رب السموات والارض بصائر » فهؤلاء حصل قول القلب وهو المعرفة والعلم ولم يكونوا بذلك مؤمنين وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا بل كان من المنافقين وكذلك من عرف بقلبه واقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالات والمعاداة فيحب الله ورسوله ويوالي أولياء الله ويعادي أعداءه ويستسلم بقلبه لله وحده وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته والتزام شريعته ظاهرا وباطنا. واذ فعل ذلك لم يكف في كمال ايمانه حتى يفعل ما أمر به فهذه الاركان الاربعة هي أركان الايمان التي قام عليها بناؤه وهي ترجع الى علم وعمل و يدخل في العمل كف النفس الذي هو متعلق النهي، وكلاهما لا يحصل الا بالصبر فصار الايمان نصفين: أحدهما الصبر والثاني متولد عنه من العلم والعمل . الاعتبار الرابع ان النفس لها قوتان قوة الاقدام وقوة الاحجام وهي دائماً تتردد بين أحكام هاتين القوتين فتقدم على ماتحبه وتحجم عن ماتكرهه . والدين كله اقدام واحجام، اقدام على طاعة واحجام عن معاصي الله وكل منهما لا يمكن حصوله الا بالصبر . الاعتبار الخامس ان الدين كله رغبة ورهبة فالمؤمن هو الراجب الراهب قال تعالى « انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا » وفي الدعاء عند النوم الذي رواه البخاري

في صحيحه . اللهم انى أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت
 أمرى اليك وألجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك فلا تجرد المؤمن أبدا الا
 راغبا وراهبا . والرغبة والرهبة لا تقوم الا على ساق الصبر فرهبتة تحمله على
 الصبر ورغبته تقوده الى الشكر . الاعتبار السادس ان جميع ما يباشره العبد
 فى هذه الدار لا يخرج عما ينفعه فى الدنيا والآخرة أو يضره فى الدنيا والآخرة
 أو ينفعه فى أحد الدارين ويضره فى الأخرى . وأشرف الاقسام أن يفعل
 ما ينفعه فى الآخرة ويترك ما يضره فيها وهو حقيقة الايمان . ففعل ما ينفعه
 هو الشكر وترك ما يضره هو الصبر . الاعتبار السابع ان العبد لا يتفك عن
 أمر يفعله ونهى يتركه وقد يجرى عليه وفرضه فى الثلاثة الصبر والشكر . ففعل المأمور
 هو الشكر وترك المحذور والصبر على المقدور هو الصبر . الاعتبار الثامن إن
 للعبد فيه داعيان داع يدعو الى الدنيا وشهواتها ولذاتها وداع يدعو الى الله
 والدار الآخرة وما أعد فيها لأوليائه من النعيم المقيم . فعصيان داعى الشهوة
 والهوى هو الصبر واجابة داعى الله والدار الآخرة هو الشكر . . الاعتبار التاسع
 ان الدين مداره على أصلين العزم والثبات وهما الاصلان المذكوران فى
 الحديث الذى رواه احمد . والثانى عن النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انى أسالك
 الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأصل الشكر صحة العزيمة . وأصل الصبر
 قوة الثبات فمتى أيد العبد بعزيمة وثبات فقد أيد بالمعونة والتوفيق . الاعتبار
 العاشر ان الدين مبنى على أصلين الحق والصبر وهما المذكوران فى قوله تعالى
 « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » ولما كان المطلوب من العبد هو العمل
 بالحق فى نفسه وتنفيذه فى الناس وكان هذا هو حقيقة الشكر لم يمكنه ذلك
 بالصبر عليه فكان الصبر نصف الايمان والله سبحانه أعلم

الباب العشرون

في بيان تنازع الناس

في الافضل من الصبر والشكر

حكى أبو الفرج بن الجوزي في ذلك ثلاثة أقوال أحدها أن الصبر أفضل والثاني أن الشكر أفضل والثالث أنهما سواء كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت ونحن نذكر ما احتجت به كل فرقة وما لها وعليها في احتجاجها بعون الله وتوفيقه قال الصابرون قد اثني الله سبحانه على الصبر واهله ومدحه وأمر به وعلق عليه خير الدنيا والآخرة وقد ذكره الله في كتابه في نحو تسعين موضعاً وقد تقدم من النصوص والاحاديث ما فيه وفي فضله ما يدل على أنه أفضل من الشكر ويكفي في فضله قوله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الشاكر فذكر ذلك في معرض تفضيل الصبر ورفع درجته على الشكر فإنه الحق الشاكر الصابر وشبهه به ورتبة المشبه به أعلى من رتبة المشبه وهذا كقوله مدمن الخمر كما بدت وثن ونظائر ذلك، قالوا وإذا وازنا بين النصوص الواردة في الصبر والواردة في الشكر وجدنا نصوص الصبر أضعافاً ولهذا لما كانت الصلاة والجهاد أفضل الاعمال كانت الاحاديث فيهما في سائر الابواب فلا نجد الاحاديث النبوية في باب الصلاة أكثر منها في باب الصلاة والجهاد. قالوا أيضاً فالصبر يدخل في كل باب بل في كل مسألة من مسائل الدين ولهذا كان من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد قالوا وأيضاً فالله سبحانه وتعالى علق على الشكر الزيادة فقال « واذ تاذن ربكم لأن شكرتم لازيدنكم » وعلق على الصبر الجزاء بغير حساب وايضاً فإنه سبحانه اطلق جزاء الشاكرين فقال « وسيجزى الله الشاكرين » وقيد جزاء الصابرين بالاحسان فقال « ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » قالوا وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: يقول الله تعالى كل عمل ابن آدم له الا الصوم فإنه لي وانا اجزي به . وفي لفظ كل

عمل ابن آدم يضاعف له الحسننة بعشر امثالها قال الله تعالى الا الصوم فانه
 لي وانا اجزى به . وما ذاك الا لانه صبر النفس ومنعها من شهواتها
 كما في الحديث نفسه يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل . ولهذا قال النبي
 صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن أفضل الاعمال عليك بالصوم فانه لا عدل له .
 ولما كان الصبر حبس النفس عن اجابة داعي الهوى وكان هذا حقيقة الصوم
 فانه حبس النفس عن اجابة داعي شهوة الطعام والشراب والجماع فسر الصبر
 في قوله تعالى « واستعينوا بالصبر والصلاة » أنه الصوم وسمى رمضان شهر
 الصبر . وقال بعض السلف الصوم نصف الصبر وذلك أن الصبر حبس النفس
 عن اجابة داعي الشهوة والغضب فان النفس تشتت في الشيء لحصول اللذة
 بادراكه وتغضب لنفرتها من المولم لها . والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط
 وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب ولكن من تمام الصوم وكمال
 صبر النفس عن اجابة داعي الأمرين وقد أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه
 وسلم في الحديث الصحيح وهو قوله: اذا كان يوم صوم احدكم فلا يجمل ولا
 يصخب فان أحد سابه أو شاتمته فليقل اني صائم . فارشد صلى الله عليه وسلم
 الى تعديل قوى الشهوة والغضب وان الصائم ينبغي له ان يحتسى من أفسادهما
 لضومه فهذه تفسد صومه وهذه تحبط أجره كما قال في الحديث الآخر . من لم
 يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه . قالوا
 ويكفي في فضل الصبر على الشكر قوله تعالى « اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم
 الفائزون » فجعل فوزهم جزاء صبرهم وقال تعالى « والله مع الصابرين » لا شيء
 يعدل معيته لعبده كما قال بعض العارفين ذهب الصابرون بخير الدنيا والآخرة
 لانهم نالوا ممية الله وقال تعالى « واصبر لحكم ربك فانك باعيننا » وهذا
 يتضمن الحراسة والسكالية والحفظ للصبر لحكمه وقد وعد الصابرين بثلاثة
 أشياء كل واحد خير من الدنيا وما عليها وهي صلواته تعالى عليهم ورحمته لهم
 وتخصيصهم بالهداية في قوله تعالى « أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة
 وأولئك هم المهتدون » وهذا مفهم لحصر الهدى فيهم وأخبر أن الصبر من عزم
 الامور في آيتين من كتابه . وأمر رسوله أن يتشبه بصبر أولى العزم من الرسل
 وقد تقدم ذكر ذلك . قالوا وقد دل الدليل على أن الزهد في الدنيا والتقلل منها

مهما أمكن من الاستكثار منها والزهد فيها حال الصابر، والاستكثار منها حال
 الشاكر. قالوا وقد سئل المسيح صلوات الله وسلامه عليه عن رجلين مرا بكنز
 فتخطاه أحدهم ولم يلتفت إليه وأخذه الآخر وأنفقه في طاعة الله تعالى، أهما
 أفضل فقال الذي لم يلتفت إليه وأعرض عنه أفضل عند الله. قالوا ويدل على
 صحة هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فلم
 يأخذها، قال بل أجوع يوماً وأشبع يوماً، ولو أخذها لانفقها في مرضات الله
 وطاعته فأثر مقام الصبر عنها والزهد فيها. قالوا وقد علم أن الكمال الانساني في
 ثلاثة أمور: علوم يعرفها، وأعمال يعمل بها، وأحوال ترتب له على علومه وأعماله.
 وأفضل العلم والعمل والحال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله والعمل
 بمرضاته وانجذاب القلب اليه بالحب والخوف والرجاء. فهذا أشرف ما في الدنيا
 وجزاؤه أشرف ما في الآخرة. وأجل المقاصد معرفة الله ومحبته والأنس بقربه
 والشوق الى لقائه والتنعم بذكوره وهذا أجل سعادة الدنيا والآخرة وهذا هو
 الغاية التي تطلب لذاتها. وإنما يشعر العبد تمام الشعور بان ذلك عين السعادة
 إذا انكشف له الغطاء وفارق الدنيا ودخل الآخرة والافه في الدنيا وان
 شعر بذلك بعض الشعور فليس شعوره به كاملاً للمعارضات التي عليه والمحن
 التي امتحن بها، والافليست السعادة في الحقيقة سوى ذلك وكل العلوم والمعارف
 تبع لهذه المعرفة مرادة لأجلها، وتفاوت العلوم في فضلها بحسب قرب افضائها
 الى هذه المعرفة وبعدها، فكل علم كان أقرب افضاء الى العلم بالله وأسمائه
 وصفاته فهو أعلى مما دونه. وكذلك حال القلب فكل حال كان أقرب الى
 المقصود الذي خلق له فهو أشرف مما دونه وكذلك الاعمال. فكل عمل كان
 أقرب الى تحصيل هذا المقصود كان أفضل من غيره ولهذا كانت الصلاة والجهاد
 من أفضل الاعمال وأفضلها لقرب افضائها الى هذا المقصود وهكذا يجب أن
 يكون فان كل ما كان الشيء أقرب الى الغاية كان أفضل من البعيد عنها. فالعمل
 المعد للقلب المهيم له لمعرفة الله وأسمائه وصفاته ومحبته وخوفه ورجائه أفضل
 مما ليس كذلك. وإذا اشتركت عدة أعمال في هذا الافضاء فأفضلها أقربها الى
 هذا المفضى، ولهذا اشتركت الطاعات في هذا الافضاء فكانت مطلوبة لله

واشتركت المعاصي في حجب القلب وقطعه عن هذه الغاية فكانت منهيأ عنها وتأثير الطاعات والمعاصي بحسب درجاتها. وهاهنا أمر ينبغي التفطن له وهو أنه قد يكون العمل المعين أفضل منه في حق غيره . فالغني الذي بلغ له مال كثير ونفسه لا تسمح ببذل شيء منه فصدقته وإيثاره أفضل له من قيام الليل وصيام النهار نافلة. والشجاع الشديد الذي يهاب العدو سطوته وقوفه في الصف ساعة وجهاده أعداء الله أفضل من الحج والصوم والصدقة والتطوع . والعالم الذي قد عرف السنة والحلال والحرام وطرق الخير والشر مخالطته للناس وتعليمهم ونصحهم في دينهم أفضل من اعتزاله وتفرغ وقته للصلاة وقراءة القرآن والتسبيح . وولى الأمر الذي قد نصبه الله للحكم بين عباده جلوسه ساعة للنظر في المظالم وانصاف المظلوم من الظالم واقامة الحدود ونصر المحق وقمع المبطل أفضل من عبادة سنين من غيره . ومن غلبت عليه شهوة النساء فصومه له أنفع وأفضل من ذكر غيره وصدقته . وتأمل تولية النبي صلى الله وسلم لعمر و بن العاص و خالد بن الوليد وغيرهما من امرائه وعماله وترك تولية أبي ذر، بل قال انى أراك ضعيفاً و انى أحب لك ما أحب لنفسى لا تؤمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم وأمره وغيره بالصيام، وقال عليك بالصوم فانه لا عدل له . وأمر آخر بأن لا يغضب وأمر ثالثاً بأن لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله ومتى أراد الله بالعبد كلاً وفقه لاستفراغ وسعه فيما هو مستعد له قابل له قد هبى له فاذا استفراغ وسعه بن على غيره وفاق الناس فيه كما قيل :

ما زال يسبق حتى قال حاسده طريق الى العلياء مختصر

وهذا كالمريض الذى يشكو وجع البطن مثلاً اذا استعمل دواء ذلك الداء انتفع به . واذا استعمل دواء وجع الرأس لم يصادف داءه . فالشح المطاع مثلاً من المهلكات ولا يزيله صيام مائة عام ولا قيام ليلاً وكذلك داء اتباع الهوى والاعجاب بالنفس لا يلائمه كثرة قراءة القرآن واستفراغ الوسع فى العلم والذكر والزهد، وإنما يزيله اخراجه من القلب بضده . ولوقيل أيما أفضل الخبز أو الماء لكان الجواب أن هذا فى موضعه أفضل وهذا فى موضعه أفضل . واذا عرفت هذه القاعدة فالشكر يبذل المال عمل صالح يحصل به للقلب حال وهو زوال البخل

والشح بسبب خروج الدنيا منه فتهى لمعرفة الله ومحبته فهو دواء للداء الذى فى القلب يمنعه من المقصود . وأما الفقير الزاهد فقد استراح من هذا الداء والدواء وتوفرت قوته على استفراغ الوسع فى حصول المقصود . ثم أوردوا على أنفسهم سؤالاً فقالوا: فان قيل فقد حث الشرع على الاعمال وانفصلوا عنه، بأن قالوا الطبيب اذا ثنى على الدواء لم يدل على أن الدواء يراد لعينه ولا أنه أفضل من الشفاء الحاصل به، ولكن الاعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب بما لا يشعر به غالباً. فوقع الحث على العمل المقصود وهو شفاء القلب . فالفقير الآخذ لصدقتك يستخرج منك داء البخل كالحجام يستخرج منك الدم المهلك . قالوا واذا عرف هذا عرف أن حال الصابر حال المحافظ على الصحة والقوة وحال الشاكر حال المتداوى بأنواع الأدوية لأزالة مواد السقم

فصل

قال الشاكرون لقد تعديتم طوركم وفضلتم مقاما غيره أفضل منه وقدمتم الوسيلة على الغاية . والمطلوب لغيره على المطلوب لنفسه . والعمل الكامل على الاكمل والفاضل على الافضل ولم تعرفوا للشكر حقه ولا وفيتموه مرتبته، وقد قرن تعالى ذكره الذى هو المراد من الخلق بذكره وكلاهما هو المراد بالخلق والامر والصبر خادم لهما ووسيلة اليهما وعونا عليهما قال تعالى « اذكرونى واشكروا لى ولا تكفرون » وقرن سبحانه الشكر بالايمان واخبر أنه لا غرض له فى عذاب خلقه ان شكروا وآمنوا به فقال « ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم » أى ان وفيتم ما خلقتكم له وهو الشكر والايمان فما صنع بعذابكم بعد هذا . واخبر سبحانه أن أهل الشكر هم المخصوصون بمنته عليهم من بين عباده فقال « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » وقسم الناس إلى شكور وذنور فأبغض الاشياء اليه الكفر وأهله وأحب الاشياء اليه الشكر وأهله قال تعالى فى الانسان « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما

كفوراً « وقال نبيه سليمان عليه السلام « هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر
أم أ كفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم » وقال
تعالى « واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم وئن كفرتم ان عذابي لشديد »
وقال تعالى : « ان تكفروا فان الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان
تشكروا يرضه لكم » وهذا كثير في القرآن يقابل سبحانه بين الشكر والكفر
فهو ضده قال تعالى : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات
أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً
وسيجزي الله الشاكرين » والشاكرون هم الذين ثبتوا على نعمة الايمان فلم
ينقلبوا على أعقابهم ، وعلق سبحانه المزيد بالشكر والمزيد منه لانهاية له كما لانهاية
لشكره . وقد وقف سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة كقوله « فسوف
يغنيكم الله من فضله ان شاء » وقوله في الاجابة « فيكشف ما تدعون اليه
ان شاء » وقوله في الرزق « يرزق من يشاء » وفي المغفرة « يغفر لمن يشاء
والتوبة » ويتوب الله على من يشاء » وأطلق جزاء الشكر اطلاقاً حيث ذكر
كقوله « وسنجزي الشاكرين ، وسيجزي الله الشاكرين » ولما عرف عدو
الله ابليس قدر مقام الشكر وانه من أجل المقامات وأعلاها جعل غايته أن
يسعى في قطع الناس عنه فقال « ثم لا تينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن
ايمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » ووصف الله سبحانه الشاكرين
بأنهم قليل من عباده فقال تعالى « وقليل من عبادة الشكور » وذكر الامام
احمد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول اللهم اجعلني
من الأقلين فقال ما هذا ، فقال يا أمير المؤمنين ان الله قال « وما آمن معه إلا
قليل » وقال تعالى « وقليل من عبادة الشكور » وقال « الا الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقليل ما هم » فقال عمر صدقت وقد أثني الله سبحانه وتعالى
على أول رسول بعثه الى أهل الارض بالشكر فقال « ذرية من حملنا مع نوح
انه كان عبداً شكوراً » وفي تخصيص نوحها هنا بالذكر وخطاب العباد بأنهم
ذريته اشارة الى الاقتداء به فانه أبوهم الثاني فان الله تعالى لم يجعل للخلق بعد
الغرق نسلاً إلا من ذريته كما قال تعالى « وجعلنا ذريته هم الباقين » فأمر

الذرية أن يتشبهوا بأبيهم في الشكر فانه كان عبداً شكوراً . وقد أخبر سبحانه
انما يعبد من شكره فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال « واشكروا
لله ان كنتم اياه تعبدون » وأمر عبده موسى أن يتلقى ما أتاه من النبوة
والرسالة والتكليم بالشكر فقال تعالى « يا موسى انى اصطفتك على الناس
برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ، وأول وصية وصى
الله بها الانسان بعد ما عقل عنه بالشكر له ولوالدين فقال « ووصينا الانسان
بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولو اليك
الى المصير » وأخبر أن رضاه فى شكره فقال تعالى « وان تشكروا
يرضه لكم » وأثنى سبحانه على خليله ابراهيم بشكر نعمه فقال « ان
ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه
وهده الى صراط مستقيم » فأخبر عنه سبحانه بأنه أمة أى قدوة يؤتم به فى
الخير وانه قانتاً لله والقانت هو المطيع المقيم على طاعته والحنيف هو المقبل
على الله المعرض عما سواه، ثم ختم له بهذه الصفات بانه شاكر لأنعمه . فجعل
الشكر غاية خليله وأخبر سبحانه أن الشكر هو الغاية من خلقه وامره، بل هو
الغاية التى خلق عبده لاجلها . والله أخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون
شيئاً وجعل لكم السمع والابصار والافتدة لعلكم تشكرون . فهذه غاية الخلق
وغاية الامر فقال « ولقد نصركم الله بيدروا تتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون »
ويجوز أن يكون قوله لعلكم تشكرون تعليلاً لقضائه لهم بالنصر ولأمره لهم
بالتقوى ولهما معا وهو الظاهر فالشكر غاية الخلق والامر، وقد صرح سبحانه
بانه غاية أمره وارساله الرسول فى قوله تعالى « كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو
عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون
فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون » قالوا فالشكر مراد لنفسه والصبر
مراد لغيره، والصبر انما حمد لافضائه وايضاله الى الشكر فهو خادم الشكر . وقد
ثبت فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام حتى تفترت قدماه فقبل
له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال أفلا أكون
عبداً شكوراً . وثبت فى المسند والترمذى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ

والله انى لاحبك فلا تنسى ان تقول دبر كل صلاة : اللهم اعنى على ذكرك
وشكرك وحسن عبادتك » وقال ابن ابي الدنيا حدثنا اسحق بن اسماعيل حدثنا
أبو معاوية وجعفر بن عون عن هشام بن عروة قال : كان من دعاء النبي صلى
الله عليه وسلم : اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، قال وحدثنا
محمود بن غيلان حدثنا المؤمل بن اسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثنا حميد
الطويل عن طلق بن حبيب عن بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اربع من اعطينهن فقد اعطى خير الدنيا والآخرة قلباشا كرا ،
ولسانا ذا كرا ، وبدنا على البلاء صابرا ، أو زوجة لا تبغيه خونا فى نفسها ولا فى
ماله. و ذكر ايضا من حديث القاسم بن محمد عن عائشة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : ما انعم الله على عبد نعمة فعلم انها من عند الله الا كتب الله له شكرها
وما علم الله من عبد ندامة على ذنب الا غفر الله له قبل أن يستغفره . وان
الرجل يشتري الثوب بالدينار فيلبسه فيحمد الله فما يبلغ ركبتيه حتى يغفر له
وقد ثبت فى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : إن الله ليرضى عن العبد
ياكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها فكان هذا الجزاء
العظيم الذى هو اكبر أنواع الجزاء كما قال تعالى « ورضوان من الله اكبر » فى
مقابلة شكره بالحمد . و ذكر ابن ابي الدنيا من حديث عبد الله بن صالح : حدثنا
ابوزهير يحيى بن عطار القرشى عن ابيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : لا يرزق الله عبداً الشكر فيحرمه الزيادة لان الله تعالى يقول « لئن شكرتم
لأزيدنكم » وقال الحسن البصرى ان الله ليمتع بالنعمة ما شاء فاذا لم يشكر
عليها قلبها عذابا ولهذا كانوا يسمون الشكر الحافظ لأنه يحفظ النعم
الموجودة. والجالب لأنه يجلب النعم المفقودة . و ذكر ابن ابي الدنيا عن علي بن
أبي طالب رضى الله عنه أنه قال لرجل من همدان إن النعمة موصولة بالشكر
والشكر يتعلق بالمزيد وهما مقرونان فى قرن فلن ينقطع المزيد من الله حتى
ينقطع الشكر من العبد . وقال عمر بن عبد العزيز قيدوا نعم الله بشكر الله
وكان يقال الشكر قيد النعم . وقال مطرف بن عبد الله لأن اعافى فأشكر أحب
الى من أن أتلى فاصبر . وقال الحسن اكثر وامن ذكر هذه النعم فان ذكرها شكر

وقد أمر الله تعالى نبيه أن يحدث بنعمة ربه فقال «وأما بنعمة ربك فحدث» والله تعالى يحب من عبده أن يرى عليه أثر نعمته فان ذلك شكرها بلسان الحال وقال علي بن الجعدى سمعت سفیان الثوري يقول ان داود عليه الصلاة والسلام قال الحمد لله حمداً كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، فأوحى الله اليه يا داود اتعبت الملائكة وقال شعبة حدثنا المفضل بن فضالة عن ابي رجاء العطاردي قال خرج علينا عمران بن الحصين وعليه مطرف خز لم نره عليه قبل ولا بعد فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا انعم الله على عبد نعمة يحب أن يرى أثر نعمته على عبده وفي صحيفة عمر وابن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كلوا واشربوا وتصدقوا في غير خيلة ولا سرف فان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. وذكر شعبة عن ابي اسحق عن ابي الاحوص عن ابيه قال: اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قشفت الهيئة فقال هل لك من مال قال قلت نعم، قال من أي المال؛ قلت من كل المال قد اتانى الله من الابل والحيل والرقيق والغنم قال فاذا اتانى الله مالا فليرد عليك. وفي بعض المراسيل ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده في ما كله ومشربه. وروى عبد الله ابن يزيد المقرئ عن ابي معمر عن بكير ابن عبد الله رفعه: من اعطى خيرا فرؤى عليه سمي حبيب الله محدثا بنعمة الله. ومن اعطى خيرا ولم ير عليه سمي بغيض الله معاديا لنعمة الله. وقال فضيل بن عياض كان يقال من عرف نعمة الله بقلبه وحمده بلسانه لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى «ولئن شكرتم لأزيدنكم» وقال من شكر النعمة أن يحدث بها. وقد قال تعالى «يا بن آدم اذا كنت تتقلب في نعمتي وانت تتقلب في معصيتي فاحذرني لاصرعك بين معاصي، يا ابن آدم اتقني ونم حيث شئت. وقال الشعبي الشكر نصف الايمان، واليقين الايمان كله. وقال أبو قلابة لا تضركم دنيا شكرتموها، وقال الحسن اذا انعم الله على قوم سألهم الشكر فاذا شكروه كان قادرا على أن يزيدهم واذا كفروه كان قادرا على أن يبعث نعمته عليهم عذاباً وقد ذم الله سبحانه الكنود وهو الذي لا يشكر نعمه. قال الحسن إن الانسان لربه لكنود يعد المصائب وينسى النعم. وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم

إن النساء أكثر أهل النار بهذا السبب، قال لو أحسنت إلى أحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً ثم قالت ما رأيت منك خيراً قط. فإذا كان هذا بترك شكر نعمة الزوج وهي في الحقيقة من الله فكيف بمن ترك شكر نعمة الله

يا أيها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبد الرحمن السلمي عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعمة شكر وتركها كفر ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله. والجماعة بركة، والفرقة عذاب. وقال مطرف بن عبد الله نظرت في العافية والشكر فوجدت فيهما خير الدنيا والآخرة ولأن أعاني فاشكر أحب إلى من أن ابتلي فاصبر. ورثي بكر بن عبد الله المزني حملاً عليه حمله وهو يقول الحمد لله استغفر الله قال فانتظرت حتى وضع ما على ظهره وقلت له أما تحسن غير هذا قال بلى أحسن خيراً كثيراً، أقرأ كتاب الله غير أن العبد بين نعمة وذنوب، فاحمد الله على نعمه السابعة واستغفره لذنوبه فقلت الجمال أفقه من بكر. وذكر الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن رداً منكم كنت كلما أتيت على قوله « فبأي آلاء ربكما تكذبان » قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد. وقال مشعر لما قيل لآل داود « اعملوا آل داود شكراً » لم يأت على القوم ساعة إلا وفيهم مصلى. وقال عون بن عبد الله: قال بعض الفقهاء إنى رأيت في أمرى لم أر خيراً إلا شر معه إلا المعافاة والشكر. فرب شاكر في بلائه ورب معافى غير شاكر فإذا سألت الله فاسألوهما جميعاً. وقال أبو معاوية لبس عمر بن الخطاب قميصاً فلما باع ترقوته قال الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتى وأجمل به في حياتى ثم مد يديه فنظر كل شيء يزيد على يديه فقطعه ثم أنشأ يحدث. قال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوباً احسبه جديداً
فقال حين يبلغ ترقوته أو قال قبل أن يبلغ ركبتيه مثل ذلك ثم عمد الى ثوبه
الخلق فكسا به مسكيناً لم يزل في جوار الله وفي ذمة الله وفي كنف الله حياً
وميتاً ما بقى من ذلك الثوب سلك . وقال عون بن عبد الله لبس رجل قميصاً
جديداً فحمد الله فغفر له فقال رجل ارجع حتى اشتري قميصاً فألبسه واحمد
الله . وقال شريح ما أصيب عبد بمصيبة الا كان لله عليه فيها ثلاث نعم ألا تكون
كانت في دينه والا تكون أعظم مما كانت وانها لا بد كائنة فتد كانت . وقال
عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: ما قلب عمر بن عبد العزيز بصره الى نعمة انعم
الله بها عليه الا قال اللهم انى أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفراً وان اكفرها
بعد أن عرفتها وأن أنساها ولا أثني بها . وقال روح بن القاسم تنسك رجل
فقال لا آكل الخبيص لا أقوم بشكره فقال الحسن هذا أحق وهل يقوم
بشكر الماء البارد وفي بعض الآثار الآلهية: يقول الله عز وجل: ابن آدم خيرى
اليك نازل وشرك الى صاعد اتحبب اليك بالنعم وتبغض الي بالمعاصي ولا يزال
ملك كريم قد عرج الى منك بعمل قبيح . قال ابن أبي الدنيا حدثني أبو علي قال
كنت اسمع جاراً لي يقول فى الليل يا ألهى خيرك على نازل وشرى اليك صاعد
كم من ملك كريم قد صعد اليك منى بعمل قبيح وأنت مع غناك عنى تتحبب الى
بالنعم وأنا مع فقرى اليك وفاقتى اتمقت اليك بالمعاصي ، وانت فى ذلك تجبرنى
وتسترنى وترزقنى . وكان أبو المغيرة اذا قيل له كيف اصبحت يا أبى محمد قال
أصبحنا مغرقين فى النعم عاجزين عن الشكر يتحبب الينا ربنا وهو غنى عنا
ونتمقت اليه ونحن اليه محتاجون . وقال عبد الله بن ثعلبة الهى من كرمك
انك تطاع ولا تعصى ومن حلك انك تعصى وكأنتك لا ترى وأى زمن
لم يعصك فيه سكان ارضك وأنت بالخير عواد . وكان معاوية بن قرة اذا
لبس ثوباً جديداً قال بسم الله والحمد لله . وقال أنس بن مالك ما من عبد توكل
بعبادة الله الا عزم الله السموات والارض تعبر رزقه فجعله فى أيدي بنى
آدم يعملونه حتى يدفع عنه اليه فأن العبد قبله أوجب عليه الشكر وان أباه
وجد الغنى الحميد عبداً فقراء يأخذون رزقه ويشكرون له . وقال يونس

ابن عبید قال رجل لأبي تميمه كيف أصبحت قال أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملي. وروى ابن أبي الدنيا عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام أن دوسى عليه السلام: قال يارب ما الشكر الذي ينبغي لك: قال لا يزال لسانك رطبا من ذكرى. وروى سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دعى رجل من الانصار من أهل قباء النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقنا معه فلما طعم وغسل يديه قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم، من عايننا فهدانا وأطعمنا وسقانا وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله غير مودع ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مستغنى عنه، الحمد لله الذي أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسى من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير من خلقه تفضيلا؛ الحمد لله رب العالمين. وفي مسند الحسن بن الصلاح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنعم الله على عبد نعمة في أهل ولا مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت. ويذكر عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرأى كسرة ملقاة فمسحها وقال يا عائشة أحسنى جوار نعم الله فانها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع اليهم، ذكره ابن أبي الدنيا. وقال الامام احمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا صالح عن ابى عمران الجوقاني عن أبى الخلد قال قرأت في مسألة داود انه قال يارب كيف لي أن أشكر وأنا لا أصل الى شكرك الا بنعمك، قال فأتاه الوحي يا داود اليس تعلم أن الذي بك من النعم منى قال بلى يارب: قال فاني أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ شُكْرًا. وقال عبد الله بن احمد حدثنا أبو موسى الانصاري حدثنا ابو الوليد عن سعيد بن عبد العزيز قال: كان من دعاء داود سبحان مستخرج الشكر بالعباد ومستخرج الدعاء بالبلاء وقال الامام احمد حدثنا ابو معاوية حدثني الاعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحارث قال أوحى الله الى داود أحبني وأحب عبادتي وحبني الى عبادي، قال يارب هذا حبك وحب عبادك فكيف أحبيك الى عبادك قال تذكرني عندهم فانهم

لا يذكروني مني إلا الحسن؛ فجعل جلال ربنا وتبارك اسمه وتعالى جده
وتقدست أسماؤه وجل ثناؤه ولا اله غيره . وقال احمد حدثنا عبدالرزاق بن
عمران قال سمعت وهبا يقول وجدت في كتاب آل داود : بعزتي ان من اعتصم
بي فان كادته السموات بمن فيهن والارضون بمن فيهن فاني أجعل له من بين
ذلك مخرجا، ومن لم يعتصم بي فاني أقطع يديه من أسباب السماء وأخسف به
من تحت قدميه الارض فاجعله في الهواء ثم أكله الى نفسه كفي بي لعبدي
مالا اذا كان عبدي في طاعتي أعطيته قبل أن يسألني وأجبتة قبل أن يدعوني
وإني أعلم بما جتته التي ترفق به من نفسه . وقال احمد حدثنا يسار حدثنا حفص
حدثنا ثابت قال كان داود عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله
فلم يكن ساعة من ليل أو نهار إلا وانسان من آل داود قائم يصلي فيها قال
فعمهم تبارك وتعالى في هذه الآية : « اعملوا آل داود شكرا، وقليل من عبادي
الشكور » قال أحمد وحدثنا جابر بن زيد عن المغيرة بن عيينة قال داود
يارب هل بات أحد من خلقك الليلة أطول ذكرا لك مني فأوحى الله اليه نعم
الضفدع، وأنزل الله عليه « اعملوا آل داود شكرا، وقليل من عبادي الشكور، قال يارب
كيف أطيق شكرك وأنت الذي تنعم علي؛ ثم ترزقني على النعمة الشكر؛ ثم تزيدني نعمة
بعد نعمة فالنعم منك والشكر منك، فكيف أطيق شكرك قال الآن عرفتنى
يا داود . قال احمد وحدثنا عبد الرحمن حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال
نبي الله داود الهى لو أن لكل شعرة مني لسانين يسبحانك الليل والنهار والدهر
ما وفيت حق نعمة واحدة . وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي عمران الجوني عن
أبي الخلد قال : قال موسى يارب كيف لي أن أشكرك وأصغر نعمة وضعتها
عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله، قال فاتاه الوحي يا موسى الآن شكرتني
قال بكر بن عبد الله ما قال عبد قط الحمد لله الا ووجب عليه نعمة بقوله الحمد لله
فجزاء تلك النعمة أن يقول الحمد لله، فجاءت نعمة أخرى فلا تنفذ نعم الله . وقال
الحسن سمع نبي الله رجلا يقول الحمد لله بالاسلام فقال انك لتحمد الله على
نعمة عظيمة . وقال خالد بن معدان سمعت عبد الملك بن مروان يقول ما قال
عبد كلمة أحب الى الله وأبلغ في الشكر عنده من أن يقول الحمد لله الذي أنعم

علينا وهدانا للإسلام . وقال سليمان التيمي أن الله سبحانه أنعم على عبده علي
 قدره وكلفهم الشكر على قدرتهم . وكان الحسن إذا ابتداء حديثه يقول الحمد لله
 اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا، لك
 الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة، كبت عدونا وبسطت
 رزقنا، وأظهرت أمننا، وجمعت فرقنا، وأحسنمت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا
 أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في
 قديم أو حديث أو سر أو علانية أو خاصة أو عامة أو حى أو ميت أو شاهد
 أو غائب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت . وقال الحسن قال موسى
 يارب كيف يستطيع آدم أن يؤدى شكر ما صنعت إليه خالقه بيديك ونفخت
 فيه من روحك وأسكنته جنتك وأمرت الملائكة فسجدوا له : فقال يا موسى
 علم أن ذلك منى فحمدنى عليه فكان ذلك شكر ما صنعت إليه . وقال سعد بن
 مسعود الثقفى إنما سمي نوح عبداً شكوراً لأنه لم يلبس جديداً ولم يأكل طعاماً
 إلا حمد الله . وكان على بن أبى طالب إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيده وقال
 يالها من نعمة لو يعلم العباد شكرها . وقال مخلد بن الحسين كان يقال الشكر ترك
 المعاصى . وقال أبو حازم كل نعمة لا تقرب من الله فهى بلية . وقال أبو سليمان
 ذكر النعم يورث الحب لله ، وقال حماد بن زيد حدثنا ليث عن أبى بردة قال
 قدمت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام فقال لى ألا تدخل بيتاً دخله النبي صلى
 الله عليه وسلم ونطعمك سويقاً وتمراً ، ثم قال إن الله إذا جمع الناس غداً ذكرهم
 بما انعم عليهم ، فيقول العبد ما آية ذلك فيقول آية ذلك إنك كنت فى كربة
 كذا وكذا قد دعوتنى فكشفتها وآية ذلك أنك كنت فى سفر كذا وكذا
 فاستصحبتنى فصحبتك قال يذكره حتى يذكر فيقول آية ذلك أنك خطبت
 فلانة بنت فلان وخطبها معك خطاب فزوجتك ورددتهم . يقف عبده بين يديه
 فيعدد عليه نعمه فبكى ثم بكى ثم قال انى لارجو الله أن لا يقعد الله عبداً بين
 يديه فيعذبه . وروى ليث بن أبى سليم عن عثمان عن ابن سيرين عن أنس بن مالك
 قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم يؤتى بالنعم يوم القيامة والحسنات والسيئات
 فيقول الله عز وجل لنعمة من نعمه خذى حقلك من حسناته فما تترك له من

حسنة إلا ذهبت بها . وقال بكر بن عبد الله المزني ينزل بالعبد الأمر فيدعو الله فيصرف عنه فيأتيه الشيطان فيضعف شكره ، يقول ان الامر كان ايسر مما نذهب اليه ، قال او لا يقول العبد كان الامر اشد مما اذهب اليه ؛ ولكن الله صرفه عنى . و ذكر ابن ابى الدنيا عن صدقة بن يسار قال بينا داود عليه السلام فى محرابه اذ مرت به ذرة فنظر اليها وفكر فى خلقها وعجب منها وقال ما يعبؤ الله بهذه فانطقها الله فقالت يا داود اتعجبك نفسك فوالذى نفسى بيده لأنا على ما أتانى الله من فضله اشكر منك على ما أتاك من فضله . وقال ايوب ان من اعظم نعمة الله على عبده ان يكون مأمونا على ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم . وقال سفيان الثورى : كان يقال ليس بفقير من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة . وقال زازان مما يجب لله على ذى النعمة بحق نعمته ان لا يتوصل بها الى معصية . قال ابن ابى الدنيا انشدنى محمود الوراق

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف وقوع الشكر الا بفضله وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها وان مس بالضراء اعقبها الاجر
وما منهما إلا له فيه منة تضيق بها الأوهام والبر والبحر

وقد روى الدراوردي عن عمرو بن ابى عمرو عن سعيد المقبرى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قال الله عز وجل ان المؤمن عندى بمنزلة كل خير يحمدنى وانا أنزع نفسه من بين جنبيه . ومحمد بن المنكدر بشاب يغامر امرأة فقال يا فتى ما هذا جزاء نعم الله عليك . وقال حماد بن سلمة عن ثابت قال : قال أبو العالية انى لأرجو أن لا يهلك عبد بين اثنتين نعمة يحمد الله عليها وذنب يستغفر منه . وكتب بن السماك الى محمد بن الحسن حين هلى القضاء بالرقعة أما بعد فلتكن التقوى من بالك على كل حال ، وخف الله من كل نعمة أنعم بها عليك من قلة الشكر عليها مع المعصية بها ؛ فان فى النعم حجة وفيها تبعه فأما الحجة بها فالمعصية بها ، وأما التبعه فيها فقلة الشكر عليها فعفى الله عنك كلما ضيعت من شكر أو ركبت من ذنب أو قصرت من حق . ومرو

الربيع ابن أبي راشد برجل به زمانة فجلس يحمد الله ويبكي قيل له ما يبكيك
 قال ذكرت أهل الجنة وأهل النار فشبهت أهل الجنة بأهل العافية وأهل
 النار بأهل البلاء فذلك الذي أبكاني. وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه
 عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحب أحدكم أن يرى قدر نعمة الله
 عليه فلينظر الى من تحته ولا ينظر الى من هو فوقه. قال عبد الله بن
 المبارك اخبرني يحيى بن عبد الله قال سمعت أبا قال سمعت أبي هريرة
 فذكره. وقال ابن المبارك حدثنا يزيد بن ابراهيم عن الحسن قال: قال
 ابو الدرداء من لم يعرف نعمة الله عليه الا في مطعمه ومشر به فقد قل عمله وحضر
 عذابه. قال ابن المبارك أخبرنا مالك بن انس عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة
 عن انس رضى الله عنه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه سلم على رجل
 فرد عليه السلام فقال عمر للرجل كيف أنت قال الرجل احمد اليك الله قال
 هذا اردت منك، قال ابن المبارك واخبرنا مسعود عن علقمة بن مرثد عن ابن
 عمر رضى الله عنهما قال لعلنا نلتقى في اليوم مرارا يسأل بعضنا عن بعض ولم يرد بذلك الا
 ليحمد الله عز وجل، وقال مجاهد في قوله تعالى «واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة» قال
 لا إله الا الله وقال ابن عيينة ما انعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرفهم لا إله الا الله
 قال، وأن لا اله الا الله لهم في الآخرة كالما في الدنيا. وقال بعض السلف في خطبته
 يوم عيد أصبحتم زهرا وأصبح الناس غبرا أصبح الناس يندسجون وأتم تلبسون
 وأصبح الناس يعطون وأتم تأخذون وأصبح الناس ينتجون وأتم تركبون
 وأصبح الناس يزرعون وأتم تأكلون فبكي وأبكاكم. وقال عبد الله بن قرط
 الازدي وكان من الصحابة على المنبر وكان يوم اضحى ورأى على الناس
 ألوان الثياب يالها من نعمة ما أشبعها، ومن كرامة ما أظهرها مازال عن قوم
 شيئا أشد من نعمة لا يستطيعون ردها وانما تشبت النعمة بشكر المنعم عاينه
 للنعيم. وقال سليمان الفارسي رضى الله عنه ان رجلا بسط له من الدنيا فانترع
 ما في يديه فجعل يحمد الله ويثنى عليه حتى لم يكن له فراش الا بارية قال فجعل
 يحمد الله ويثنى عليه. وبسط لآخر من الدنيا فقال لصاحب البارية رأيتك أنت
 على ما نحمد الله قال أحمدته على ما لو أعطيت به ما أعطى الخلق لم اعطهم اياه

قال وما ذاك قال رأيتك بصرك، رأيتك لسانك، رأيتك يديك، رأيتك رجلك.
وجاء رجل الى يونس بن عبيد يشكو ضيق حاله فقيل له يونس أيسرك ببصرك هذه
مائة الف درهم قال الرجل لا قال فيبيديك مائة الف قال لا فبرجلك مائة الف قال لا،
قال فذكره نعم الله عليه؛ فقال يونس أرى عندك مئين الالوف وأنت تشكو الحاجة
وكان أبو الدرداء يقول الصحة الملك . وقال جعفر بن محمد رضى الله عنه: فقد
ابى بغلة له فقال ان ردها الله على لاحمدنه بمحامد يرساها فما لبث أن أتى بها
بسرجهما ولجامها فركبها فلما استوى عليها وضم اليه ثيابه رفع رأسه الى السماء
فقال الحمد لله لم يزد عاينها فقيل له في ذلك فقال هل تركت وأبقيت شيئاً جعلت
الحمد كله لله . وروى ابن أبي الدنيا من حديث سعد بن اسحق بن كعب بن
عجرة عن ابيه عن جده قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثاً من
الانصار وقال إن سلمهم الله وغنمهم فان لله على في ذلك شكرا قال فلم يلبثوا ان
غنموا وسلّموا، فقال بعض أصحابه سمعناك تقول ان سلمهم الله وغنمهم فان لله
على في ذلك شكرا، قال قد فعلت اللهم لك الحمد شكرا ولك المن فضلا
وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال محمد بن المنكدر لابي حازم يا أبا
حازم ما أكثر من يلقاني فيدعولى بالخير ما أعرفهم وما صنعت اليهم خيراً
قط فقال أبو حازم لا تظن ان ذلك من قبلك، ولكن انظر الى الذى ذلك
من قبله فأشكره، وقرأ أبو عبد الرحمن « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن وداً » وقال على بن الجعد حدثنا عبد العزيز ابن أبى سلمة
الماجشون حدثنى من أصدقه أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان يقول فى
دعائه أسألك تمام النعمة فى الاشياء كلها والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا
والخيرة فى جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع ميسر الامور كلها لا معسورها
يا كريم . وقال الحسن ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان ما اعطى
أكثر مما أخذ » قال ابن ابى الدنيا وبلغنى عن سفیان بن عيينة انه قال هذا خطأ
لا يكون فعل العبد أفضل من فعل الله ثم قال وقال بعض أهل العلم انما تفسير
هذا أن الرجل اذا انعم الله عليه نعمة وهو ممن يجب عليه أن يحمده عرفه
ما صنع به فيشكر الله كما ينبغى له أن يشكره فكان الحمد له أفضل: قلت لا يلزم الحسن

ما ذكر عن ابن عيينة فان قوله الحمد لله نعمة من نعم الله والنعمة التي حمد الله عليها
 أيضاً نعمة من نعم الله وبعض النعم أجل من بعض فنعمة الشكر أجل من
 نعمة المال والجاه والولد والزوجة ونحوها والله أعلم . وهذا لا يستلزم أن
 يكون فعل العبد أفضل من فعل الله وإن دل على أن فعل العبد للشكر قد
 يكون أفضل من بعض مفعول الله وفعل العبد هو مفعول الله، ولا ريب أن
 بعض مفعولاته أفضل من بعض . وقال بعض أهل العلم لنعم الله علينا فيما
 زوى عنا من الدنيا أفضل من نعمه علينا فيما بسط لنا منها . وذلك أن
 الله لم يرض لنبيه الدنيا فان أكون فيما رضى الله لنبيه وأحب له أحب
 إلى أن أكون فيما كره له وسخطه . وقال ابن أبي الدنيا بلغني عن بعض
 العلماء أنه قال ينبغي للعالم أن يحمد الله على ما زوى عنه من شهوات الدنيا
 كما يحمده على ما أعطاه، وأين يقع ما أعطاه الله، والحساب يأتي عليه إلى ما عافاه
 الله ولم يتبتله به فيشغل قلبه ويتعب جوارحه فيشكر الله على سكون قلبه
 وجمع همه وحدث عن ابن أبي الحواري قال جلس فضيل بن عياض
 وسفيان بن عيينة ليلة إلى الصباح يتذاكران النعم فجعل سفيان يقول أنعم
 الله علينا في كذا وكذا انعم الله علينا في كذا فعل بنا كذا . وحدثنا عبد الله بن
 داود عن سفيان في قوله « سنستدرجهم من حيث لا يعلمون » قال يسبغ
 عليهم النعم ويمنعهم الشكر . وقال غير سفيان كلما احدثوا ذنبا احدث لهم
 نعمة . وسئل ثابت البناني عن الاستدراج فقال ذلك مكر الله بالعباد المضيعين
 وقال يونس في تفسيرها إن العبد إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها وبقي عليها ثم
 شكر الله بما أعطاه أشرف منها ، وإذا هو ضيع الشكر استدرجه الله
 وكان تضيقه الشكر استدراجاً . وقال أبو حازم نعمة الله فيما زوى عنى من
 الدنيا اعظم من نعمته فيما أعطاني منها انى رأيت . أعطاهما أقواما فهلكوا
 وكل نعمة لا تقرب من الله فهي بلية وإذا رأيت الله يتابع عليك نعمه
 وأنت تعصيه فاحذره . وذكر كاتب الليث عن هقل عن الاوزاعي أنه وعظهم
 فقال في موعظته أمها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب
 من نار الله الموقدة التي تتطلع على الافئدة فانكم في دار الثواب فيها قليل

وأتم فيها مرجون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا
أنفعها وزهرتها فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمد أجساماً وأعظم آثاراً
فقطعوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا في البلاد مؤيديين ببطش شديد
وأجسام كالعماد، فما لبثت الايام والليالي أن طوت مددهم وعفت آثارهم واخوت
منازلهم وأنست ذكرهم فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا، كانوا
يلهون آمنين لبيات قوم غافلين او لصباح قوم نادمين ثم انكم قد علمتم
الذي نزل بساحتهم بيئات من عقوبة الله فأصبح كثير منهم في دارهم جاثمين،
وأصبح الباقون ينظرون في آثارهم نقمة وزوال نعمة ومساكن خاوية، فيها
آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى وأصبحتم من بعدهم في أجل
منقوص ودنيا مقبوضة وزمان قدولى عفوه وذهب رخاؤه، فلم يبق منه الا حماة
شر وصباية كدر وأهاويل عبر وعقوبات غير، وارسال فتن، وتتابع زلازل
ورذلة خلف، بهم ظهر الفساد في البر والبحر، ولا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل
وغره طول الأجل، وتبلغ بطول الأمانى نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى
انذاره وعقل بشره فهد لنفسه، وكان يقال الشكر ترك المعصية. وقال ابن المبارك
قال سفيان ليس بفقير من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة. وكان مروان بن
الحكم اذ ذكر الاسلام قال بنعمة ربي وصلت اليه لا بما قدمت يدي
ولا بأرادتي اني كنت خاطئاً. وكم من مدخل لو مت فيه لكنت فيه نكالا في
العشيرة ووقيت السوء والمكروه فيه ووظفرت بنعمة منه كبيرة. وكم من نعمة لله
تمسى وتصبح في العيان وفي السريرة. ودعى عثمان بن عفان رضى الله عنه الى
قوم على رية فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم فأعتق رقبة شكرا لله ان
لا يكون جرى على يديه خزي مسلم. قال يزيد بن هر ونا اخبرنا اصبع بن
يزيد أن نوحا صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج من الخلاء قال الحمد لله الذي اذاقني
لذته وابقى منفعتة في جسني واذهب عني اذاه فسمى عبد اشكو را. وقال ابن
أبي الدنيا حدثني العباس بن جعفر عن الحارث بن شبل قال حدثتنا ام النعمان
ان عائشة حدثتها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يقم عن خلاء قط الا قاله
وقال رجل لأبي حازم ما شكر العينين يا أبا حازم قال ان رأيت بهما خيرا

اعلنته، وان رأيت بهما شرا سترته. قال فما شكر الاذنين قال ان سمعت بهما خيرا وعيته وان سمعت بهما شرا دفعته. قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما مالا ليس لهما ولا تمنع حقاً لله هو فيهما. قال فما شكر البطن قال أن يكون اسفله طعاما واعلاه علما. قال فما شكر الفرج قال الله « والذين هم لفر وجهم حافظون الاعلى ازواجهم أو ماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأؤلئك هم العادون » قال فما شكر الرجاين قال ان علمت ميتاً تغبطه استعملت بهما عمله وان مقتته رغبت عن عمله وانت شاكر لله. واما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع اعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فاخذ بطرفه ولم يلبسه فما ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر. وذكروا عبد الله بن المبارك ان النجاشي ارسل ذات يوم الى جعفر واصحابه فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان جالس على التراب. قال جعفر فاشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما في وجوهنا قال انى ابشركم بما يسركم أنه جاءني من نحو ارضكم عين لي فأخبرني ان الله قد نصر نبيه صلى الله عليه وسلم وأهلك عدوه وأسر فلان وفلان وقتل فلان وفلان، التقوا بواد يقال له بدر كثير الا كراك كأتى انظر اليه كنت ارعى به لسيدى رجل من بنى ضمرة، فقال له جعفر ما بالك جالسا على التراب ليس تحتك بساط وعليك هذه الاخلاق، قال انا نجد فيما انزل الله على عيسى صلى الله عليه وسلم: ان حقا على عباد الله ان يحدوا الله تواضعا عند ما احدث الله لهم من نعمة؛ فلما احدث الله لى نصر نبيه احدثت لله هذا التواضع. وقال حبيب ابن عبيد ما ابتلى الله عبدا بيلاء الا كان له عليه فيه نعمة الا يكون اشد منه؛ وقال عبد الملك بن اسحق ما من الناس الا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره، او بلية لينظر كيف صبره. وقال سفيان الثوري لقد انعم الله على عبد في حاجة اكثر من تضرعه اليه فيها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه أمر يسره به خر لله ساجدا شكرا له عز وجل ذكره احمد. وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فتوجه نحو صدقته فدخل فاستقبل القبلة فخر ساجدا فاطال السجود، فقلت يا رسول الله سجدت سجدة حسبت ان يكون الله قد قبض نفسك فيها فقال ان جبريل أتاني فبشرني أن

الله عزوجل يقول لك، من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه
فسجدت لله شكرا ذكره احمد. وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال
خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من مكة نريد المدينة، فلما كنا قريبا من
عزور نزل ثم رفع يديه ودعى الله ساعة ثم خر ساجدا فمكث طويلا ثم قام
فرفع يديه ساعة ثم خر ساجدا فعله ثلاثا وقال انى سألت ربي وشفعت لأمي
فاعطاني ثلث أمي فخررت ساجدا شكر الربى، ثم رفعت رأسي فسألت ربي فاعطاني
الثلث الآخر فخررت ساجدا لربى رواه ابوداود. وذكر محمد بن اسحاق فى كتاب
الفتوح قال لما جاء المبشر يوم بدر بقتل أبى جهل استحلفه رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة إيمان بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيت قتيلا فحلف له
فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا. وذكر سعيد بن منصور ان أبى
بكر الصديق رضى الله عنه سجد حين جاءه قتل مسيلمة. وذكر أحمد أن عليا
رضى الله عنه سجد حين وجد ذا الثدية فى الخوارج. وسجد كعب بن مالك فى
عهد النبي صلى الله عليه وسلم لما بشر بتوبة الله عليه والقصة فى الصحيحين
فان قيل فنعم الله دائما مستمرة على العبد فى الذى اقتضى تخصيص النعمة الحادثة
بالشكر دون الدائمة. وقد تكون المستدامة أعظم: قيل الجواب من وجوه: أحدها
أن النعمة المتجددة تذكر بالمستدامة والانسان موكل بالأدنى. الثانى ان هذه
النعمة المتجددة تستدعى عبودية مجددة وكان أسهلها على الانسان واحبها الى
الله السجود شكر اله. الثالث أن المتجددة لها وقع فى النفوس والقلوب بها اعلق
ولهذا يهني بها ويعزى بفقدها. الرابع ان حدوث النعم توجب فرح النفس
وانبساطها وكثيرا ما يجر ذلك الى الاشر والبطر، والسجود ذل لله وعبودية وخضوع
فاذا تلقى به نعمته لسروره وفرح النفس وانبساطها فكان جديرا بدوام تلك النعمة.
وإذا تلقاها بالفرح الذى لا يحبه الله والاشر والبطر كما يفعله الجهال عندما يحدث
الله لهم من النعم كانت سريعة الزوال وشيكة الانتقال وانقلبت نقمة وعادت
استدراجا. وقد تقدم أمر النجاشى فان الله اذا أحدث لعبده نعمة احب ان
يحدث لها تواضعا. وقال العلاء ابن المغيرة بشرت الحسن بموت الحجاج وهو
محتف فخر لله ساجدا

فصل

ومن دقيق نعم الله على العبد التي لا يكد يفطن لها أنه يعلق عليه بابه
فيرسل الله اليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القوت ليعرفه نعمته
عليه . وقال سلام بن أبي مطيع دخلت على مريض أعوده فاذا هو بين فقلت
له أذكر المطر وحين على الطريق، أذكر الذبن لا مأوى لهم ولا لهم من يخدمهم
قال ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعتة يقول لنفسه أذكر المطر وحين في الطريق
أذكرى من لا مأوى له ولا له من يخدمه . وقال عبد الله بن أبي نوح قال لى
رجل على بعض السواحل كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملت بما تحب
قلت ما أحصى ذلك كثرة ، قال فهل قصدت اليه فى أمر كريك فخذ لك ، قلت
لا والله ولكنه أحسن إلى وأعانتى ، قال فهل سألته شيئاً فلم يعطيكه قلت وهل
منعنى شيئاً سألته ما سألته شيئاً قط الا أعطانى ولا استعنت به إلا أعانى قال
أرأيت لو أن بعض بنى آدم فعل بك بعض هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك
قلت ما كنت أقدر له مكافأة ولا جزاء ، قال فريك أحق وأحرى أن تدب
نفسك له فى أداء شكره وهو المحسن قديماً وحديثاً اليك ، والله لشكره أيسر
من مكافأة عباده إنه تبارك وتعالى رضى من العباد بالحمد شكراً . وقال سفيان
الثورى ما كان الله لينعم على عبد فى الدنيا فيفضحه فى الآخرة ويحق على
المنعم أن يتم النعمة على من أنعم عليه . وقال ابن أبى الحوارى قلت لابي
معاوية ما أعظم النعمة علينا فى التوحيد نسأل الله أن لا يسلبنا إياه قال يحق
على المنعم أن يتم النعمة على من أنعم عليه والله أكرم من أن ينعم بنعمة
إلا أتمها ويستعمل بعمل الا قبله . وقال ابن أبى الحوارى قالت لى امرأة أنا فى
بيتى قد شغل قلبى قلت وما هو ، قالت أريد أن أعرف نعم الله على فى طرفة عين
أو أعرف تقصيرى عن شكر النعمة على فى طرفة عين . قلت تريدن ما لا تهتدى
اليه عقولنا . وقال ابن زيد إنه ليكون فى المجلس الرجل الواحد يحمد الله
عز وجل فيقضى لذلك المجلس حوائجهم كلهم . قال وفى بعض الكتب التى

أنزلها الله تعالى إنه قال سرور عبدى المؤمن فكان لا يأتيه شيء الا قال الحمد لله، الحمد لله ماشاء الله قال روعوا عبدى المؤمن فكان لا يطلع عليه طليعة من طلائع المكروه الا قال الحمد لله، الحمد لله فقال الله تبارك وتعالى إن عبدى يحمدنى حين روعته كما يحمدنى حين سررته ادخلوا عبدى دار عزى كما يحمدنى على كل حالاته . وقال وهب : عبد الله عابد خمسين عاما فأوحى الله اليه انى قد غفرت لك قال أى رب وما تغفر لى ولم أذنب فاذن الله لعرق فى عنقه يضرب عليه فلم ينم ولم يصل ثم سكن فنام ثم أتاه ملك فشكا اليه فقال ما لقيت من ضربان العرق فقال الملك ان ربك يقول ان عبادتك خمسين سنة تعدل سكون العرق . وذكر ابن أبى الدنيا أن داود قال يارب اخبرنى ما أدنى نعمك على فأوحى الله اليه يا داود تنفس فتنفس قال هذا أدنى نعمى عليك

فصل

وبهذا يتبين معنى الحديث الذى رواه أبو داود من حديث زيد بن ثابت وابن عباس ان الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم . والحديث الذى فى الصحيح لن ينجى أحدا منكم عمله ، قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله برحمته منه وفضل . فان أعمال العبد لا توافى نعمة من نعم الله عليه . وأما قول بعض الفقهاء إن من حلف أن يحمد الله بأفضل أنواع الحمد كان بريميه أن يقول الحمد لله حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده، فهذا ليس بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة وانما هو اسرايلى عن آدم . وأصح منه الحمد لله غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا . ولا يمكن حمد العبد وشكره أن يوافى نعمة من نعم الله فضلا عن موافاة جميع نعمه ولا يكون فعل العبد وحمده مكافياً للزهد ، ولا كفى يحمل على وجه يصح ، وهو أن الذى يستحقه الله سبحانه من الحمد حمدا يكون موافياً لنعمه ومكافئاً لمزيده وان لم يقدر العبد أن يأتى به كما إذا قال الحمد لله ملء

السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، وعدد الرمال والتراب والحصى والقطر وعدد أنفاس الخلائق وعدد ما خلق الله وما هو خالق، فهذا اخبار عما يستحقه من الحمد لاعماله يقع من العبد من الحمد

فصل

وقال ابو الميخ قال موسى يارب ما أفضل الشكر قال ان تشكرني على كل حال . وقال بكر بن عبد الله قلت لابي اوصني فقال ما أدري ما أقول غير أنه ينبغي لهذا العبد أن لا يفتر من الحمد والاستغفار، فإن ابن آدم بين نعمة وذنوب ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار فأوسعني علما ماشئت . وقال عبد العزيز ابن أبي داود رأيت في يد محمد بن واسم قرحة فكأنه رأى ماشق على منها ، فقال لي أتدري ماذا الله علي في هذه القرحة من نعمة حين لم يجعلها في صدقي ولا طرف لساني ولا على طرف ذكرتي فهانت علي قرحته . وروى الجريري عن أبي الورد عن الجلاح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى علي رجل وهو يقول اللهم اني أسألك تمام النعمة فقال ابن آدم هل تدري ما تمام النعمة، قال يارسول الله دعوت دعوة أرجو بها الخير ، فقال ان تمام النعمة فوز من النار ودخول في الجنة . وقال سهيم بن سلمة حدثت إن الرجل إذا ذكر اسم الله على أول طعامه وحمده على آخره لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام

فصل

ويدل على فضل الشكر على الصبر ان الله سبحانه يجب أن يسأل العافية وما يسأل شيئاً أحب اليه من العافية كما في المسند عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر ثم قال سلوا الله العافية فإنه لم يعط عبداً بعد اليقين خيراً من العافية

وفي حديث آخر إن الناس لم يعطوا في هذه الدنيا شيئاً أفضل من العفو
 والعافية فسلوهما الله عز وجل وقال لعنه العباس يا عم أكثر من الدعاء بالعافية.
 وفي الترمذي قلت يا رسول الله علمني شيئاً أسأله الله ، قال سل الله العافية
 فكثت أياماً ثم جئت فقلت علمني شيئاً أسأله الله فقال لي يا عباس يا عم
 رسول الله سل الله العافية في الدنيا والآخرة . وقال في دعائه يوم الطائف
 ان لم يكن بك على غضب فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي فلاذ بعافيته
 كما استعاذ بها في قوله أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافتك من
 عقوبتك وأعوذ بك منك . وفي حديث آخر سلو الله العفو والعافية والمعافة
 وهذا السؤال يتضمن العفو عما مضى والعافية في الحال والمعافة في المستقبل
 بدوام العافية واستمرارها . وكان عبد الأعلى التيمي يقول أكثروا من سؤال
 الله العافية فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافي الذي
 لا يأم من البلاء ، وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس ، وما المبتلون بعد
 اليوم إلا من أهل العافية اليوم ولو كان البلاء يجر إلى خير ما كنا من رجال
 البلاء إنه رب بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخرة فما يؤمن من
 أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من
 البلاء ما يجهده في الدنيا ويفضحه في الآخرة . ثم يقول بعد ذلك الحمد لله
 الذي أن نعد نعمه لانحصيها وإن ندأب له عملاً لا نجزيه وأن نعمر فيها
 لانبيها . ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يسأل الله الصبر فقال
 لقد سألت البلاء فاسأل العافية . وفي صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم عاد
 رجلاً قد هفت أي هزل فصار مثل الفرخ فقال صلى الله عليه وسلم هل
 كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه قال نعم كنت أقول اللهم ما كنت
 معاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانه
 لا تطيقه ولا تستطيعه ، أفلا قلت اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
 حسنة وقنا عذاب النار فدعى الله له فشفاه . وفي الترمذي من حديث أبي

هريرة رضى الله عنه قال دعاء حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ادعوه
 اللهم اجعلنى أعظم شكرك واكثر ذكرك واتبع نصيحتك واحفظ وصيتك.
 وقال شيبان كان الحسن اذا جلس مجلسا يقول لك الحمد بالاسلام ولك الحمد
 بالقرآن ولك الحمد بالاهل والمال بسطت رزقنا وأظهرت امننا وأحسننت
 معافاتنا ومن كل ما سألناك أعطيتنا فلك الحمد كثيرا كما تنعم كثيرا اعطيت
 خيرا كثيرا وصرفت شرا كثيرا فلوجهك الجليل الباقي الدائم الحمد. وكان
 بعض السلف يقول اللهم ما أصبح بنا من نعمة أو عافية أو كرامة في دين أو
 دنيا جرت علينا فيما مضى وهى جارية علينا فيما بقى فانها منك وحدك لا شريك لك
 فلك الحمد بذلك علينا ولك المن ولك الفضل ولك الحمد عدد ما أنعمت به علينا وعلى
 جميع خلقك لا اله الا أنت. وقال مجاهد اذا كان ابن عمر في سفر فطلع الفجر رفع
 صوته ونادى سمع سامع يحمد الله ونعمه وحسن بلائه علينا ثلاثا اللهم صاحبنا
 فافضل علينا عائد بالله من النار ولا حول ولا قوة الا بالله ثلاثا. وذكر الامام
 احمد ان الله سبحانه أوحى الى موسى بن عمران عليه السلام يا موسى كن
 يقظان مرتادا لنفسك اخذانا وكل خدن لا يوا تيك على مسرتى فلا تصحبه
 فانه عدو لك وهو يقسى قلبك واكثر من ذكرك حتى تستوجب الشكر وتستكمل
 المزيدي، وقال الحسن خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى
 وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى فدبوا على وجه الأرض منهم
 الاعمى والاصم والمبتلى، فقال آدم يارب الا سويت بين ولدى، قال آدم انى
 اريد أن أشكر. وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
 اللهم ما أصبح بي من نعمة أو باحد من خلقك فنك وحدك لا شريك لك
 فلك الحمد ولك الشكر الا ادى شكر ذلك اليوم. ومن قال ذلك حين
 يمسى فقد ادى شكر ليلته. ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من ابتلى
 فصبر وأعطى فشكر وظلم فغفر وظلم فاستغفر، أولئك لهم الأمن وهم
 مهتدون. ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه أوصى رجلا بثلاث، فقالا أكثر
 من ذكر الموت يشغلك عما سواه وعليك بالدعاء فانك لا تدرى متى يستجاب

لك، وعليك بالشكر فإن الشكر زيادة. ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى وهدانى وكل بلاء حسن ابلائى. الحمد لله الرازق ذى القوة المتين اللهم لا تنزع منا صالحا أعطيتنا ولا صالحا رزقتنا واجعلنا لك من الشاكرين. ويذكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا أكل قال الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا. وكان عروة بن الزبير اذا أتى بطعام لم يزل مخمرا حتى يقول هذه الكلمات الحمد لله الذى هدانا واطعمنا وسقانا ونعمنا الله أكبر. اللهم الفتنا نعمتك ونحن بكل شرفا صبغنا وامسينا بخير نسألك تمامها وشكرها لا خير الا خيرك ولا إله غيرك إله الصالحين ورب العالمين، الحمد لله لا إله الا الله ماشاء الله لا قوة الا بالله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار وقال وهب بن منبه رؤس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الاسلام التى لا تتم نعمة الا بها، والثانية نعمة العافية التى لا تطيب الحياة الا بها، والثالثة نعمة الغنى التى لا يتم العيش الا به. وقدم سعيد الجريرى من الحج فجعل يقول أنعم الله علينا فى سفرنا بكندا وكذا ثم قال تعداد النعم من الشكر. وهو وهب بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وضح وهو يقول الحمد لله على نعمه، فقال رجل كان مع وهب أى شىء بقى عليك من النعمة نحمد الله عليها فقال له المبتلى ارم ببصرك الى أهل المدينة فانظر الى كثرة اهلها افلا احمد الله انه ليس فيها أحد يعرفه غيرى، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا أنعم الله على عبد نعمة فحمده عندها فقد أدى شكرها. وذكر على بن ابى طالب رضى الله عنه ان يختصر اتى بدانيال فامر به فحبس فى جب واضرى اسدين ثم خلى بينهما وبينه ثم فتح عليه بعد خمسة أيام فوجده قائما يصلى والاسدان فى ناحية الجب لم يعرضا له، فقال له ما قلت حين دفع عنك قال قلت الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره، والحمد لله الذى لا يخيب من رجاءه، والحمد لله الذى لا يكل من توكل عليه الى غيره والحمد لله الذى هو ثقنا حين تنقطع عنا الحيل، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين

يسوء ظننا بأعمالنا ، والحمد لله الذى يكشف عنا ضرنا بعد كرتنا ، والحمد لله الذى يجزى بالأحسان احسانا ، والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاته . ويدكر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان إذا نظر فى المرأة قال الحمد لله الذى أحسن خلقتى وخلقتى وزان منى ماشان من غيرى . وقال ابن سيرين كان ابن عمر يكثر النظر فى المرأة وتكون معه فى الاسفار ، فقلت له ولم قال انظر فما كان فى وجهى زين فهو فى وجه غيرى شين أحمد الله عليه . وسئل أبو بكر ابن أبى مریم ماتمام النعمة قال أن تضع رجلا على الصراط ورجلا فى الجنة وقال بكر بن عبدالله يا ابن آدم ان أردت أن تعرف قدر ما أنعم الله عليك فغمض عينيك . وقال مقاتل فى قوله « واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة » قال أما الظاهرة فالاسلام وأما الباطنة فستره عليكم بالمعاصى . وقال ابن شوذب قال عبد الله يعنى ابن مسعود رضى الله عنه ان الله على أهل النار منة لو شاء أن يعذبهم بأشد من النار لعذبهم . وقال ابو سليمان الداراني جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيه خصالا : الكرم والسخاء والحلم والرأفة والرحمة والشكر والبر والصبر . وقال أبو هريرة رضى الله عنه من رأى صاحب بلاء فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى عليك وعلى جميع خلقه تفضيلا فقد أدى شكر تلك النعمة . وقال عبد الله ابن وهب سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول ، الشكر يأخذ بجذم الحمد وأصله وفرعه قال ينظر فى نعم الله ، فى بدنه وسمعته وبصره ويديه ورجليه وغير ذلك ، ليس من هذا شىء الا فيه نعمة من الله ، حق على العبد ان يعمل فى النعمة التى هى فى بدنه لله فى طاعته ونعمة أخرى فى الرزق ، وحق عليه ان يعمل لله فيما أنعم عليه به من الرزق بطاعته ، فمن عمل بهذا كان قد أخذ بجذم الشكر وأصله وفرعه . وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ورفع له بها درجة فى الاخرى ، وما أنعم الله على عبد نعمة فى الدنيا ، فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها إلا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقات من النار

يعذبه ان شاء أو يتجاوز عنه . وقال الحسن من لا يرى لله عليه نعمة إلا في
مطعم أو مشرب أو لباس فقد قصر علمه وحضر عذابه . وقال الحسن
يوماً لبكر المزني هات يا أبا عبد الله دعوات لاخوانك فحمد الله وأثنى
عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ، والله ما أدري أي النعمتين
أفضل علي وعليكم ، أنعمة المسلك أم نعمة المخرج اذا أخرجنا منا قال
الحسن انها لمن نعمة الطعام . وقالت عائشة رضی الله عنها ما من عبد يشرب
الماء القراح فيدخل بغير أذى ويخرج الاذی الاوجب عليه الشكر قال الحسن
يا لها من نعمة تدخل كل لذة وتخرج مسراً لقد كان ملك من ملوك هذه القرية يرى
الغلام من غلمانه يأتي الحب فيكتال منه ثم يخرج قائماً فيقول يا ليتني مثلك
ما يشرب حتى يقطع عنه العطش ، فاذا شرب كان له في تلك الشربة موتات
يا لها من نعمة . وكتب بعض العلماء الى أخ له أما بعد فقد أصبح بنا من نعم
الله ما لا نحصىه مع كثرة ما نعصيه فما ندري أيهما نشكر أجميل ما يسر أم قبيح
ما ستر . وقيل للحسن ها هنا رجل يجالس الناس فجاء اليه فسأله عن ذلك فقال
اني أمسى وأصبح بين ذنب ونعمة فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس
بالاستغفار من الذنب والشكر لله على النعمة ، فقال له الحسن أنت عندى يا عبد
الله أفقه من الحسن فالزم ما أنت عليه . وقال ابن المبارك سمعت علياً بن صالح
يقول في قوله تعالى « لئن شكرتم لازيدنكم » قال أي من طاعتي . والتحقيق
أن الزيادة من النعم وطاعته من أجل نعمه . وذكر ابن أبي الدنيا أن محارب
ابن دثار كان يقول بالليل ويرفع صوته أحياناً أنا الصغير الذي رببته فلك الحمد
وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد ، وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد ، وأنا
الصعلوك الذي مولته فلك الحمد ، وأنا العزب الذي زوجته فلك الحمد ، وأنا
الساغب الذي أشبعته فلك الحمد ، وأنا العارى الذي كسوته فلك الحمد ، وأنا
المسافر الذي صاحبه فلك الحمد ، وأنا الغائب الذي رددته فلك الحمد ، وأنا
الراجل الذي حملته فلك الحمد وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد ، وأنا السائل
الذي أعطيته فلك الحمد ، وأنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد ، ربنا ولك الحمد حمداً

كثيرا . وكان بعض الخطباء يقول في خطبته ، اختط لك الانف فأقامه وآتمه
 فأحسن تمامه ثم أدار منك الحديقة فجعلها بحفون مطبقة ، وبأشفار معلقة ، ونقلك
 من طبقة الى طبقة وحن عليك قلب الوالدين برقة ومقة . فنعمه عليك
 مورقة وأياديه بك محدة . وكان بعض العلماء يقول في قوله تعالى
 « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » سبحان من لم يجعل لحد معرفة
 نعمه الا العلم بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل لحد ادراكه أكثر
 من العلم انه لا يدرك فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكرا كما
 شكر علم العالمين انهم لا يدركونه فجعلها بما نأعلمنا منه ، إن العباد لا يتجاوزون ذلك
 وقال عبد الله بن المبارك أخبرنا مشي بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه
 عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خصلتان من كانتا
 فيه كتبه الله صابرا شاكرا ومن لم يكونا فيه لم يكتبه الله صابرا شاكرا . من
 نظر في دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر في دنياه الى من هو دونه
 فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر في دينه الى من هو
 دونه ونظر في دنياه الى من هو فوقه فاسف على ما فاتته منه لم يكتبه الله صابرا شاكرا
 وهذا الاسناد عن عبد الله بن عمرو موقوفا عليه : أربع خصال من كن فيه بنى
 الله له بيتا في الجنة من كان عصمة أمره لا اله الا الله ؛ واذا أصابته مصيبة
 قال انا لله وانا اليه راجعون ، واذا أعطى شيئا قال الحمد لله ؛ واذا أذنب قال
 استغفر الله . وقال ابن المبارك عن شبيل عن أبي نجیح عن مجاهد في قوله تعالى
 « انه كان عبدا شكورا » قال لم يأكل شيئا الا حمد الله عليه ، ولم يشرب شرابا
 قط الا حمد الله عليه ولم يمش مشيا قط الا حمد الله عليه ، ولم يبيتش بشيء قط الا
 حمد الله عليه ، فأثنى الله عليه انه كان عبدا شكورا . وقال محمد بن كعب كان نوح
 اذا اكل قال الحمد لله ، واذا شرب قال الحمد لله ، واذا لبس قال الحمد لله ، واذا ركب
 قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا . وقال ابن أبي الدنيا بلغني عن بعض الحكماء
 قال لو لم يعذب الله على معصيته لكان ينبغي أن لا يعصى لشكر نعمته

فصل

ولله تبارك وتعالى على عبده نوعان من الحقوق لا ينفك عنهما: أحدهما أمره ونهيهِ اللذين هما محض حقه عليه. والثاني شكر نعمه التي أنعم بها عليه فهو سبحانه يطالبه بشكر نعمه وبالقيام بأمره. فمشهد الواجب عليه لا يزال يشهده تقصيره وتفريطه وأنه محتاج الى عفو الله ومغفرته، فإن لم يداركه بذلك هلك وكما كان أفقه في دين الله كان شهوده للواجب عليه أتم. وشهوده لتقصيره أعظم. وليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة بل بالقيام مع ذلك بالاوامر المحبوبة لله. وأكثر الديانين لا يعبأون منها إلا بما شاركهم فيه عموم الناس وأما الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لله ورسوله وعباده ونصرة الله ورسوله ودينه وكتابه فهذه الواجبات لا تخطر ببالهم فضلا عن ان يريدوا فعلها. وفضلا عن ان يفعلوها، وأقل الناس ديناً وأهمقتهم الى الله من ترك هذه الواجبات وان زهد في الدنيا جميعها. وقل ان ترى منهم من يحمر وجهه ويمعره الله ويغضب لحرماته ويبدل عرضه في نصره دينه وأصحاب الكبائر احسن حالاً عند الله من هؤلاء. وقد ذكر ابو عمر وغيره ان الله تعالى أمر ملائكة من الملائكة أن يخسف بقرية فقال يارب ان فيهم فلانا الزاهد العابد، قال به فابدأ واسمعي صوته انه لم يتمعر وجهه في يوم قط

فصل

وأما شهود النعمة فانه لا يدع له رؤية حسنة من حسناته أصلاً ولو عمل أعمال الثقلين فان نعم الله عليه سبحانه أكثر من أعماله، وادنى نعمة تستنفد عمله، فينبغي للعبد ألا يزال ينظر في حق الله عليه. قال الامام احمد حدثنا حجاج حدثنا جرير بن حازم عن وهب قال بلغني ان نبي الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع. فقال يارب ارحمه فاني قد رحمته فأوحى الله اليه لودعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر في حقي عليه. فمشاهدة العبد النعمة

والواجب لا تدع له حسنة يراها ولا يزال مزر يا على نفسه ذاماً لها وما أقرب به
من الرحمة اذا أعطى هذين المشهدين حقهما والله المستعان

الباب الحادى والعشرون

فى الحكم بين الفريقين ، والفصل بين الطائفتين

فنقول كل امرين طلبت الموازنة بينهما ومعرفة الراجح منهما على المرجوح
فان ذلك لا يمكن الا بعد معرفة كل منهما . وقد ذكرنا حقيقة الصبر وأقسامه
وأنواعه ونذكر حتمية الشكر وماهيته . قال فى الصحاح الشكر الثناء على
المحسن بما اولاه من المعروف يقال شكرته وشكرت له واللام أفصح . وقوله
تعالى « لا تريد منكم جزاء ولا شكورا » . يحتمل أن يكون مصدرا كالتعود وأن
يكون جمعاً كالبرود والكفور . والشكران خلاف الكفران وتشكرت
له مثل شكرت له . والشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل
واشكرت السماء اشتد وقع مطرها واشكر الضرع امتلاً لبناً تقول منه شكرت
الناقة بالكسر تشكر شكراً فهى شكرة . وشكرت الشجرة تشكر شكراً اذا خرج
منها الشكير وهو ما ينبت حول الشجرة من أصلها فتأمل هذا الاشتقاق وطابق
بينه وبين الشكر المأمور به وبين الشكر الذى هو جزاء الرب الشكور كيف نجد
فى الجميع معنى الزيادة والنماء . ويقال أيضاً دابة شكور اذا أظهرت من السمن
فوق ماتعطى من العلف . وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شكورا
إلا بمجموعها : احدها اعترافه بنعمة الله عليه . والثانى الثناء عليه بها . والثالث
الاستعانة بها على مرضاته . وأما قول الناس فى الشكر . فقالت طائفة هو
الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع . وقيل الشكر هو الثناء على المحسن
بذكر احسانه اليه فشكر العبد ثناؤه عليه بذكر احسانه اليه . وقيل شكر النعمة
مشاهدة المنة وحفظ الحرمة والقيام بالخدمة . وقيل شكر النعمة ان ترى نفسك
فيها تفضيلاً . وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر . ويقال الشكر على الشكر أتم
من الشكر ، وذلك ان ترى شكر ك بتوفيقه . وذلك التوفيق من أجل النعم عليك
تشكر على الشكر ثم تشكره على الشكر . الا ترى نفسك للنعمة أهلاً . وقيل

الشكر استفراغ الطاقة في الطاعة . وقيل الشاكر الذي يشكر على الموجود
والشكور الذي يشكر على المفقود . وقيل الشاكر الذي يشكر على الرشد والشكور
الذي يشكر على الرد . وقيل الشاكر الذي يشكر على النفع، والشكور الذي يشكر
على المنع ، وقيل الشاكر الذي يشكر على العطاء والشكور الذي يشكر على البلاء .
وقال الجنيد كنت بين يدي السرى أعب وانا ابن سبع سنين وبيننا جماعة
يتكلمون في الشكر فقال لي يا غلام ما الشكر فقلت الا تعصى الله بنعمه
فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك . فلا أزال أبكي على هذه
الكلمة التي قالها السرى . وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لارؤية النعم، وهذا
ليس بجيد بل من تمام الشكر أن تشهد النعمة من المنعم . وقيل الشكر قيد
الموجود وصيد المفقود . وقال أبو عثمان شكر العامة على المطعم والملبس
وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني . وجس السلطان رجلا
فأرسل اليه صاحبه أشكر الله فضرب فأرسل اليه أشكر الله فجيء بمحبوس
مجوسى مبطون فقيد وجعل حلقة من قيده في رجله وحلقة في الرجل المذكور
فكان المجوسى يقوم بالليل مرات فيحتاج الرجل أن يقف على رأسه حتى
يفرغ فكتب اليه صاحبه أشكر الله، فقال له الى متى تقول أشكر الله وأى بلاء
فوق هذا فقال ولو وضع الزنار الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي
في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع فاشكر الله . ودخل رجل على سهل بن عبد
الله فقال اللص دخل دارى وأخذ متاعى فقال اشكر الله ، فلو دخل اللص قلبك
وهو الشيطان وأفسد عليك التوحيد ماذا كنت تصنع . وقيل شكر التلذذ بثنائه
على مالم يستوجهه من عطاءه . وقيل إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطل
لسانك بالشكر . وقيل أربعة لآثمة لهم: مشاورة الاصم، ووضع النعمة عند من
لا يشكرها ، والبذر في السباخ ، والسراج في الشمس . والشكر يتعلق بالقلب
واللسان والجوارح فالقلب للمعرفة والمحبة واللسان للثناء والحمد والجوارح
لاستعمالها في طاعة المشكور وكفها عن معاصيه وقال الشاعر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدي ولسانى والضمير المحجبا

والشكر أخص بالافعال، والحمد أخص بالاقوال . وسبب الحمد أعم من سبب

الشكر ومتعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد . فما يحمد الرب تعالى عليه
أعم مما يشكر عليه فانه يحمد على أسمائه وصفاته وافعاله ونعمه ويشكر على
نعمه وما يحمد به أخص مما يشكر به فانه يشكر بالقلب واللسان والجوارح
ويحمد بالقلب واللسان

فصل

إذا عرف هذا فكل من الصبر والشكر داخل في حقيقة الآخر لا يمكن
وجوده إلا به وإنما يعبر عن أحدهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه
والأظهر منه ، والا فحقيقة الشكر إنما يلتئم من الصبر والارادة والفعل ، فان
الشكر هو العمل بطاعة الله وترك معصيته والصبر أصل ذلك . فالصبر على الطاعة
وعن المعصية هو عين الشكر ، واذا كان الصبر مأموراً به فأدائه هو الشكر
فان قيل فهذا يفهم منه اتحاد الصبر والشكر وانهما اسمان لمسمى واحد وهذا
محال عقلاً ولغة وعرفاً ، وقد فرق الله سبحانه بينهما . قيل بل هما معنيان متغايران
وانما بينا تلازمهما واقترار كل واحد منهما في وجود ماهيته الى الآخر . ومتى
تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه شكراً . واذا تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه
صبراً : أما الأول فظاهر ، وأما الثاني اذا مجرد عن الشكر كان كافوراً ومنافاة
الكفور للصبر أعظم من منافاة السخوط . فان قيل بل هاهنا قسم آخر وهو
ان لا يكون كفوراً ولا شكوراً بل صابراً على مضض و كراهة شديدة فلم يأت
بحقيقة الشكر ولم يخرج عن ماهية الصبر ، قيل كلامنا في الصبر المأمور به الذي
هو طاعة لا في الصبر الذي هو تجلد كصبر البهائم . وصبر الطاعة لا يأتى به الا
شاكراً ولكن اندرج شكره في صبره فكان الحكم للصبر كما اندرج صبر الشكور
في شكره فكان الحكم للشكر . فمقامات الايمان لا تعدم بالتثقل فيها بل تندرج
وينطوى الأدنى في الأعلى كما يندرج الايمان في الاحسان وكما يندرج الصبر
في مقامات الرضا لا أن الصبر يزول . ويندرج الرضا في التفويض ويندرج
الخوف والرجاء في الحب لا أنهما يزولان . فالمدور الواحد يتعلق به الشكر
والصبر سواء كان محبوباً أو مكروهاً فالفقر مثلاً يتعلق به الصبر وهو أخص به

لما فيه من الكراهة ويتعاق به الشكر لما فيه من النعمة . فمن غلب شهود نعمته وتلذذ به واستراح واطمأن اليه عده نعمة يشكر عليها . ومن غلب شهود ما فيه من الابتلاء والضيق والحاجة عده بلية يصبر عليها وعكسه الغنى . على أن الله سبحانه ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بالمصائب ، وعد ذلك كله ابتلاء فقال « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » وقال « فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرم من ، وأما اذا ما ابتلاه فقد ربه عليه رزقه فيقول رب اهانن » وقال « انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوكم أيهم أحسن عملا » وقال « الذى خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملا » وقال « وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليلوكم أيكم أحسن عملا » فاخبر سبحانه أنه خلق العالم العلوى والسفلى وقدر أجل الخلق وخلق ما على الارض للابتلاء والاختبار وهذا الابتلاء انما هو ابتلاء صبر العباد وشكرهم فى الخير والشر والسراء والضراء ، فالابتلاء من النعم من الغنى والعافية والجاه والقدرة ، وتأتى الاسباب أعظم الابتلائين . والصبر على طاعة الله أشق الصبرين . كما قال الصحابة رضى الله عنهم ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر . والنعمة بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأسبابها وأذى الخلق قد يكون أعظم نعمتين . وفرض الشكر عليها أوجب من الشكر على اضدادها . فالرب تعالى يبتلى بنعمه وينعم بابتلائه . غير أن الصبر والشكر حالتان لازمتان للعباد فى أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره لا يستغنى عنهما طرفة عين . والسؤال عن أيهما أفضل كالسؤال عن الحس والحركة أيهما أفضل ، وعن الطعام والشراب أيهما أفضل ، وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل . فالمأمور لا يؤدى إلا بصبر وشكر . والمحذور لا يترك إلا بصبر وشكر . وأما المقدور الذى يقدر على العبد من المصائب فمتى صبر عليه اندرج شكره فى صبره كما يندرج صبر الشاكر فى شكره وما يوضح هذا أن الله سبحانه امتحن العبد بنفسه وهواه وأوجب عليه جهادهما فى الله فهو فى كل وقت فى مجاهدة نفسه حتى تأتى بالشكر المأمور به ويصبر عن الهوى المنهى عن طاعته فلا ينفك العبد عنهما غنياً كان أو فقيراً معافى أو مبتلى . وهذه هى مسألة الغنى الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل

وللناس فيها ثلاثة أقوال، وهي التي حكاها أبو الفرج بن الجوزي وغيره في
عموم الصبر والشكر أيهما أفضل. وقد احتجت كل فرقة بمجج وأدلة على
قولها. والتحقيق أن يقال أفضلهما اتقاهما الله تعالى. فان فرض استوائهما في
التقوى استويا في الفضل. فان الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل
بالعافية والبلاء. وإنما فضل بالتقوى. كما قال تعالى «ان أكرمكم عند الله
اتقاكم». وقد قال صلى الله عليه وسلم: لا فضل لعربي على عجمي ولا فضل لعجمي
على عربي الا بالتقوى: الناس من آدم و آدم من تراب والتقوى مبذبة على اصلين
الصبر والشكر وكل من الغنى والفقير لا بد له منهما، فمن كان صبره وشكره أتم
كان أفضل. فان قيل فاذا كان صبر الفقير أتم وشكر الغنى أتم فأيهما أفضل
قيل اتقاهما لله في وظيفته ومقتضى حاله، ولا يصح التفضيل بغير هذا البتة.
فان الغنى قد يكون اتقى لله في شكره من الفقير في صبره. وقد يكون الفقير اتقى
لله في صبره من اتقى في شكره، فلا يصح أن يقال هذا بغناه أفضل ولا هذا
بفقره أفضل. ولا يصح أن يقال هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر ولا بالعكس
لانهما مطيتان الايمان لا بد منهما، بل الواجب أن يقال أقومهما بالواجب
والمندوب هو الافضل. فان انتفضيل تابع لهذين الامرين. كما قال تعالى في الاثر
الاهلي: ما تقرب الى عبدى بمثل مداومة ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى
يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه. فأى الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكبر
نوافل كان أفضل. فان قيل فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة عام قيل هذا
لا يدل على فضلهم على الاغنياء في الدرجة وعلو المنزلة وان سبقوهم بالدخول
فقد يتأخر الغنى والسلطان العادل في الدخول لحسابه، فاذا دخل كانت درجته
أعلى ومنزلته أرفع كسبق الفقير القفل في المضائق وغيرها. ويتأخر صاحب
الاحمال بعده. فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للفقراء لما شكوا اليه
زيادة عمل الاغنياء عليهم بالعتق والصدقة، الا أدلكم على شيء اذا فعلتموه
ادركتم به من سبقكم، فدلم على التسييح والتحميد والتكبير عقب كل
صلاة، فلما سمع الاغنياء ذلك عملوا به فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وهذا يدل على ترجيح حال الغنى
الشاكِر . قيل هذا حجة للقول الذي انصرناه وهو أن أفضلهما أ كثرهما نوافل
فان استويا وهما هنا قد ساوى الاغنياء الفقراء في أعمالهم المفروضة والنافلة
وزادوا عليهم بنوافل العتق والصدقة ، وفضلوهم بذلك فساووه في صبرهم
على الجهاد والاذى في الله والصبر على المقدور وزادوا عليهم بالشكر
بنوافل المال . فلو كان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الاغنياء لفضلوهم
بها . فان قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه مفاتيح كنوز الدنيا
فردها ، وقال بل أشبع يوماً وأجوع يوماً . وقال هشام بن عروة عن أبيه عن
عائشة رضي الله عنهما قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا
ولم يشبع من خبز البر ، ومات ودرعه مرهونة عند يهودى على طعام أخذه لأهله
وقال الامام احمد حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن عبارة ابن القعقاع عن أبي زرعة
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتاً . وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن محمد حدثنا عباد بن
عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها
قالت : دخلت على امرأة من الانصار فرأت فراش النبي صلى الله عليه وسلم
عباءة مثنية فرجعت الى منزلها فبعثت الى بفراش حشوه الصوف ، فدخل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا ، فقلت فلانة الانصارية دخلت على
فراش فراشك فبعثت الى بهذا ، فقال رديه فلم أرد . وأعجبنى أن يكون في
بيتي حتى قال لي ذلك ثلاث مرات . فقال يا عائشة رديه فوالله لو شئت لأجرى
الله معى جبال الذهب والفضة فرددته . ولم يكن الله سبحانه ليختار لرسوله
إلا الافضل . هذا مع انه لو أخذ الدنيا لانفقها كلها في مرضاة الله ولو كان
شكره بها فوق شكر جميع العالمين . قيل احتج بحال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل واحدة من الطائفتين . والتحقيق ان الله سبحانه وتعالى جمع له بين
المقامين كليهما تنبلي أتم الوجوه ، وكان سيد الاغنياء الشاكِرين وسيد الفقراء
الصابرين ، فحصل له من الصبر على الفقر ما لم يحصل لاحد سواه ، ومن الشكر
على الغنى ما لم يحصل لغنى سواه . ومن تأمل سيرته وجد الامر كذلك فكان

صلى الله عليه وسلم اصبر الخلق في مواطن الصبر، وأشكر الخلق في مواطن
 الشكر. وربه تعالى كمل له مراتب السكالم فجعله في أعلى رتب الاغنياء
 الشاكرين، وفي أعلى مراتب الفقراء الصابرين قال تعالى « ووجدك عائلاً فاغني »
 واجمع المفسرون ان العائل هو الفقير يقال عال الرجل يعيل اذا افتقر وعاال
 يعيل اذا صار ذا عيال مثل لبن وثمر واثري اذا صار ذا لبن وثمر وثروة وعاال
 يعول اذا جار ومنه قوله تعالى « ذلك أدنى ان لاتعولوا » وقيل المعنى الا تكثر
 عيالكم والقول هو الاول لوجوه: احدها انه لايعرف في اللغة عال يعول اذا
 كثر عياله وانما المعروف في ذلك أعال يعيل وأما عال يعول فهو بمعنى الجود
 ليس الا، هذا الذي ذكره أهل اللغة قاطبة. الثاني انه سبحانه قابل ذلك بالعدل
 الذي نقلهم عند خوفهم من فقده الى الواحدة والتسرى بما شاؤا من ملك ايمانهم
 ولايحسن هنا التعليل بعدم العيال. يوضحه الوجه الثالث: انه سبحانه نقلهم عند
 الخوف من عدم القسط في نكاح اليتامى الى من سواهن من النساء لئلا يقعوا
 في ظلم أزواجهم اليتامى وجوز لهم نكاح الواحدة وما فوقها الى الرابع ثم
 نقلهم عند خوف الجور وعدم العدل في القسمة الى الواحدة أو النوع الذي
 لاقسمة عليهم في الاستمتاع بهن، وهن الاماء فانتظمت الآية بيان الجأ من
 نكاح اليتامى والبواغ والاولى من ذينك القسمين عند خوف العدل فيما لكثرة
 العيال مدخل هاهنا البتة. يوضحه الوجه الرابع انه لو كان المحذور كثرة العيال
 لما نقلهم الى ماشاؤا من كثرة الاماء بلا عدد، فان العيال كما يكونون من الزوجات
 يكونون من الاماء، ولا فرق فانه لم ينقلهم الى اماء الاستخدام بل الى اماء الاستفراش
 يوضحه الوجه الخامس ان كثرة العيال ليس أمراً محذوراً مكررها للرب تعالى
 كيف وخير هذه الامة أكثرها نساء. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم تزوجوا
 الودود الودود فاني مكأثر بكم الامم، فأمر بنكاح الودود ليحصل منها ما يكأثر به
 الامم يوم القيامة. والمقصود انه سبحانه جعل نبيه غنياً شاكراً بعد ان كان
 فقيراً صابراً، فلا تحتج به طائفة لحالها الا كان للطائفة الاخرى ان تحتج به أيضاً
 لحالها. فان قيل فقد كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه من الشاكرين. وقد
 قال الامام احمد في مسنده حدثنا عبد الصمد حدثنا عمارة عن ثابت عن أنس

رضي الله عنه قال: بينما عائشة في بينها سمعت صوتا في المدينة فقالت ما هذا. فقالوا
غير لعبد الرحمن قدمت من الشام تحمل من كل شيء، قال وقد كانت سبعمائة بعير
فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً فبلغ ذلك عبد الرحمن
فقال ان استطعت لا دخلتها قائماً فجعلها بأحمالها وأقتابها كلها في سبيل الله. قيل
قد قال الامام احمد هذا الحديث كذب منكر، قالوا وعمارة يروي احاديث
مناكير، وقال ابو حاتم الرازي عمارة بن زاذان لا يحتج به قال ابو الفرج وقد
روى الجراح بن منهال باسناده عن عبد الرحمن بن عوف ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال له يا ابن عوف انك من الاغنياء وانك لا تدخل الجنة الا زحفا
فأقرض ربك يطلق قدميك، قال أبو عبد الرحمن النسائي هذا حديث موضوع
والجراح منروك الحديث. وقال يحيى ليس حديث الجراح بشيء. وقال ابن
المديني لا يكتب حديثه. وقال ابن حبان كان يكذب. وقال الدارقطني متروك. فان
قيل فما تصنعون بالحديث الذي رواه البيهقي من حديث احمد بن علي بن اسماعيل
ابن محمد: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرني خالد بن يزيد بن أبي مالك عن
أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: يا ابن عوف انك من الاغنياء ولن تدخل
الجنة الا زحفا، فأقرض الله يطلق قدميك، قال وما الذي أقرض يارسول الله
قال تتبرأ مما امسيت فيه، قال امن كله اجمع يارسول الله قال نعم، فخرج وهو يهتم
بذلك، فأتاه جبريل فقال: مر ابن عوف فليضف الضيف، وليطعم المساكين
وليبدأ بمن يعول، وليعط السائل. فاذا فعل ذلك كان تزكية ما هو فيه. قيل هذا
حديث باطل لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فان أحد رواه خالد
ابن يزيد بن أبي مالك. قال الامام احمد ليس بشيء وقال ابن معين واه وقال
النسائي غير ثقة. وقال الدارقطني ضعيف. وقال يحيى بن معين لم يرض ان يكذب
علي أبيه حتى كذب على الصحابة. فان قيل فما تصنعون بالحديث الذي قاله الامام
احمد حدثنا الهذيل بن ميمون عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن
علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت

الجنة فسمعت فيها خشفة بين يدي قلت ما هذا قال بلال فمضيت فاذا أكثر
 أهل الجنة فقراء المهاجرين وذراري المسلمين، ولم أر فيها أحدا أقل من الاغنياء
 والنساء. قيل لي أما الاغنياء فهم في الباب يحاسبون و محصون. وأما النساء فألهن
 الاحمران الذهب والحري، ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية، فلما كنت عند
 الباب أتيت بكفة فوضعت فيها، وضعت أمتي في كفة فرجحتها، ثم أتى بأبي بكر
 فوضع في كفة وجيء بجميع أمتي فوضعوا في كفة فرجح أبو بكر، ثم أتى بعمر
 فوضع في كفة ووضع أمتي في كفة فرجح عمر، وعرضت على أمتي رجلا رجلا
 فجاءوا يمرون، واستبطت عبد الرحمن بن عوف ثم جاء بعد الأياس فقلت
 عبد الرحمن، فقال بأبي وأمي يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما خلصت اليك
 حتى ظننت اني لا أصل اليك الا بعد المشيبات، قلت وما ذاك قال من كثرة
 مالي أحاسب فأحصى. قيل هذا حديث لا يحتج بأسناده وقد ادخله أبو الفرج
 هو والذي قبله في كتاب الموضوعات. وقال أما عميد الله بن زحر فقال يحيى
 ليس بشيء، وعلى بن يزيد متروك. وقال ابن حبان عميد الله يروى الموضوعات
 عن الاثبات واذا روى عن علي بن يزيد اتى بالطامات. واذا اجتمع في اسناد
 خبر عميد الله بن زحر وعلى بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن من ذلك
 الخبر الا بما عماته أيديهم. قال أبو الفرج وبمثل هذا الحديث الباطل يتعلق
 جملة المتزهدين ويرون ان المال مانع من السبق الى الخير ويقولون اذا كان
 ابن عوف يدخل الجنة زحفا لاجل ماله كفى ذلك في ذم المال والحديث لا يصح
 وحاشا عبد الرحمن المشهود له بالجنة ان يمنعه ماله السبق، لان جمع المال مباح
 وانما المذموم كسبه من غير وجهه ومنع الحق الواجب فيه، وعبد الرحمن منزله
 عن الحاليين. وقد خلف طلحة ثلاثمائة حمل من الذهب. وخلف الزبير وغيره، ولو
 علموا ان ذلك مذموم لا خرجوا السكك. وكم قاص يتسوف بمثل هذا الحديث
 يحث على الفقر ويذم الغنى. فلهذا در العلماء الذين يعرفون الصحيح ويفهمون الاصول
 انتهى. قلت وقد بالغ في رد هذا الحديث وتجاوز الحد في إدخاله في الاحاديث
 الموضوعة المختلقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأنه استعظم احتباس
 عبد الرحمن بن عوف وهو أحد السابقين الأولين لمشهود لهم بالجنة عن السبق

اليها ودخول الجنة حيا، ورأى ذلك مناقضا لسبقه ومنزلته التي أعدها الله له في الجنة، وهذا وهم منه رحمه الله. وهب أنه وجد السبيل الى الطعن في هذين الخبرين فيوجد سبيلا الى القدح في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام قال الترمذي حديث حسن صحيح. وفي حديث ابن عمر الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة بأربعين خريفا. وفي مسند الامام احمد عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم هل تدرؤن أول من يدخل الجنة، قالوا الله ورسوله اعلم، قال فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المنكاره، يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء. وفي جامع الترمذي من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: يدخل فقراء امتي الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفاً: فهذا الحديث وأمثاله صحيح صريح في سبق فقراء الصحابة الى الجنة لاغنيائهم وهم في السبق متفاوتون، فمنهم من يسبق خمسمائة عام، ومنهم من يسبق بأربعين عاما، ولا يقدر ذلك في منزلة المتأخرين في الدخول فانهم قد يكونون أرفع منزلة ممن سبقهم الى الدخول وان تأخر وا بعدهم للحساب. فان الامام العادل يوقف للحساب و يسبقه من لم يل شيئا من أمور المسلمين الى الجنة، فاذا دخل الامام العادل بعده كانت منزلته أعلى من منزلة الفقير، بل يكون أقرب الناس من الله منزلة كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا. وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل، وابعض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر. فالامام العادل والغني قديتا آخر دخول كل منهم للحساب ويكون بعد الدخول أرفع منزلة من الفقير السابق. ولا يلزم من احتباس عبد الرحمن بن عوف لكثرة ماله حتى يحاسبه عليه ثم يلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم

وأصحابه غضاضة عليه ولا نقص من مرتبته ولا يضاد ذلك سبقه وكونه مشهوداً له بالجنة. وأما حديث دخوله الجنة زحفاً فالأمر كما قال فيه الإمام أحمد رحمه الله أنه كذب منكر، وكما قال النسائي أنه موضوع. ومقامات عبد الرحمن وجهاده ونفقاته العظيمة وصدقاته تقتضى دخوله مع الماربن كالبرق أو كالطرف أو كاجاويد الخيل ولا يدعه يدخلها زحفاً

فصل

والله سبحانه كما هو خالق الخلق فهو خالق ما به غناهم وفقيرهم فخلق الغنى والفقير ليتلى بهما عباده أنهم أحسن عملاً، وجعلهما سبباً للطاعة والمعصية والثواب والعقاب قال تعالى «ونبلوكم بالبشر والخير فتنة والينا ترجعون» قال ابن عباس رضى الله عنهما بالشدة والرشاء والصحة والسقم والغنى والفقير والحلال والحرام وكلها بلاء. وقال بن يزيد نبلوكم بما تحبون وما تكرهون لننظر كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون. وقال السكبي بالبشر بالفقير والبلاء والخير بالمال والولد فاخبر سبحانه أن الغنى والفقير مطيئا للابتلاء والامتحان: وقال تعالى «فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمى وأما اذا ما ابتلاه فقد ر عليه رزقه فيقول ربى أهاننى كلا» فأخبر سبحانه انه يتلى عبده باكرامه له وبتنعمه له. وبسط الرزق عليه كما يتلى به بتضييق الرزق وتقديره عليه، وان كليهما ابتلاء منه وامتحان. ثم أنكر سبحانه على من زعم أن بسط الرزق وتوسعته اكرام من الله لعبده وان تضييقه عليه اهانة منه له. فقال كلا أى ليس الأمر كما يقول الانسان بل قد ابتلى بنعمتى وانعم بيلائى. واذا تأملت ألفاظ الآية وجدت هذا المعنى يلوح على صفحاتها ظاهراً للتأمل وقال تعالى «وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم» وقال تعالى «انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوكم أنهم أحسن عملاً» فاخبر سبحانه انه زين الارض بما عليها من المال وغيره للابتلاء والامتحان، كما أخبر انه خلق الموت والحياة لذلك، وخلق

السموات والارض لهذا الابتلاء أيضاً. فهذه ثلاثة مواضع في القرآن يخبر
 فيها سبحانه انه خلق العالم العلوى والسفلى وما بينهما وأجل العالم وأجل أهله
 وأسباب معاشهم التي جعلها زينة للارض من الذهب والفضة والمساكن
 والملابس والمراكب والزروع والثمار والحيوان والنساء والبنين وغير ذلك
 كل ذلك خلقه للابتلاء والامتحان ليختبر خلقه أيهم أطوع له وأرضى فهو
 الاحسن عملاً. وهذا هو الحق الذي خلق به، وله السموات والارض وما
 بينهما وغايته الثواب والعقاب، وفوانه وتعطيله هو العيب الذي نزه نفسه عنه
 وأخبر انه يتعالى عنه وان ملكه الحق وتفرد به بالالهية وحده وبربوية كل شيء
 ينفي هذا الظن الباطل والحساب الكاذب كما قال تعالى « أفحسبتم انما خلقناكم
 عبثاً وأنكم الينا لاترجعون . فتعالى الله الملك الحق لا إله الا هو رب العرش
 الكريم » فنزه سبحانه نفسه عن ذلك كما نزهها عن الشريك والولد والصاحبة
 وسائر العيوب والنقائص من السنة والنوم واللغوب والحاجة واكثراته بحفظ
 السموات والارض. وتقدم الشفعاء بين يديه بدون اذنه كما يظنه أعداؤه
 المشركون يخرجون عن علمه جزئيات العالم أو شيئاً منها، فكما أن كماله المقدس
 وكال أسمائه وصفاته يأبى ذلك ويمنع منه، فكذلك يبطل خلقه لعباده عبثاً
 وتركهم سدى لا يأمرهم ولا ينههم ولا يردم اليه فيثيب محسنهم بأحسنه
 ومسيئهم بأساءته. ويعرف المبطلون منهم انهم كانوا كاذبين. ويشهدهم ان رسله
 وأتباعهم كانوا أولى بالصدق والحق منهم. فمن أنكر ذلك فقد أنكر الهية
 وربوبيته وملكه الحق، وذلك عين الجحود والكفر به سبحانه، كما قال المؤمن
 لصاحبه الذي حاوره في الميعاد وأنكره « أ كفرت بالذي خلقك من تراب ثم
 من نطفة ثم سواك رجلاً » فأخبر أن انكاره للمعاد كفر بذات الرب سبحانه
 وقال تعالى « وان تعجب فعجب قولهم اذا كنا تراباً إنا لفي خلق جديد، أولئك
 الذين كفروا بربهم » وذلك ان انكار الميعاد يتضمن انكار قدرة الرب وعلمه
 وحكمته وملكه الحق وربوبيته والهية كما ان تكذيب رسله وجحد رسالتهم
 يتضمن ذلك أيضاً. فمن كذب رسله وجحد المعاد فقد أنكر ربوبيته سبحانه

ونفى أن يكون رب العالمين. والمقصود انه سبحانه وتعالى خلق الغنى والفقير
مطيتين للابتلاء والامتحان ولم ينزل المال لمجرد الاستمتاع به كما في المسند عنه
صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى انا نزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة
ولو كان لابن آدم واد من مال لا يتغى الله اليه ثانياً، ولو كان له ثان لا يتغى له
ثالثاً، ولا بملاً جوف ابن آدم الا التراب. فاخبر سبحانه انه انزل المال ليستعان
به على اقامة حقه بالصلاة واقامة حق عباده بالزكاة لا للاستمتاع والتلذذ كما
تأكل الانعام. فاذا زاد انا عن ذلك أو خرج عن هذين المقصودين فان
الغرض والحكمة التي أنزل لها كان التراب أولى به. فرجع هو والجوف الذي
امتلاء به بما خلق له من الايمان والعلم والحكمة فانه خلق لان يكون وعاء
لمعرفة ربه وخالقه والايمان به ومحبته وذكره، وانزل عليه من المال ما يستعين به
على ذلك فعطر الجاهل بالله وبامر الله وبتوحيد الله وبأسمائه وصفاته جوفه
عما خلق له وملاءه بمحبة المال الفاني الداهب الذي هو ذاهب عن صاحبه
أو بالعكس وجمعه والاستكثار منه، ومع ذلك فلم يمتل بل ازداد فقراً
وحرصاً الى ان امتلاء جوفه بالتراب الذي خلق منه فرجع الى مادته الترابية
التي خلق منها هو وماله، ولم تتكامل مادته بامتلاء جوفه من العلم
والايمان الذي بهما كماله وفلاحه وسعادته في معاشه ومعاده. فالمال ان لم ينفع
صاحبه ضره ولا بد. وكذلك العلم والملك والقدرة، كل ذلك ان لم ينفعه ضره
فان هذه الأمور وسائل لمقاصد يتوسل بها اليها في الخير والشر، فان عطلت
عن التوسل بها الى المقاصد والغايات المحمودة توسل بها الى اضدادها فاربح
الناس من جعلها وسائل الى الله والدار الآخرة وذلك الذي ينفعه في معاشه
ومعاده، واخسر الناس من توسل بها الى هواه ونيل شهواته وأغراضه العاجلة
فخسر الدنيا والآخرة. فهذا لم يجعل الوسائل مقاصد ولو جعلها كذلك لكان
خاسراً، لكنه جعلها وسائل الى ضد ما جعلت له، فهو بمثابة من توسل بأسباب
اللذة الى اعظم الآلام وأدوائها. فالاقسام أربعة لا خامس لها: احدها معطل
الاسباب معرض عنها. الثاني مكب عليها واقف مع جمعها وتحصيلها. الثالث

متوصل بها الى ما يضره ولا ينفعه في معاشه ومعاده، فهؤلاء الثلاثة في الخسران
الرابع متوصل بها الى ما ينفعه في معاشه ومعاده وهو الرابع قال تعالى « من
كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نو في اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون .
أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا
يعملون » وقد أشكل فهم هذه الآية على كثير من الناس حيث فهموا منها
أن من كان له ارادة في الدنيا وزينتها فله هذا الوعيد ثم اختلفوا في معناها، فقالت
طائفة منهم ابن عباس من كان يريد تعجيل الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا
بالثواب ولا بالعقاب، قالوا والآية في الكفار خاصة على قول ابن عباس. وقال
قتادة من كانت الدنيا همهم وسدبه ونيته وطلبه جازاه الله في الدنيا بحسناته
ثم يفضى الى الآخرة وليس له حسنة يجازى بها. واما المؤمن فيجزى في الدنيا
بحسناته ويثاب عليها في الآخرة. قال هؤلاء فالآية في الكفار بدليل قوله
« أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل
ما كانوا يعملون » قالوا والمؤمن يريد الدنيا والآخرة. فأما من كانت ارادته مقصورة
على الدنيا فليس بمؤمن . وقال ابن عباس رضى الله عنهما في رواية أبي صالح
عنه نزلت في أهل القبلة قال مجاهد: هم أهل الرياء . وقال الضحاك من عمل صالحا
من أهل الايمان من غير تقوى عجل له ثواب عمله في الدنيا واختار القراء هذا
القول وقال من أراد بعمله من أهل القبلة ثواب الدنيا عجل له ثوابه ولم يبخس
وهذا القول أرجح. ومعنى الآية على هذا من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها
وهذا لا يكون مؤمنا البته، فان العاصي والفاسق ولو بالغوا في المعصية والفسق
فايمانهما يحملهما على أن يعملوا أعمال البر لله فيريدان بأعمال البر وجه الله وان
عملوا بمعصيته . فأما من لم يرد بعمله وجه الله وانما أراد به الدنيا وزينتها .
فهذا لا يدخل في دائرة أهل الايمان . وهذا هو الذي فهمه معاوية من الآية
واستشهد بها على حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في صحيحه في الثلاثة
الذين هم أول من تسعر بهم النار يوم القيامة : القارىء الذي قرأ القرآن ليقال
فلان قارىء، والمتصدق الذي أنفق أمواله ليقال فلان جواد، والغازى الذي

قتل في الجهاد ليقال هو جرى . وكما أن خيار خلق الله هم النبيون
 والصديقون والشهداء والصالحون، فشرار الخلق من تشبه بهم وليس منهم: فمن
 تشبه بأهل الصدق والاخلاص وهو مرء كمن تشبه بالانبياء وهو كاذب .
 وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن ادريس قال أخبرني عبد الحميد بن صالح
 حدثنا قطن بن الحباب عن عبد الوارث عن انس بن مالك رضى الله
 عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذا كان يوم القيامة صارت
 أمتي ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله عز وجل للدنيا، وفرقة يعبدون
 رياء وسمعة، وفرقة يعبدونه لوجهه ولداره . فيقول للذين كانوا يعبدونه
 للدنيا بعزتي وجلالى ومكانى ما أردتم بعبادتي، فيقولون بعزتك وجلالك
 ومكانك، الدنيا، فيقول انى لم أقبل من ذلك شيئاً اذهبوا بهم الى النار .
 ويقول للذين كانوا يعبدون رياء وسمعة بعزتي وجلالى ومكانى ما أردتم بعبادتي
 فيقولون بعزتك وجلالك ومكانك، رياء وسمعة، فيقول انى لم أقبل من ذلك شيئاً
 اذهبوا بهم الى النار . ويقول للذين كانوا يعبدونه لوجهه وداره بعزتي
 وجلالى ومكانى ما أردتم بعبادتي فيقولون بعزتك وجلالك، وجهك،
 ودارك، فيقول صدقتم اذهبوا بهم الى الجنة . هذا حديث غنى عن الاسناد
 والقرآن والسنة شاهدان بصدقه . ويدل على صحة هذا القول
 فى الآيه قوله تعالى « نوف اليهم أعمالهم فيها ، وذلك على أنها فى قوم لهم
 اعمال لم يريدوا بها وجه الله وانهما أرادوا بها الدنيا ولها عملوا فوفاهم
 الله ثواب أعمالهم فيها من غير نحس وافضوا الى الآخرة بغير عمل يستحقون
 عليه الثواب ، وهذا لا يقع ممن يؤمن بالآخرة الا كما يقع منه كبائر الاعمال
 وقوعا عارضا يتوب منه ويراجع التوحيد . وقال ابن الانبارى فعلى هذا
 القول المعنى فى قوم من أهل الاسلام يعملون العمل الحسن لتستقيم به دنياهم
 غير متفكرين فى الآخرة وما ينقلبون اليه، فهؤلاء يجعل لهم جزاء
 حسناتهم فى الدنيا، فاذا جاءت الآخرة كان جزاؤهم عليها النار اذا لم يريدوا
 بها وجه الله ولم يقصدوا التماس ثوابه واجره . ثم أورد أصحاب هذا القول

على أنفسهم سؤالا . قالوا فان قيل : الآية الثانية على هذا القول توجب تخليد
 المؤمن المرید بعمله الدنيا في النار : وأجابوا عنه بان ظاهر الآية يدل على
 ان من رأى بعمله ولم يلمس به ثواب الآخرة بل كانت نيته الدنيا فان الله
 يبطل ايمانه عند الموافاة فلا يوافي ربه بالايمان . قالوا ويدل عليه قوله « وحبط
 ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون » وهذا يتناول أصل الايمان وفروعه
 وأجابت فرقة أخرى بأن الآية لا تقتضى الخلود الابدى في النار ، وانما تقتضى
 ان الذى يستحقونه في الآخرة النار وانهم ليس لهم عمل صالح يرجون به
 النجاة . فاذا كان مع أحدهم عمود التوحيد فانه يخرج به من النار مع من يخرج
 من أصحاب الكبائر الموحدين ، وهذا جواب ابن الانبارى وغيره ، والآية بحمد
 الله لا اشكال فيها ، والله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة
 الدنيا وزينتها وهو النار ، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه فاذا أحبط
 ما ينجو به وبطل لم يبق معه ما ينجي . فان كان معه ايمان لم يرد به الدنيا
 وزينتها بل أراد الله به والدار الآخرة ، لم يدخل هذا الايمان في العمل الذى
 حبط وبطل ، وأنجاه ايمانه من الخلود في النار ، وان دخلها بحبوط عمله الذى به
 النجاة المطلقة . والايمان ايمانان ايمان يمنع من دخول النار وهو الايمان للباعث
 على أن تكون الاعمال لله يبتغى بها وجهه وثوابه . وايمان يمنع الخلود في النار
 وان كان مع المرأتى شىء منه ، والا كان من أهل الخلود . فالآية لها حكم نظائرها
 من آيات الوعيد والله الموفق وذلك قوله « من كان يريد حرث الآخرة نزد
 له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب »
 ومنه قوله « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له
 جهنم يصلها مذموما مدحورا ، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
 فأولئك كان سعيهم مشكورا » فهذه ثلاث مواضع من القرآن يشبه بعضها
 بعضا ويصدق بعضها بعضا وتجتمع على معنى واحد وهو أن من كانت
 الدنيا مراده ولها يعمل في غاية سعيه لم يكن له في الآخرة نصيب . ومن
 كانت الآخرة مراده ولها عمل وهي غاية سعيه فهم له . بقى أن يقال فما

حكم من يريد الدنيا والآخرة فانه داخل تحت حكم الارادتين فبايهما يلحق
 قيل من ها هنا نشأ الاشكال وظن من ظن من المفسرين ان الآية في حق
 الكافر ، فانه هو الذي يريد الدنيا دون الآخرة وهذا غير لازم طردا ولا
 عكسا. فان بعض الكفار قد يريد الآخرة وبعض المسلمين قد لا يكون
 مراده الا الدنيا. والله تعالى قد علق السعادة بارادة الآخرة، والشقاوة بارادة
 الدنيا. فاذا تجردت الارادتان تجرد موجبا ومقتضاها، وان اجتمعتا فحكم
 اجتماعهما حكم اجتماع البر والفجور والطاعة والمعصية والايان والشرك
 في العبد. وقد قال تعالى لخير الخلق بعد الرسل «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد
 الآخرة» وهذا خطاب للذين شهدوا معه الواقعة ولم يكن فيهم منافق. ولهذا قال
 عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ما شعرت أن أحد أصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يريد الدنيا، حتى كان يوم أحد ونزلت هذه الآية. والذين أريدوا في
 هذه الآية هم الذين أخلوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه
 وهم من خيار المسلمين، ولكن هذه ارادة عارضة حملتهم على ترك المركز
 والاقبال على كسب الغنائم بخلاف من كان مراده بعمله الدنيا وعاجلها، فهذه
 الارادة لون وارادة هؤلاء لون. وها هنا أمر يجب التنبيه له وهو انه لا يمكن
 ارادة الدنيا وعاجلها باعمال البر دون الآخرة مع الايمان بالله ورسوله ولقائه
 أبدا. فان الايمان بالله والدار الآخرة يستلزم ارادة العبد لرحمة الله والدار
 الآخرة باعماله، فحيث كان مراده بها الدنيا فهذا لا يجامع الايمان أبدا وان
 جامع الاقرار والعلم فالايان وراء ذلك. والاقرار والمعرفة حاصلان لمن شهد
 الله سبحانه له بالكفر مع هذه المعرفة كفرعون وثمود واليهود الذين شاهدوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفوه كما عرفوا أبناءهم وهم من أكفر الخلق
 فأرادة الدنيا وعاجلها بالاعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم، ولكن الايمان
 الذى هو وراء ذلك لا بد أن يريد صاحبه باعماله الله والدار الآخرة والله
 المستعان

فصل

والمقصود انه سبحانه جعل الغنى والفقر ابتلاء وامتحانا للشكر والصبر
والصدق والكذب والاخلاص والشرك . قال تعالى « ليلوكم فيما آتاكم »
وقال تعالى « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ،
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » وقال
تعالى « انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم » فجعل الدنيا عرضا
عاجلا ومتاع غرور ، وجعل الآخرة دار جزاء وثواب ، وحف الدنيا بالشهوات
وزينها بها كما قال تعالى « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث
ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » فأخبر سبحانه ان هذا الذي
زين به الدين من ملاذها وشهواتها وما هو غاية أمانى طلابها ومؤثرها على الآخرة
وهو سبعة أشياء: النساء اللاتي هن أعظم زينتها وشهواتها وأعظمها فتنة ، والبنين
الذين بهم كمال الرجل وفخره وكرمه وعزه ، والذهب والفضة اللذين هما مادة
الشهوات على اختلاف أجناسها وأنواعها ، والخيل المسومة التي هي عز أصحابها
وفخرهم وحصونهم وآلة قهرهم لأعدائهم في طلبهم وهربهم . والانعام التي منها
ركوبهم وطعامهم ولباسهم وأثاثهم وأمتعتهم وغير ذلك من مصالحهم . والحراث
الذي هو مادة قوتهم وقوت أنعامهم ودوابهم وفاكهتهم وأدويتهم وغير ذلك . ثم
أخبر سبحانه ان ذلك كله متاع الحياة الدنيا . ثم شوق عباده الى متاع الآخرة وأعلمهم
انه خير من هذا المتاع وأبقى فقال « قل أو نبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم
جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله
والله بصير بالعباد » ثم ذكر سبحانه من يستحق هذا المتاع ومن هم أهله الذين
هم أولى به فقال « الذين يقولون ربنا إننا آمننا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار » فأخبر سبحانه
أن ما أعد لأولياؤه المتقين من متاع الآخرة خير من متاع الدنيا وهو نوعان :

ثواب يتمتعون به وأكبر منه وهو رضوانه عليهم قال تعالى «اعلموا انما الحياة
 الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والا اولاد كمثل غيث
 أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً» فأخبر سبحانه عن
 حقيقة الدنيا بما جعله مشاهداً لأولى البصائر، وانها لعب ولهو تلهو بها النفوس
 وتلعب بها الابدان واللعب واللهو لا حقيقة لهما وأنهما مشغلة للنفس مضیعة
 للوقت يقطع بها الجاهلون العمر فيذهب ضائعاً في غير شيء. ثم أخبرنا زينة
 زينت للعيور وللنفوس فأخذت بالعيون وبالنفوس استحساناً ومحبة، ولو
 باشرت القلوب معرفة حقيقتها ومآلها ومصيرها لا بغضتها ولا آثرت عليها
 الآخرة ولما آثرتها على الآجل الدائم الذي هو خير وأبقى. قال الامام حدثنا
 وكيع حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله
 رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مالي وللدينا انما مثلي ومثل الدنيا
 كمثل راكب قال في ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها. وفي جامع الترمذي
 من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت
 الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء. قال الترمذي حديث
 صحيح. وفي صحيح مسلم من حديث المستورد بن شداد: قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم، ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فليتنظر بما
 يرجع وأشار بالسبابة. وفي الترمذي من حديثه قال: كنت مع الركب الذين وقفوا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبخة الميتة، فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حتى ألقوها، قالوا ومن هو أهلها ألقوها
 يا رسول الله، قال فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها. وفي الترمذي أيضاً
 من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالماً أو متعلماً. والحديثان
 حسنان. قال الامام احمد حدثنا هيثم بن خارجة أنبأنا اسماعيل بن عياش بن
 عبد الله بن دينار النهراني قال: قال عيسى عليه السلام للحواريين بحق أقول
 لكم ان حلاوة الدنيا مرارة الآخرة. وان مرارة الدنيا حلاوة الآخرة وأن

عباد الله ليسوا بالمتنعمين بحق أقول لكم ان شرم عملا عالم يحب الدنيا ويؤثرها على الآخرة ، انه لو يستطيع جعل الناس كلهم في عمله مثله . وقال احمد حدثنا يحيى بن اسحق ، قال أخبرني سعيد بن عبدالعزيز عن مكحول قال : قال عيسى بن مريم عليه السلام يامعشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر دارا ، قالوا ياررح الله ومن يقدر على ذلك ، قال اياكم والدنيا فلا تتخذوها قرارا . وفي كتاب الزهد لاحمد ان عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول بحق أقول لكم ان اكل الخبز وشرب الماء العذب ونوما على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد أن يرث الفردوس . وفي المسند عنه صلى الله عليه وسلم « ان الله ضرب طعام ابن آدم مثلا للدنيا وان قرحه وملحه (١) فلينظر الى ماذا يصير »

فصل

ثم اخبر سبحانه وتعالى عنها انها يفاخر بعضنا بعضا بها فيطالبها ليفخر بها على صاحبه وهذا حال كل من طلب شيئا للمفاخرة من مال أو جاه أو قوة أو علم أو زهد . والمفاخرة نوعان : مذمومة ومحمودة . فالمذمومة مفاخرة أهل الدنيا بها ، والمحمودة أن يطلب المفاخرة في الآخرة ، فهذه من جنس المنافسة المأمور بها ، وهي ان الرجل ينافس على غيره بالشيء و يغار ان يناله دونه و يأنف من ذلك ويحمي انفه له . يقال نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة اذا ضنت به ولم تحب ان يصير اليه دونك ، والتنافس تفاعل من ذلك ، كأن كل واحد من المتنافسين يريد ان يسبق صاحبه اليه . وحقيقة المنافسة الرغبة التامة والمبادرة والمسابقة الى الشيء النفيس

(١) قال المجد بن الاثير : قرحه وملحه أى توبله من القرحة وهو التابل الذى يطرح فى القدر كالكمون والكزبرة . أى ان الطعام وان تكاف الانسان التوق فى صنعته وتطيبه فانه عائد الى حال يكره ويستقدر . فكذلك الدنيا الحروص على عمارتها راجعة الى خراب وادبار

فصل

ثم اخبر تعالى عنها انها تكاثر في الاموال والاوالاد فيجب على كل واحد ان يكثر بنى جنسه في ذلك ويفرح بان يرى نفسه أكثر من غيره مالا وولدا وان يقال فيه ذلك، وهذا من أعظم ما يلهي النفوس عن الله والدار الآخرة كما قال تعالى « الهالك المتكاثر حتى زرت المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا تعلمون » والتكاثر في كل شيء فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الامور عن الله والدار الآخرة فهو داخل في حكم هذه الآية. فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه أو بالعلم فيجمعه تكاثرا وتفاخرا وهذا السوأ حالا عند الله ممن يكثر بالمال والجاه فانه جعل أسباب الآخرة للدنيا، وصاحب المال والجاه يستعمل أسباب الدنيا لها وكاثر بأسبابها

فصل

ثم أخبر سبحانه عن مصير الدنيا وحقيقتها وانها بمنزلة غيث أعجب الكفار نباته. والصحيح ان شاء الله ان الكفار هم الكفار بالله وذلك عرف القرآن حيث ذكروا بهذا النعت في كل موضع، ولو أراد الزارع لذكركم باسمهم الذي يعرفون به كما ذكركم به في قوله يعجب الزارع وانما خص الكفار به لانهم أشد اعجابا بالدنيا فانها دارهم التي لها يعملون ويكدحون فهم أشد اعجابا بزيتها وما فيها من المؤمنين. ثم ذكر سبحانه عاقبة هذا النبات وهو اصفراره ويدهسه وهذا آخر الدنيا ومصيرها، ولو ملكها العبد من أولها الى آخرها فنهايتها ذلك. فاذا كانت الآخرة انقلبت الدنيا واستحالت الى عذاب شديد أو مغفرة من الله وحسن ثوابه وجزائه كما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه: الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ومطلب نجاح لمن سالم فيها مساجد أنبياء الله ومهبط وحيه ومصلى ملائكته ومنتجر أوليائه فيها اكتسبوا الرحمة وربحوا فيها العافية فمن ذا يذمها وقد آذنت بذنها ونعت نفسها وأهلها فتمثلت بيلائها وشوقت

بسرورها الى السرور تخويها وتحذيرا وترغيبا، فذمها قوم غداة الندامة، وحمدها
آخرون ذكرتهم فذكروا ووعظتهم فاتعظوا، فيا أيها الزام للدنيا المغتر بتغيرها
متى استدمت اليك، بل متى غرتك، أبنمازل آباتك في الثرى، أم بمضاجع امهاتك
في البلا. كم رأيت موروثا. كم عللت بكفيك عايلا، كم مرضت مريضايديك
تبتغى له الشفاء وتستوصف له الاطباء ثم لم تنفعه شفاعتك ولم تسعفه طلبتك
مثلت لك الدنيا غداة مصرعه مصرعك ومضجعه مضجعا. ثم التفت الى
المقابر فقال يا أهل الغربية ويا أهل التربة أما الدور فسكنت، وأما الاموال
فقسمت، وأما الازواج فنكحت، فهذا خبر ما عندنا فهاتوا خبر ما عندكم.
ثم التفت اليها فقال اما لو أذن لهم لاخبروكم إن خير الزاد التقوى. فالدنيا
في الحقيقة لا تدم وإنما يتوجه الذم الى فعل العبد فيها، وهي قنطرة أو معبر الى
الجنة أو الى النار، ولكن لما غابت عليها الشهوات والحظوظ والغفلة والاعراض
عن الله والدار الآخرة فصار هذا هو الغالب على أهلها وما فيها وهو الغالب
على اسمها صار لها اسم الذم عند الاطلاق والافهى مبنى الآخرة ومزرعتها
ومنها زاد الجنة وفيها اكتسبت النفوس الايمان ومعرفة الله ومحبته وذكره
ابتغاء مرضاته وخير عيش ناله أهل الجنة في الجنة انما كان بما زرعه فيها
وكفى بها مدحا وفضلا لأولياء الله فيها من قررة العيون، وسرور القلوب
وبهجة النفوس، ولذة الارواح، والنعيم الذي لا يشبهه نعيم بذكره ومعرفته
ومحبته وعبادته والتوكل عليه والأنابة اليه والانس به والفرح بقربه والتذلل
له ولذة مناجاته والاقبال عليه والاشتغال به عن سواه وفيها كلامه ووحيه
وهداه وروحه الذي القاه من أمره فأخبر به من شاء من عباده. ولهذا فضل
ابن عقيل وغيره هذا على نعيم الجنة، وقالوا هذا حق الله عليهم وذاك حظهم
ونعيمهم، وحقه أفضل من حقهم. قالوا والايمان والطاعة أفضل من جزائه
والتحقيق انه لا يصح التفضيل بين أمرين في دارين مختلفتين، ولو أمكن
اجتماعهما في دار واحدة لا يمكن طلب التفضيل. والايمان والطاعة في هذه
الدار أفضل ما فيها ودخول الجنة والنظر الى وجه الله جل جلاله وسماع كلامه

والفوز برضاه أفضل ما في الآخرة. فهذا أفضل ما في هذه الدار، وهذا أفضل ما في الدار الاخرى. ولا يصح أن يقال فأى الأمرين أفضل فهذا أفضل الاسباب، وهذا أفضل الغايات وباللّٰه التوفيق

فصل

ولما وصف سبحانه حقيقة الدنيا وبين غايتها ونهايتها وانقلابها في الآخرة الى عذاب شديد ومغفرة من الله وثواب، أمر عباده بالمسابقة والمبادرة الى ما هو خير وأبقى وأن يؤثره على الفانى المنقطع المشوب بالانكاد والتنغيص. ثم أخبر أن ذلك فضله يؤتیه من يشاء والله ذو الفصل العظيم. وقال تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض، فاصبح هشبا تذرّوه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا » ثم ذكر سبحانه أن المال والبنين زينة الحياة الدنيا وان الباقيات الصالحات وهى الاعمال والإقوال الصالحة التى يبقى ثوابها ويدوم جزاؤها خير ما يؤمله العبد ويرجو ثوابه. وقال تعالى « انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » ولما أخبر عباده عن آفات هذه الدار دعا عباده الى دار السلام التى سلمت من التغير والاستحالة والزوال والفناء وعم عباده بالدعوة اليها عدلا، وخص من شاء بالهداية الى طريقها فضلا. وأخبر سبحانه أن الأموال والأولاد لا تقرب الخلق اليه، وانما يقربهم اليه تقوى الله ومعاملته فيهم. وحذر سبحانه عباده أن تلهيهم أموالهم وأولادهم عن ذكره. وأخبر أن من فعل ذلك فهو الخاسر حقيقة لا من قل ماله وولده فى الدنيا. ونهى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يمد عينيه الى مامتع به أهل الدنيا فيها فتنة لهم واختبارا. وأخبر أن رزقه الذى أعده له فى الآخرة خير وأبقى من هذا الذى متعوا به. وأخبر سبحانه انه آتاه السبع المثانى والقرآن العظيم وذلك خير وأفضل مما متع به أهل الدنيا فى

دنياهم وجعل ما آتاه ما عآله من مد عينيه الى ذلك . فهذا العطاء في الدنيا وما ادخر له من رزق الآخرة خير مما تمتع به أهل الدنيا فلا تمدن عينيك

فصل

واذا عرف أن الغنى والفقر والبلاء والعافية فتنة وابتلاء من الله لعبده تمتحن بها صبره وشكره علم أن الصبر والشكر مطيتان للإيمان لا يحمل الا عليهما ولا بد لكل مؤمن منهما وكل منهما في موضعه أفضل . فالصبر في مواطن الصبر أفضل، والشكر في مواضع الشكر أفضل، هذا ان صح مفارقة كل واحد منهما للآخر، وأما اذا كان الصبر جزء مسمى الشكر، والشكر جزء مسمى الصبر وكل منهما حقيقة مركبة من الأمرين معاً كما تقدم بيانه، فالتفضيل بينهما لا يصح الا اذا جرد أحدهما عن الآخر، وذلك فرض ذهني يقدره الذهن ولا يوجد في الخارج ولكن يصح على وجه وهو أن العبد قد يغلب صبره على شكره الذي هو قدر زائد على مجرد الصبر من الأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة فلا يبقى فيه اتساع لغير صبر النفس على ما هو فيه لقوة الوارد وضيق المحل فتنصرف قواه كلها الى كف النفس وحبسها لله . وقد يغلب شكره بالأقوال والاعمال الظاهرة والباطنة على قوة كفه لنفسه وحبسها لله فتكون قوة ارادته وعمله أقوى من قوة امتناعه وحبس نفسه واعتبر هذا بشخصين: أحدهما حاكم على نفسه متمكن من حبسها عن الشهوات قليل التشكى للمصيبات وذلك جل عمله . وآخر كثير الاعطاء لفعل الخير القاصر والمتعدي سمح النفس ببذل المعروف وآخر ضعيف النفس عن قوة الصبر . فللنفس قوتان قوة الصبر والكف وامساك النفس . وقوة البذل وفعل الخير والاقدام على فعل ما تكمل به، وكلاهما باجتماع هاتين القوتين فيها . والناس في ذلك أربع طبقات فأعلامهم من اجتمعت له القوتان، وسفلتهم من عدم القوتين . ومنهم من قوة صبره أكمل من قوة فعله وبذله . ومنهم من هو بالعكس في ذلك . فاذا فضل الشكر على الصبر فاما أن يكون باعتبار ترجيح مقام على مقام . واما أن يكون باعتبار تجريد كل من الأمرين عن الآخر وقطع النظر عن اعتباره وتمام ايضاح هذا بمسألة الغنى الشاكر والفقير الصابر فاندكر لها باباً يخصها ويكشف عن الصواب فيها .

الباب الثاني والعشرون

في اختلاف الناس في الغنى الشاكر والفقير الصابر

أيهما أفضل وما هو الصواب في ذلك

هذه مسألة كثر فيها النزاع بين الاغنياء والفقراء واحتجت كل طائفة على الاخرى بما لم يمكنها دفعه من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار ولذلك يظهر للمتأمل تكافؤ الطائفتين، فان كلا منهما أدلت بحجج لا تدفع والحق لا يعارض بعضه بعضاً، بل يجب اتباع موجب الدليل أين كان. وقد أكثر الناس الكلام في المسألة من الجانبين وصنفوا فيها من الطرفين. وتكلم الفقهاء والفقراء والاغنياء والصوفية وأهل الحديث والتفسير لشمول معناها وحقيقتها للناس كلهم، وحكوا عن الامام احمد فيهار وايتان ذكرهما أبو الحسين في كتاب التمام فقال: مسألة الفقير الصابر أفضل من الغنى الشاكر في أصح الروايتين. وفيه رواية ثانية الغنى الشاكر أفضل وبها قال جماعة منهم ابن قتيبة ووجه الاولى واختارها أبو اسحق بن شاقلا والوالد السعيد. قوله تعالى «أوئك يجزون الغرفة بما صبروا» قال محمد بن علي بن الحسين الغرفة الجنة بما صبروا قال علي الفقير في الدنيا. وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنى في زمرة المساكين يوم القيامة. فقالت عائشة ولم يارسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفاً يا عائشة لا تتردى المسكين ولو بشق تمر، يا عائشة أحبي المساكين وقريبيهم فان الله يقربك يوم القيامة، قلت لاحجة له في واحدة من الحججتين، أما الآية فالصبر فيها يتناول صبر الشاكر على طاعته وصبره عن معصيته وصبر المبتلى بالفقر وغيره على بلائه. ولو كان المراد بها الصبر على الفقر وحده لم يدل رجحانه على الشكر، فان القرآن كما دل على جزاء الصابرين دل على جزاء الشاكرين أيضاً: كما قال تعالى «وسنجزي الشاكرين، وسيجزي الله الشاكرين» بل قد أخبر أن رضاه في الشكر، ورضاه أكبر من جزائه بالجنات وما فيها

واذا جرى الله الصابرين الغرفة بما صبروا لم يدل ذلك على انه لا يجزى
 الشاكرين الغرفة بما شكروا. وأما الحديث فلا حجة فيه لوجهين: أحدهما انه
 لا يحتج باسناده فانه من رواية محمد بن ثابت الكوفي عن الحارث بن النعمان
 والحارث هذا لم يحتج به أصحاب الصحيح، بل قال فيه البخاري منكر الحديث
 ولذلك لم يصحح الترمذي حديثه هذا ولا حسنه ولا سكت عنه بل حكم
 بغرابته. الجواب الثاني ان الحديث لو صح لم يدل على مطلوبهم فان المسكنة
 التي يحبها الله من عبده ليست مسكنة فقر المال بل مسكنة القلب وهي
 انكساره وذله وخشوعه وتواضعه لله، وهذه المسكنة لا تنافي الغنى ولا يشترط
 لها الفقر، فان انكسار القلب لله ومسكنته لعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه
 وصفاته أفضل وأعلى من مسكنة عدم المال، كما أن صبر الواجد عن معاصي الله
 طوعاً واختياراً وخشية من الله ومحبة له أعلى من صبر الفقير العاجز. وقد آتى
 الله جماعة من أنبيائه ورسله الغنى والملك ولم يخرجهم ذلك عن المسكنة لله
 قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا الجريري عن أبي السليل
 قال: كان داود النبي صلى الله عليه وسلم يدخل المسجد فينظر أغمص حلقة (١)
 من بني اسرائيل فيجلس اليهم ثم يقول مسكين بين ظهرائي مساكين، هذا
 مع ما آتاه الله من الملك والغنى والبسطة زيادة على النبوة قال أبو الحسين
 وروى أبو برزة الاسلمى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فقراء
 المسلمين ليدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار اربعين خريفا حتى يتمنى أغنياء
 المسلمين يوم القيامة انهم كانوا فقراء في الدنيا. قلت هذا الحديث ثابت عن
 النبي صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وعبد
 الله بن عمر وجابر بن عبد الله. وروى عن أبي سعيد وانس بن مالك ولا يدل
 ذلك على علو درجتهم اذا دخلوا الجنة قبل الاغنياء، بل انما يدل على السبق لعدم
 ما يحاسبون عليه، ولا ريب ان ولى الامر العادل يتأخر دخوله للحساب وكذلك
 الغنى الشاكر، ولا يلزم من تأخر دخوله نزول درجتهما عن درجة الفقير

(١) أى أحقر حلقة. ومادة (غمص) وردت بهذا المعنى فى أحاديث كثيرة

كما تقدم وإنما تمنى الاغنياء انهم كانوا في الدنيا فقراء، فان صحت هذه اللفظة لم
 تدل على انحطاط درجاتهم كما يتمنى القاضى العادل فى بعض المواطن يوم القيامة
 إن لم يقض بين اثنين فى تمرة لما يرى من شدة الامر . فمنزلة الفقر والخمول
 ومنزلة السلامة، ومنزلة الغنى والولاية ومنزلة الغنيمة أو العطب قال أبو الحسن
 وروى ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قام فى أصحابه فقال أى الناس
 خير فقال بعضهم غنى يعطى حق نفسه وماله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم
 نعم الرجل هذا وليس به، ولكن خير الناس مؤمن فقير يعطى على جهده، قلت
 لم يذكر لهذا الحديث اسناد فينظر فيه، وحديث لا يعلم حاله لا يحتج به، ولو
 صح لم يكن فيه دليل لانه تضمن تفضيل فقير يتصدق من جهده ففقر الصابر بين
 وغنى الشاكرين، فقد جمع بين موجب التفضيل وسببه ولا ريب ان هذا
 افضل الاقسام الثلاثة ودرهمه الواحد يسبق مائة الف درهم من غيره كما قال
 النبي صلى الله عليه وسلم سبق درهم مائة الف درهم، قالوا يا رسول الله كيف سبق
 درهم مائة الف درهم، قال رجل كان له درهمان فاخذ احدهما فتصدق به، وآخر
 له مال كثير فاخذ من عرضه مائة الف فتصدق بها رواه النسائي من حديث
 صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن اسلم عن أبي صالح عن أبي
 هريرة رضى الله عنه، وذكر البيهقي من حديث الثوري عن أنس بن مالك عن
 الحارث عن علي رضى الله عنه قال: جاء ثلاثة نفر الى النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال أحدهم كانت لى مائة اوقية فتصدقت منها بعشر اواق، وقال الآخر كانت
 لى مائة دينار فتصدقت منها بعشر دنانير، وقال الآخر كان لى عشرة دنانير
 فتصدقت منها بدينار، فقال كلكم فى الاجر سواء، كلكم قد تصدق بعشر ماله
 وقال أبو سعيد بن الاعرابي حدثنا ابن أبي العوام حدثنا يزيد بن هريرة عن
 أبي الاشهب عن الحسن قال قال رجل لعثمان بن عفان رضى الله عنه، ذهبتم
 يا أصحاب الاهدال بالخير تتصدقون وتعتقون وتحجون وتنفقون، فقال عثمان
 وانكم لتغبطوننا وانا لتغبطكم، قال فوالله لدرهم ينفقه أحد من جهده خير من عشرة
 آلاف درهم غيظ من فيض. وفى سنن ابى داود من حديث الليث عن ابى الزبير عن
 يحيى بن جعدة عن أنس بن عمار انه قال يا رسول الله أى الصدقة افضل، قال جهده

المقل وإبدأ بمن تعول. وفي المسند وصحيح ابن حبان من حديث أبي ذر
رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل، قال جهد من مقل
وفي سنن النسائي من حديث الاوزاعي عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن حبشي
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الاعمال أفضل: قال ايمان لا شك فيه
وجهاد لا غلول فيه، وحبجة مبرورة. قيل فأى الصلاة أفضل قال طول القيام. قيل
فأى الصدقة أفضل، قال جهد من مقل. قيل فأى الهجرة أفضل، قال من هجر
ما حرم الله عليه، قيل فأى الجهاد أفضل، قال من أهرق دمه وعقر جواده وهذه
الاحاديث كلها تدل على أن صدقة جهد المقل أفضل من صدقة كثير المال
ببعض ماله الذي لا يتبين أثر نقصانه عليه وإن كان كثيراً، لأن الاعمال تتفاضل
عند الله بتفاضل ما في القلوب لا بكثرتها وصورها، بل بقوة الداعي وصدق الفاعل
وإخلاصه وإيثاره الله على نفسه، فأين صدقة من أثر الله على نفسه برغيف هو
قوته الى صدقة من أخرج مائة الف درهم من بعض ماله غيضاً من فيض. فرغيف
هذا درهمه في الميزان أثقل من مائة ألف هذا وباللله المستعان

فصل

واحتجوا بما رواه ابن عدي من حديث سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد
ابن يزيد عن أبيه عن عطاء سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول: اللهم توفني فقيراً ولا توفني غنياً وهذا الحديث لا يصح
فأن خالد بن يزيد هذا هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن مالك الدمشقي أجمعوا
على ضعفه وعدم الاحتجاج بحديثه. قال أحمد ليس بشيء وقال ابن معين واه
ونسبه يحيى الى الكذب وقد تقدم فيه. وقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله
عن هذه المسألة فقال: قد تنازع كثير من المتأخرين في الغنى الشاكر والفقير
الصابر أيهما أفضل، فرجح هذه طائفة من العلماء والعباد، ورجح هذا طائفة
أخرى من العلماء والعباد. وحكى في ذلك عن الامام احمد روايتان، وأما الصحابة
والتابعون رضي الله عنهم فلم ينقل عن أحد منهم تفضيل أحد الصنفين على
الآخر، وقد قالت طائفة ثالثة ليس لأحدهما على الاخرى فضيلة إلا بالتقوى

فانهما أعظم إيماناً وتقوى كان أفضل. فان استويا في ذلك استويا في الفضيلة، قال
وهذا أصح الأقوال لان نصوص الكتاب والسنة انما تفضل بالايان والتقوى
وقد قال تعالى «إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما» وقد كان في الانبياء والسابقين
الاولين من الاغنياء من هو أفضل من أكثر الفقراء، وكان فيهم من الفقراء من
هو أفضل من أكثر الاغنياء، والكاملون يقومون بالمقامين فيقومون بالشكر
والصبر على التمام كحال نبينا صلى الله عليه وسلم وحال أبي بكر وعمر رضي الله
عنهما ولكن قد يكون الفقر لبعض الناس أنفع والغي لأخرين أنفع كما تكون
الصحة لبعضهم أنفع والمرض لبعضهم أنفع كما في الحديث الذي رواه البغوي
وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن ربه تبارك وتعالى: ان من عبادي
من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه
إلا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة
ولو أسقمته لافسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته
لافسده ذلك. إني أدبر عبادي، اني بهم خبير بصير. وقد صح عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال: ان فقراء المسلمين يدخلون الجنة قبل الاغنياء وفي الحديث
الآخر لما علم الفقراء الذكر عقب الصلاة سمع بذلك الاغنياء فقالوا مثل
ما قالوا، فذكر ذلك الفقراء للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء » فالفقراء يتقدمون في دخول الجنة لحفة الحساب عليهم
والاغنياء يؤخرون لاجل الحساب عليهم، ثم اذا حوسب احدهم فان كانت
حسناته أعظم من حسنات الفقير كانت درجته في الجنة فوقه. وان تأخر في
الدخول كما أن السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ومنهم عكاشة
ابن محصن قد يدخل الجنة بحساب، من يكون أفضل من أحدهم في الدرجات
لكن اولئك استراحوا من تعب الحساب فهذا في الفقر المذكور في الكتاب
والسنة وهو ضد الغنى الذي يبيح أخذ الزكاة أو الذي لا يوجب الزكاة
ثم قد صار في اصطلاح كثير من الناس الفقر عبارة عن الزهد والعبادة
والاخلاق ويسمون من اتصف بذلك فقيراً وان كان ذا مال، ومن لم يتصف

بذلك قالوا ليس بفقير وان لم يكن له مال، وقد يسمى هذا المعنى تصوفاً، ومن الناس من يفرق بين مسمى الفقير والصوفي ثم من هؤلاء من يجعل مسمى الفقير أفضل، ومنهم من يجعل مسمى الصوفي أفضل. والتحقيق في هذا الباب انه لا ينظر الى الالفاظ المحدثه بل ينظر الى ما جاء به الكتاب والسنة من الاسماء والمعاني والله قد جعل وصف أه لياؤه الايمان التقوى فمن كان نصيبه من ذلك أعظم كان أفضل، والاغنياء بما سوى ذلك والله أعلم

الباب الثالث والعشرون

في ذكر ما احتجت به الفقراء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار
 قالت الفقراء لم يذكر الله سبحانه الغنى والمال في القرآن الا على أحد وجوه: الاول على وجه الذم كقوله تعالى «كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى» وقوله «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض» وقوله «ولولا أن يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارض عليها يظهرن، وليبيوتهم ابوابا وسرراً عليها يتكئون، وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين» وقال تعالى «فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون» وقال تعالى «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» وقال «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة» الآية ونظائر ذلك كثيرة. الوجه الثاني أن يذكره على وجه الابتلاء والامتحان كما قال تعالى «انما أموالكم وأولادكم فتنة» وقال تعالى «أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون» وقال تعالى «مخ آعن ابتلائه بالغنى كما ابتلى بالفقر» فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي اكرم من» الآية وقال تعالى «ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون» الوجه الثالث اخباره سبحانه وتعالى أن الاموال والاولاد لا تقرب اليه شيئاً، وانما يقرب اليه الايمان والعمل الصالح كما قال «وما أموالكم ولا أولادكم

بالتي تقر بكم عندنا عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فآلئك لهم جزاء الضعف
 بما عملوا وهم في الغرفات آمنون » الوجه الرابع اخباره أن الدنيا والغنى والمال
 إنما جعلها متعة لمن لا نصيب له في الآخرة ، وأن الآخرة جعلها للمتقين فقال
 تعالى « ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم
 فيه ورزق ربك خير وأبقى » وقال تعالى « ويوم يعرض الذين كفروا على
 النار اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها » والى هذا المعنى أشار النبي
 صلى الله عليه وسلم بقوله لعمر « أما ترى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة »
 وسيأتي الحديث . الوجه الخامس أنه سبحانه لم يذكر المترفين وأصحاب الثروة
 الا بالذم كقوله « انهم كانوا قبل ذلك مترفين » وقوله « واذا أردنا أن نهلك
 قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها » وقوله تعالى « لا تركضوا وارجعوا الى
 ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون » الوجه السادس أنه سبحانه ذم محب
 المال فقال « وتأكلون الثراث أكلا لما ، وتحبون المال حباً جماً » فذمهم بحب المال
 وعيرهم به . الوجه السابع أنه سبحانه ذم متمنى الدنيا والغنى والسعة فيها ومدح
 من أنكر عليهم وخالفهم فقال تعالى عن أغنى أهل زمانه « فخرج على قومه في
 زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا بالبليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو
 حظ عظيم ، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً
 ولا يلقاها الا الصابرون » فأخبروا أن ما عند الله خير من الدنيا لمن آمن وعمل
 صالحاً ولا يلقى هذه الوصية وهي الكلمة التي تكلم بها الذين أوتوا العلم أو
 المشوبة والجنة التي دل عليها قوله ثواب الله خير والسيرة والطريقة التي دل عليها
 قوله لمن آمن وعمل صالحاً ، وعلى كل حال لا يلقى ذلك الا الصابرون على
 الفقر وعن الدنيا وشهواتها وما أترف فيه الاغنياء ، وقد شهد الله سبحانه لهم
 انهم من أهل العلم دون الذين تمنوا الدنيا وزينتها . الوجه الثامن انه سبحانه
 أنكر على من ظن أن التفضيل يكون بالمال الذي يحتاج اليه لاقامة الملك
 فكيف بما هو زيادة وفضلة فقال تعالى « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم
 طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت
 سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم » فرد الله

سبحانه قولهم وأخبر سبحانه أن الفضل ليس بالمال كما توهموه، وأن الفضل
بالعلم لا بالمال: وقال سبحانه « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير
مما يجمعون » ففضله ورحمته العلم والایمان والقرآن والذي يجمعونه هو
المال وأسبابه. ومثله قوله تعالى « أهم يقسمون رحمة ربك - الى قوله - ورحمة
ربك خير مما يجمعون » الوجه التاسع أنه سبحانه أخبر أن التكاثر في جمع
المال وغيره ألهى الناس وشغلهم عن الآخرة والاستعداد لها وتوعدهم
على ذلك فقال تعالى « ألهامكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا
سوف تعلمون » فأخبر سبحانه أن التكاثر شغل أهل الدنيا وألهامهم عن الله
والدار الآخرة حتى حضرهم الموت فزاروا المقابر ولم يفيقوا من
رقدة من الهام التكاثر، وجعل الغاية زيارة المقابر دون الموت ايذاناً بأنهم
غير مستوطنين ولا مستقرين في القبور وانهم فيها بمنزلة الزائرين يحضرونها
مدة ثم يظعنون عنها كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين
فيها. ودار القرار هي الجنة أو النار ولم يعين سبحانه المتكاثر به بل ترك ذكره
إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشئ لا المتكاثر به كما يقال شغلك
اللعب واللهو ولم يذكر ما يلعب ويلهو به، وأما ارادة الاطلاق وهو كل ما
تكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا من مال أو جاه أو عبيد أو إماء أو بناء
أو غراس أو علم لا ينبغي به وجه الله أو عمل لا يقربه الى الله، فكل هذا من
التكاثر الملهى عن الله والدار الآخرة، وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن الشيخير
انه قال: انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهام التكاثر قال يقول
ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفريت
أو لبست فأبليت، ثم أوعد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيداً مؤكداً اذا عين
تكاثره هباءً منثوراً وعلم دنياه التي كثر بها انما كانت خدعاً وغروراً فوجد
عاقبة تكاثره عليه لاله وخسر هنالك تكاثره كما خسر أمثاله وبداله من الله
مالم يكن في حسابه، وصار تكاثره الذي شغله عن الله والدار الآخرة من أعظم
أسباب عذابه فعذب بتكاثره في دنياه، ثم عذب به في البرزخ، ثم يعذب به يوم

القيامة فكان اشقى بتكاثره اذ افاد منه العطب دون الغنيمة والسلامة فلم يفز
 من تكاثره الا بأن صار من الاقلين ولم يحفظ به من علوه به في الدنيا الا بأن
 حصل مع الاسفلين فياله تكاثرا ما اقله وزرأ ما اجله من غنى جالب الكل فقر،
 وخيراً توصل به الى كل شر يقول صاحبه اذا انكشف عنه غطاؤه
 باليتنى قدمت لحياتي وعملت فيه بطاعة الله قبل وفاتي « رب ارجعوني
 اعلى اعمل صالحا فيما تركت كلا، انها كلمة هو قائلها » تلك كلمة يقولها فلا
 يعول عليها، ورجعة يسألها فلا يجاب اليها وتأمل قوله أولا « رب استغاث
 بر به ثم التفت الى الملائكة الذين امروا باحضاره بين يدي ربه تبارك
 وتعالى فقال « ارجعوني » ثم ذكر سبب سؤال الرجعة وهو ان يستقبل العمل
 الصالح فيما ترك خلفه من ماله وجاهه وسلطانه وقوته وأسبابه فيقال له
 كلا، لا سبيل لك الى الرجعي وقد عمرت ما يتذكر فيه من تذكر، ولما كان شأن
 الكريم الرحيم أن يجيب من استغاث وأن يفسح له في المهلة ليتذكر ما فاتته أخبر
 سبحانه أن سؤال هذا المفرط الرجعة كلمة هو قائلها لا حقيقة تحتها وأن
 سجيته وطبيعته تأتي ان تعمل صالحاً لو أجيب، وانما ذلك شيء يقوله بلسانه وانه
 لو رد لعاد لما نهى عنه وانه من الكاذبين. فخكمة أحكم الحاكمين وعزته وعلمه
 وحمده يأتي إجابته الى ما سأل فانه لا فائدة في ذلك، ولو رد لكانت حالته الثانية
 مثل حالته الاولى كما قال تعالى « ولو ترى إذ وقفوا على النار قالوا ياليتنا نرد
 ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين، بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل
 ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون » وقد حام أكثر المفسرين حول
 معنى هذه الآية وما اوردوا فراجع اقوالهم تجدها لا تشفى غليلا ولا تروى
 غليلا، ومعناها أجل واعظم مما فسروها به ولم يتفطنوا الوجه الاضراب بيل
 ولا للامر الذي بدا لهم وكانوا يخفونه وظنوا ان الذي بدلهم العذاب، فلما
 لم يروا ذلك ملتئماً مع قوله ما كانوا يخفون من قبل قدر وامضافاً محذوفاً وهو
 خبر ما كانوا يخفون من قبل، فدخل عليهم امر آخر لا جواب لهم عنه
 وهو ان القوم لم يكونوا يخفون شركهم وكفرهم بل كانوا يظهرونه

ويدعون اليه ويحاربون عليه . ولما علموا ان هذا وارد عليهم، قالوا إن القوم
في بعض موارد القيمة ومواطنها اخفوا شركهم وجحدوه، وقالوا والله
ربنا ما كنا مشركين، فلما وقفوا على النار بدا لهم جزاء ذلك الذي أخفوه، قال
الواحدى وعلى هذا أهل التفسير، ولم يصنع أرباب هذا القول شيئاً فان
السياق والاضراب يبيل والابخبار عنهم بأنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا
عنه، وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين لا يلتئم بهذا الذي ذكره فتامله. وقالت
طائفة منهم الزجاج بل بدا للاتباع ما أخفاه عنهم الرؤساء من أمر البعث .
وهذا التفسير يحتاج الى تفسير وفيه من التكليف ما ليس بخاف . وأجود من
هذا ما فهمه المبرد من الآية قال كأن كفرهم لم يكن بادياً لهم اذ خيفت عليهم
مضرتهم . ومعنى كلامه انهم لما خفيت عليهم مضرة عاقبته ووباله فكأنه كان
خفياً عنهم لم تظهر لهم حقيقته، فلما عاينوا العذاب ظهرت لهم حقيقته وشره
قال وهذا كما تقول لمن كنت حدثته في أمر قبل، وقد ظهر لك الآن ما كنت
قلت لك وقد كان ظاهراً له قبل هذا ولا يسهل أن يعبر عن كفرهم وشركهم
الذى كانوا ينادون به على رؤس الاشهاد ويدعون اليه كل حاضر وباد بانهم
كانوا يخفونه لخفاء عاقبته عنهم . ولا يقال لمن أظهر الظلم والفساد وقتل النفوس
والسعى في الارض بالفساد أنه أخفى ذلك لجهله بسوء عاقبته وخفائها عليه
فمعنى الآية والله أعلم بما أراد من كلامه ان هؤلاء المشركين لما وقفوا على
النار وعاينوها وعلوها أنهم دخلوها تمنوا أنهم يردون الى الدنيا فيؤمنون بالله
وآياته ولا يكذبون رسله . فأخبر سبحانه أن الامر ليس كذلك وأنهم ليس
في طبائعهم وسجايهم الايمان بل سجيتهم الكفر والشرك والتكذيب وأنهم
لو ردوا لكانوا بعد الرد كما كانوا قبله، وأخبر أنهم كاذبون في زعمهم أنهم
لو ردوا لآمنوا وصدقوا . فاذا تقرر مقصود الآية ومرادها تبين معنى الاضراب
يبيل، وتبين معنى الذى بدا لهم والذى كانوا يخفونه والحامل لهم على قولهم
يا ليتنا نرد ولا نكذب آيات ربنا . فالقوم كانوا يعلمون أنهم كانوا فى الدنيا
على باطل وأن الرسل صدقوهم فيما بلغوهم عن الله وتيقنوا ذلك وتحققوه

ولكنهم أخفوه ولم يظهروه بينهم بل تواصلوا بكتمانه فلم يكن الحامل لهم على تمنى الرجوع والايان معرفة ما لم يكونوا يعرفونه من صدق الرسل، فانهم كانوا يعلمون ذلك ويخفونه، وظهر لهم يوم القيامة ما كانوا ينظرون عليه من علمهم أنهم على باطل وان الرسل على الحق فعانوا ذلك عيانا بعد أن كانوا يكتُمونه ويخفونه فلوردوا لما سمحت نفوسهم بالايان ولعادوا الى الكفر والتكذيب فانهم لم يتمنوا الايمان لعلمهم يومئذ أنه هو الحق وان الشرك باطل، وانما تمنوا لما عانوا العذاب الذي لا طاقة لهم باحتماله وهذا كمن كان يخفي محبة شخص ومعاشرته وهو يعلم أن حبه باطل وأن الرشد في عدوله عنه قليل له إن اطلع عليه وليه عاقبك وهو يعلم ذلك ويكابر ويقول بل محبته ومعاشرته هي الصواب، فلما أخذه وليه ليعاقبه على ذلك وتيقن العقوبة تمنى أن يعفى من العقوبة وأنه لا يجتمع به بعد ذلك وفي قلبه من محبته والحرص على معاشرته ما يجعله على المعاودة بعد معاناة العقوبة بل بعد أن مسته وأنهكته فظهر له عند العقوبة ما كان يخفي من معرفته بخطئه وصواب ما نهاه عنه ولورد لعاد لما نهى عنه . وتأمل مطابقة الاضراب لهذا المعنى وهو نفي قولهم انالوردنا لآمانا وصدقنا ، لانه ظهر لنا الآن ان ما قاله الرسل هو الحق أى ليس كذلك بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه وكنتم تخفونه فلم يظهر لكم شيء لتكونوا عالمين به لتعذروا بل ظهر لكم ما كان معلوماً وكنتم تتواصلون باخفائه وكتمانه والله أعلم

ولا تستطل هذا الفصل المعترض في أثناء هذه المسألة فلعلمه أهم منها وأنفع وبالله التوفيق

فلنرجع الى تمام الكلام فيها وقوله « كلاً لو تعلمون علم اليقين » جوابه محذوف دل عليه ما تقدم أى لما ألهاكم التكاثر، وانما وجد هذا التكاثر والهائه عما هو أولى بكم لما فقد منكم علم اليقين وهو العلم الذي يصل به صاحبه الى حد الضروريات التي لا يشك ولا يمارى في صحتها وثبوتها ولو وصلت حقيقة هذا العلم الى القلب وباشرته لما ألهاه عن موجهه وترتب أثره عليه، فان مجرد

العلم بقبح الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفى في تركه، فاذا صار له علم اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أشد. فاذا صار عين يقين كجملة المشاهدات كان تخلف موجب عنه من أندر شيء. وفي هذا المعنى قال حسان بن ثابت رضى الله عنه في أهل بدر:

سرنا وساروا الى بدر لحتفهم لو يعلمون يقين العلم ما ساروا
وقوله «كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون» قيل تأكيد لحصول
العلم كقوله «كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون» وقيل ليس تأكيداً بل العلم
الأول عند المعاينة ونزول الموت، والعلم الثانى فى القبر، هذا قول الحسن ومقاتل
ورواه عطاء عن ابن عباس ويدل على صحة هذا القول عدة أوجه: أحدها أن
الفائدة الجديدة والتأسيس هو الأصل وقد أمكن اعتباره مع فخامة المعنى
وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة. الثانى توسط «ثم» بين العلمين وهى مؤذنة
بتراخى ما بين المرتبتين زماناً وخطراً. الثالث إن هذا القول مطابق للواقع فإن
المحتضر يعلم عند المعاينة حقيقة ما كان عليه ثم يعلم فى القبر وما بعده ذلك
علماً هو فوق العلم الأول. الرابع أن علياً بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره
من السلف فهموا من الآية عذاب القبر. قال الترمذى حدثنا أبو كريب
حدثنا حكام بن سايم الرازى عن عمرو بن أبى قيس عن الحجاج بن المنهال بن
عمر عن زر عن على رضى الله عنه قال: ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت
«الهمم التكاثر» قال الواحدى يعنى أن معنى قوله «كلا سوف تعلمون» فى
القبر. الخامس أن هذا مطابق لما بعده من قوله «لترون الجحيم ثم لترونها عين
اليقين» فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين اطلاق الأولى وتقييد
الثانية بعد اليقين وتقدم الأولى وتراخى الثانية عنها، ثم ختم السورة بالاخبار
المؤكد بواو القسم ولام التأكيد والنون الثقيلة عن سؤال النعيم فكل أحد يسأل
عن نعيمه الذى كان فيه فى الدنيا هل ناله من حلاله ووجهه أم لا، فاذا تخلص من
هذا السؤال سئل سؤالاً آخر هل شكر الله تعالى عليه فاستعان به على طاعته
أم لا، فالأول سؤال عن سبب استخراجيه والثانى عن محل صرفه كما فى جامع

الترمذى من حديث عطاء بن ابى رباح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وفيماذا عمل فيما علم » وفيه أيضاً عن أبى برزة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أبلاه، قال هذا حديث صحيح. وفيه أيضاً من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة يعنى من النعيم أن يقال له ألم نصح جسمك ونزويك من الماء البارد » وفيه أيضاً من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه لما نزلت « لتسئلن يومئذ عن النعيم » قال الزبير يارسول الله فأبى النعيم نسأل عنه وإنما هو الاسودان التمر والماء، قال اما انه سيكون قال هذا حديث حسن. وعن أبى هريرة نحوه وقال إنما هو الاسودان العدو حاضر، سيوفنا على عواتقنا، قال ان ذلك سيكون. وقوله ان ذلك سيكون إما أن يكون المراد به ان النعيم سيكون ويحدث لكم، واما ان يرجع الى السؤال أى ان السؤال يقع عن ذلك، وأن كان تمرا وماء فانه من النعيم، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: وقد أكلوا معه رطباً ولحماً وشرابوا من الماء البارد « هذا من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيامة » فهذا سؤال عن شكره والقيام بحقه. وفى الترمذى من حديث أنس رضى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم « قال يجاء بالعبد يوم القيامة كأنه بذج (١) فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول الله اعطيتك وخولتك وانعمت عليك فإذا صنعت، فيقول يارب جمعته وثمرته فتركته أوفر ما كان فأرجعنى إليك به فإذا عبيد لم يقدم خيراً فيمضى به الى النار » وفيه من حديث أبى سعيد وابى هريرة رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخرت لك الانعام والحراث

(١) فى النهاية: « يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج من الذل » البذج ولد الضأن وجمعه بذجان

وتركتك ترأس وترتع أفكنت تظن انك ملاق يومك هذا: فيقول . لا . فيقول له
اليوم انساك كما نسيتني » قال هذا حديث صحيح . وقد زعم طائفة من المفسرين
ان هذا الخطاب خاص بالكفار وهم المسؤولون عن النعيم وذكر ذلك
عن الحسن ومقاتل واختار الواحدى ذلك واحتج بحديث أبى بكر لما نزلت
هذه الآية : قال رسول الله أرأيت أكلة أكلتها معك بيت أبى الهيثم بن
التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وءاء عذب ، أتخاف علينا أن يكون
هذا من النعيم الذى نسال عنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذلك
للكفار ثم قرأ « وهل نجازى الا الكفور » قال الواحدى والظاهر يشهد
بهذا القول لان السورة كلها خطاب للمشركين ونهديد لهم . والمعنى أيضا
يشهد بهذا القول وهو ان الكفار لم يؤدوا حق النعيم عليهم حيث أشركوا به
وعبدوا غيره فاستحقوا ان يسألوا عما أنعم به عليهم توبيخا لهم هل قاموا
بالواجب فيه أم ضيعوا حق النعمة ثم يعذبون على ترك الشكر بتوحيد المنعم
قال وهذا معنى قول مقاتل وهو قول الحسن قال لا يسأل عن النعيم الا أهل
النار . قلت ليس فى اللفظ ولا فى السنة الصحيحة ولا فى أدلة العقل ما يقتضى
اختصاص الخطاب بالكفار بل ظاهر اللفظ وصريح السنة والاعتبار يدل
على عموم الخطاب لكل من اتصف بالهاء التكاثر له فلا وجه لتخصيص
الخطاب ببعض المتصفين بذلك . ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
عند قراءة هذه السورة يقول ابن آدم مالى مالى . وهل لك من مالك الا ما
أكلت فأنيت ، اولبست فابلت الحديث وهو فى صحيح مسلم . وقائل ذلك قد
يكون مسلما وقد يكون كافرا ويدل عليه أيضا الاحاديث التى تقدمت ، وسؤال
الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم وفهمهم العموم حتى قالوا له وأى نعيم نسال
عنه وانما هو الا سودان ، فلو كان الخطاب مختصا بالكفار لبين لهم ذلك
وقال مالك ولها ، انما هى للكفار فالصحابة فهموا التعميم ، والاحاديث صريحة
فى التعميم . والذى أنزل عليه القرآن أقرهم على فهم العموم ، وأما حديث أبى
بكر الذى احتج به أرباب هذا القول فحديث لا يصح . والحديث الصحيح

في تلك القصة يشهد ببطالانه ونحن نسوقه بلفظه، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أو ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما اخرجكما من بيوتكما في هذه الساعة، قالوا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لا اخرجني الذي اخرجكما قوما» فقاما معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس في بيته فلما رآته امرأته قالت مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين فلان، قالت ذهب يستعذب لنا من الماء، اذ جاء الانصاري فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما أحد اليوم اكرم اضيافا مني، قال فانطلق فاجاءهم بعنق (١) فيه بسر وتمر ورطب، فقال كلوا من هذا، فأخذ المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوبة فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العنق وشربوا فلما أن شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بى بكر وعمر «والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخر حكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب وانه غير مختص بالكفار، وأيضا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وان الالهة بالتكاثروا وقع من المسلمين كثيراً بل اكثرهم قد الهاه التكاثر، وخطاب القرآن عام لمن بلغه وان كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو متناول لمن بعدهم، وهذا معلوم بضرورة الدين وان نازع فيه من لا يعتد بقوله من المتأخرين، فنحن اليوم ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام» ونظائره كما دخل تحتها الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين فقوله «الهالك التكاثر» خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف وهم في الالهة والتكاثر درجات لا يخصصها الا الله، فان قيل فالمؤمنون لم يلبهم التكاثر ولهذا لم يدخلوا في الوعيد المذكور لمن الهاه: قيل هذا هو الذي أوجب لارباب هذا القول تخصيصه بالكفار لانه لم يمكنهم حمله على العموم ورأوا أن الكفار أحق بالوعيد فخصوهم به، وجواب هذا أن الخطاب للانسان

(١) العنق بالفتح النخلة بحملها. والعنق بالكسر الكباشة. مختار الصحاح

من حيث هو انسان على طريقة القرآن في تناول الدم له من حيث هو انسان كقوله « وكان الانسان عجولا » « وكان الانسان قتورا » . « ان الانسان لربه لكنود » « وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » . « ان الانسان لكفور » ونظائره كثيرة فالانسان من حيث هو عاز عن كل خير من العلم النافع والعمل الصالح، وانما الله سبحانه هو الذي يكمله بذلك ويعطيه اياه وليس له ذلك من نفسه، بل ليس له من نفسه الا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه لا من نفسه. فالباء التكاثر طبيعته وسجيته التي هي له من نفسه ولا خروج له عن ذلك الا بتزكية الله له وجعله مريداً للآخرة مؤثراً لها على التكاثر بالدنيا، فان أعطاه ذلك والا فهو ملته بالتكاثر في الدنيا ولا بد . وأما احتجاجه بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار فيقال الوعيد المذكور مشترك وهو العلم عند معانية الآخرة، فهذا أمر يحصل لكل احد لم يكن حاصله في الدنيا وليس في قوله « سوف تعلمون » ما يقتضى دخول النار فضلاً عن التخليد فيها، وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها، فان أهل الموقف يرونها ويشاهدونها عياناً. وقد أقسم الرب تبارك وتعالى أنه لا بد أن يراها الخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم وبرهم وفاجرهم، فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عموم خطابها . وأما ما ذكره عن الحسن انه لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار فباطل قطعاً إما عليه وإما منه والاحاديث الصحيحة الصريحة تردده وباللغة التوفيق

ولا يخفى أن مثل هذه السورة مع عظم شأنها وشدة تخويفها وما تضمنته من تحذير التكاثر الملهي وانطباق معناها على أكثر الخلق يأنى اختصاصها من أولها الى آخرها بالكفار ولا يليق ذلك بها ويكفي في ذلك تأمل الأحاديث المرفوعة فيها والله أعلم وتأمل ما في هذا العتاب الموجه لمن استمر على الهاء التكاثر له مدة حياته كلها الى أن زار القبر ولم يستيقظ من نوم الالهاء بل ارقد التكاثر قلبه فلم يستفق منه إلا وهو في عسكر الاموات، وطابق بين هذا وبين حال أكثر الخلق يتبين لك أن العموم مقصود، وتأمل تعليقه سبحانه الذم

والوعيد على مطلق التكاثر من غير تقييد بمتكاثر به ليدخل فيه التكاثر بجميع أسباب الدنيا على اختلاف أجناسها وأنواعها. وأيضاً فإن التكاثر تفاعل وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكثر صاحبه فيكون أكثر منه فيما يكثره به والحامل له على ذلك توهمه أن العزة للتكاثر كما قيل:

ولست بالآكثر منهم حصي وإنما العزة للتكاثر

فلو حصلت له الكثرة من غير تكاثر لم تضره كما كانت الكثرة حاصلة لجماعة من الصحابة ولم تضرهم إذ لم يتكاثروا بها، وكل من كثرت إنسانا في دنياه أو جاهه أو غير ذلك شغلته مكاثرتة عن مكاثرة أهل الآخرة، فالنفوس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تتكاثر بما يدوم عليها نفعه وتكمل به وتزكو وتصير مفلحة فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك وينافسها في هذه المكاثرة ويسابقها إليها. فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد، وضده تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم فهذا تكاثر مله عن الله والدار الآخرة وهو صائر إلى غاية القلة فعاقبة هذا التكاثر قل وفقر وحرمان. وانتكاثر بأسباب السعادة الآخروية تكاثر لا يزال يذكر بالله ولقائه، وعاقبة الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تنفى وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولاً وأحسن منه عملاً وأغزر علماً. وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن الحاقه فيها كآثره بخصلة أخرى هو قادر على المكاثرة بها وليس هذا التكاثر مذموماً ولا قادحاً في إخلاص العبد، بل هو حقيقة المنافسة واستباق الخيرات وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج رضی الله عنهم في تصاولهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره. وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر رضی الله عنهما فلما تبين له مدى سبقه له قال: والله لا أسابقك إلى شيء أبداً.

فصل

وهن تأمل حسن موقع «كلا» في هذا الموضوع فانها تضمنت ردعاً لهم وزجراً عن التكاثر ونفياً وإبطالاً لما يؤملونه من نفع التكاثر لهم وعزتهم وكمالهم

به فتضمنت اللفظة نهيًا ونفيًا، وأخبرهم سبحانه أنهم لا بد أن يعلموا عاقبة تكاثرهم
 علمًا بعد علم. وأنهم لا بد أن يروا دار المكائرين بالدنيا التي ألهمتهم عن الآخرة
 رؤية بعد رؤية، وأنه سبحانه لا بد أن يسألهم عن أسباب تكاثرهم من أين
 استخرجوها وفيما صرفوها فله ما أعظمها من سورة وأجلها وأعظمها فائدة
 وأبلغها موعظة وتحذيرا وأشدّها ترغيبا في الآخرة وتزهيدا في الدنيا على غاية
 اختصارها وجزالة ألفاظها وحسن نظمها فتبارك من تكلم بها حقاً وبأغها
 رسوله عنه وحيا .

فصل

وتأمل كيف جعلهم عند وصولهم الى غاية كل حي زائرين غير مستوطنين
 بل هم مستودعون في المقابر مدة وبين أيديهم دار القرار، فاذا كانوا عند وصولهم
 الى الغاية زائرين فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدار فهم فيها عابرو سبيل
 الى محل الزيارة ثم منتقلون من محل الزيارة الى المستقر. فها هنا ثلاثة أمور:
 عبور السبيل في هذه الدنيا، وغايته زيارة القبور، وبعدها النقلة الى دار القرار.

فصل

فلنرجع الى تمام المناظرة قالوا فالله تعالى حمى أوليائه عن الدنيا وصانهم عنها
 ورغب بهم عنها تكريماً لهم وتطهيراً عن أدناسها ورفعاً من دنائتها وذكماً لهم وأخبرهم
 بهوانها عليه وسقوط قدرها عنده. وأعلمهم أن بسطها فتنة وأنه سبب الطغيان
 والفساد في الأرض والهاء التكاثر بها عن طلب الآخرة وأنها متاع الغرور، وذك
 محييا ومؤثر بها وأخبر أن من أرادها أو أراد زينتها وحرثها فليس له في
 الآخرة من نصيب. وأخبر أن بسطها فتنة وابتلاء لا كرامة ومحبة، وإن إمداد
 أهلها بها ليس مسارعة لهم في الخيرات وانها لا تقرب اليه ولا تزلف لديه، وانه
 لولا تتابع الناس في الكفر لا عطي الكفار منها فوق مناهم ووسعها عليهم
 أعظم التوسعة بحيث يجعل سقوف بيوتهم وأبوابهم ومعارجهم وسرورهم

كلها من فضة . وأخبرانه زينها لأعدائه واضعغاء العقول الذين لانصيب لهم
 في الآخرة منى رسوله عن مد عينيه اليها والى مامتع به أهلها، وذم من أذهب
 طبيباته فيها واستمتع بها: وقال لنييه « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل
 فسوف يعلمون » وفي هذا تعزية لما منعه أولياءه من التمتع بالدنيا وكثرة الأكل
 فيها وتأديب لمن بسط له فيها الا يطغى فيها ولا يعطى نفسه شهواتها ولا يستمتع
 بها . وذم سبحانه محبيها المفتخرين بها المكاثرين بها الظانين ان الفضل والكرامة
 فى سعتها وبسطها فأ كذبهم الله سبحانه . وأخبر انه ليس كما قالوه ولا توهموه
 ومثلا لعباده بالامثلة التى تدعو كل لبيب عاقل الى الزهد فيها وعدم الوثوق
 بها و الركون اليها فأ حضر صررتها وحققتها فى قلوبهم بما ضربه لها مثلا
 كماء انزله من السماء فخالط نبات الارض فلما أخذت به الارض زخرها وتزينت
 بأنواع النبات أتاها أمره فجعل تلك الزينة ييسأ هشيما تذروه اليها كأن
 لم يكن قط منه شىء . وأخبر سبحانه عن فنائها وسرعة انقضائها وانه اذا عين
 العبد الآخرة فكأنه لبث فيها ساعة من نهار أو يوما أو بعض يوم ، ونهى سبحانه
 عباده ان يغتروا بها وأخبرهم انها لهو ولعب وزينة وتفاخر وتكاثر ومتاع غرور
 وطريق ومعبر الى الآخرة ، وانها عوض عاجل لابقاء له ولم يذكر مردها بخير
 قط بل حيث ذكره ذمه . وأخبر ان مردها مخالف لربه تعالى فى ارادته ، فالله يريد
 شيئا ومريد الدنيا يريد خلافاه ، فهو مخالف لربه بنفس ارادته وكفى بهذا بعدا
 عنه سبحانه . وأخبر سبحانه عن أهل النار انهم انما دخلوها بسبب غرور الدنيا
 وأمانيتها لهم ، قالوا وهذا كله تزهد لهم منه سبحانه فيها وترغيب فى التقليل منها ما أمكن
 قالوا وقد عرضها سبحانه وعرض مفاتيح كنوزها على أحب الخلق اليه وأكرمهم
 عليه عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فلم يردها ولم يخرتها ، ولو أثرها
 وأرادها لكان أشكر الخلق بما أخذ منها وأنفقه كله فى مرضاة الله وسبيله
 قطعاً ، بل اختار التقليل منها وصبر على شدة العيش فيها . قال الامام أحمد حدثنا
 اسماعيل بن محمد حدثنا عباد يعنى ابن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن
 مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : دخلت على امرأة من الأنصار فرأت

فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة مثنية فرجعت الى منزلها فبعثت الى بفراش حشوه الصوف، فدخل على رسول صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقلت فلانة الانصارية دخلت على فرأت فراشك فبعثت الى بهذا، فقال رديه فلم أرده وأعجبنى أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال يا عائشة رديه والله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة (١) وعرض عليه مفاتيح كنوز الدنيا فلم يأخذها، وقال بل أجزع يوماً وأشبع يوماً فاذا جمت تضرعت اليك وذاكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك، وسأل ربه ان يجعل رزق اهله قوتاً كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وفيهما عنه قال: والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله واهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا. وفي صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه ما أعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفاً مرقماً ولاشاة سمياً قط حتى لحق بربه. وفي صحيحه أيضاً عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز الشعير. وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض. وفي صحيح مسلم عن عمر رضى الله عنه: لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم ما يجد دقلاً يملأ بطنه (٢). وفي المسند والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعات طاوياً واهله لا يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير. قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح. وفي الترمذى من حديث أبي أمامة: ما كان يفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خبز الشعير. وفي المسند عن عائشة رضى الله عنها: والذي بعث محمد بالحق ما رأى من مخلولاً أكل خبزاً منخولاً منذ بعثه الله عز وجل الى أن قبض. قال عروة فقلت فكيف كنتم تأكلون الشعير قالت كنا نقول أف أى ننفخه فيطير ما طار ونعجن الباقي

(١) تقدم هذا الحديث فى ص ١٣١

(٢) فى النهاية: الدقل ردى التمر ويابس وما ليس له اسم خاص فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع ويكون مشورا

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: لقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 درعه بشعير، ولقد سمعته يقول ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى، وانهم
 لتسعة آيات. وفي مسند الحارث عن أبي أسامة عن أنس أن فاطمة رضي
 الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال ما هذه الكسرة
 يا فاطمة، قالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة، فقال
 اما انه أول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاثة أيام. وقال الامام أحمد حدثنا
 وكيع حدثنا عبد الواحد بن ايمن عن أبيه عن جابر رضي الله عنه قال: لما حفر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق أصابهم جهد شديد حتى ربط النبي
 صلى الله عليه وسلم على بطنه حجرا من الجوع. وقد اسرف أبو حاتم بن حبان في
 تقاسيمه في رد هذا الحديث وبالغ في انكاره وقال المصطفى أكرم على ربه من
 ذلك، وهذا من وهمه وليس في هذا ما ينقص مرتبته عند ربه بل ذلك رفعة
 له وزيادة في كرامته وعبرة لمن بعده من الخلفاء والملوك وغيرهم وكان أبو حاتم
 لم يتأمل سائر الاحاديث في معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وهل ذلك الا
 من أعظم شواهد صدقه فانه لو كان كما يقول اعداؤه وأعداء ربه انه ملك طالب
 ملك ودنيا لكان عيشه عيش الملوك وسيرته سيرتهم، ولقد توفاه الله وان
 درعه مرهونة عند يهودى على طعام اخذه لاهله وقد فتح الله عليه بلاد العرب
 وجبيت اليه الاموال ومات ولم يترك درهما واحدا ولا ديناراً ولا شاة ولا
 بعيراً ولا عبداً ولا أمة، قال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد بن مطرف
 عن أبي حازم عن عروة: انه سمع عائشة تقول كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد
 في بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. قلت يا خالة فعلى
 أى شيء كنتم تعيشون. قالت على الاسودين التمر والماء. وقد تقدم حديث
 أبي هريرة في قصة أبي الهيثم بن التيهان وانه خرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من بيته فرأى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال ما اخرجكما
 قالا الجوع، قال وأنا والذي نفسي بيده لا اخرجني الذي اخرجكما. وذكر أحمد
 من حديث مسروق قال دخلت على عائشة فدعت لي بطعام وقالت ما أشبع من

طعام فإشاء أن أبكي إلا بكيت، قال قلت لم، قالت اذكر الحال التي فارق عليها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا، والله ما شبع في يوم مرتين من خبز البر حتى
 قبض. وفيه عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يوهين
 متتابعين حتى قبض. والحديثان صحيحان وفيه أيضاً عنها ما شبع آل محمد من
 خبز مأدوم ثلاثة أيام حتى لحق بالله عز وجل. وفي الصحيحين عن أبي هريرة
 ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله ثلاثاً أتباعاً من خبز البر حتى فارق
 الدنيا. وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه
 وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم
 خبز الشعير. وفيه أيضاً عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله
 وما يخاف أحد، ولقد أوديت في الله وما يؤذي أحد، ولقد أتت على ثلاثون
 من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه ابط
 بلال والحديثان صحيحان. وفيه أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي
 طلحة رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا
 عن بطوننا حجراً حجراً فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين.
 وفيه أيضاً عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: نام رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه، فقلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء
 فقال مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح
 وتركها حديث حسن صحيح. وفيه عن علي رضي الله عنه قال: خرجت في يوم شات
 من بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخذت إهاباً معطوناً فجوبت
 وسطه وادخلته في عنقي فشددت به وسطى فزمته بخوص من النخل واني
 لشديد الجوع، ولو كان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام لطعمت
 منه، فخرجت التمس شيئاً فمررت بيهودي في مال له وهو يسقي بيكرة له فاطلمت
 عليه من ثلثة من الحائط، فقال مالك يا أعرابي وهل لك في كل دلو بتمرة قلت
 نعم فافتح الباب حتى أدخل ففتح فدخلت فأعطاني دلوه فكلما نزعتم دلواً
 أعطاني تمرة حتى امتلأت كفي، أرسلت دلوه وقلت حسبي فأكلتها ثم جرعت

من الماء فشربت ثم جئت الماء فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .
وقال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه: لقد رأيتنا نغزو مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم مالنا طعام الا الحبلة وهذا السمر والحبلة ثمر العضاة ذات الشوك
وهو حديث صحيح. وكان صلى الله عليه وسلم يصلى من الليل أحيانا وعليه كساء
صوف بعضه عليه وبعضه على عائشة . قال الحسن اثمان ستة دراهم أو سبعة
وقال أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا أبو زائدة حدثنا عطاء عن أبيه عن علي قال
جهز رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة في خميل وقربة ووسادة من آدم
حشوها ليف والخميل الكساء الذى حمل . قال وحدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان
ابن المغيرة عن حميد قال: قال أبو بردة دخلت على عائشة فأخرجت الينا إزارا غليظا
مما يصنع باليمن وكساء من هذه التى تدعونها الملبدة ، فقالت قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى هذين الثوبين . قالوا ولو كان الغنى مع الشكر أفضل
من الفقر مع الصبر لاختاره رسول صلى الله عليه وسلم اذ عرضت عليه الدنيا
ولأمره ربه ان يسأله اياه كما أمره ان يسأله زيادة العلم، ولم يكن رسول الله
عليه وسلم ليختار الا ما اختاره الله له، ولم يكن الله ليختار له الا الأفضل اذ كان
أفضل خلقه وأكملهم . قالوا وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان خير الرزق
ما كان بقدر كفاية العبد فلا يعوزه ما يضره ولا يفضل عنه ما يطغيه ويليه .
قال الامام أحمد حدثنا ابن مهدي حدثنا همام عن قتادة عن خليد العصري عن
أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت شمس قط الا بعث
بجنديها ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين: يا أيها الناس هلموا
الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا آبت شمس قط الا بعث بجنديها
ملكان يناديان يسمعان أهل الارض الا الثقلين: اللهم أعط منفقاً خلفاً، واعط
مسكاً تلفاً . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن محمد بن
عبد الرحمن بن أبى لبينة عن سعد بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الحنفى . وتأمل جمعه فى
هذا الحديث بين رزق القلب والبدن، رزق الدنيا والآخرة وإخباره ان

خير الرزقين ما لم يتجاوز الحد في كفي من الذكرا خفاؤه، فان زاد على الاخفاء خيف على صاحبه الرياء والتكبر به على الغافلين، وكذلك رزق البدن اذا زاد على الكفاية خيف على صاحبه الطغيان والتكاثر. قالوا وقد غبط رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقل من الدنيا ما لم يغبط به الغنى. قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن صالح عن أبي المهلب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان أغبط أوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة، أحسن عبادة ربه وكان غامضا في الناس لا يشار اليه بالأصابع فمجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه » قال عبد الله بن أحمد سألت أبي ما تراثه قال ميراثه قالوا وحمية الله لعبده المؤمن عن الدنيا انما هو من محبته له وكرامته. قال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم ابن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان الله تبارك وتعالى يحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما تحمون مرضاكم الطعام والشراب تخافون عليهم » قالوا وقل أن يقع اعطاء الدنيا وتسعتها الاستدراجا من الله الا اكراما ومحبة لمن أعطاه. قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشد بن سعد عن حرملة بن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « اذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه وما يجب فانما هو استدراج » ثم تلى قوله تعالى « فلها نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء » الآية. قالوا ولهوان الدنيا على الله منعها أكثر أوليائه وأحبابه. قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من امتي من لو أتى باب أحدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه، ولو سأله فلسا لم يعطه اياه، ولو سأل الله تعالى الجنة لا أعطاه اياه ولو سأله الدنيا لم يعطها اياه وما يمنعها اياه لهوانه عليه ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » وهذا يدل على انه انما يمنعه اياها لهوانها عليه لا لهوانه هو عليه ولهذا يعطيه أفضل منها وأجل، فان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب

ولا يعطى الآخرة الا من يحب. قالوا وقد أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم
أن أقربهم منه مجلساً ذووا التقلل من الدنيا الذين لم يستكثروا منها. قال الامام
أحمد حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا محمد بن عمرو قال سمعت عراك بن مالك
يقول قال أبو ذر: انى لا أقربكم مجلساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم القيامة وذلك انى سمعته يقول « إن أقربكم منى مجلساً يوم القيامة من
خرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها » وانه والله ما منكم من أحد الا وقد تشبث
منها بشئ غيرى. قالوا وقد غبط النبي صلى الله عليه وسلم من كان عيشه
كفافاً وأخبر بفلاحه. قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة
قال أخبرنى أبو هانىء ان أبا على الحبشى أخبره انه سمع فضالة بن عبيد يقول
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « طوبى لمن هدى الى الاسلام
وكان عيشه كفافاً وقع » وذكر أيضاً من حديث عبد الله بن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال « قد افلح من اسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما
آتاه » قالوا ولو لم يكن فى التقلل الا خفة الحساب لكفى به فضلاً على الغنى.
قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم قال
حدثنى بشر بن الحارث حدثنا عيسى بن يونس عن هشام عن الحسن قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يحاسب بهن العبد: ظل خص يستظل
به، وكسرة يشد بها صلبه، وثوب يوارى عورته » وقال الامام أحمد حدثنا
سيار حدثنا جعفر حدثنا ليث عن أبي عثمان قال: لما افتتح المسلمون
جوجى دخلوا يمشون فيها واكداس الطعام فيها أمثال الجبال وكان رجل
يمشى الى جنب سلمان فقال « يا أبا عبد الله ألا ترى الى ما فتح الله علينا، ألا ترى
الى ما أعطانا الله » فقال سلمان « وما يعجبك بما ترى الى جنب كل حبة مما ترى
حساب » قالوا وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه أنهم يوم فقرهم
وفاقتهم خير منهم يوم غناهم وبسط الدين عليهم. قال الامام أحمد حدثنا
عبد الصمد حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم
« يا أهل الصفة كيف أنتم » قالوا « نحن بخير » قال « أنتم اليوم خير أم يوم

تغدوا على أحدكم جفنة وتروح أخرى ويغدو في حلة و يروح في أخرى
وتسترون بيوتكم مثل أستار الكعبة، قالوا يا نبي الله نحن يومئذ خير يعطينا
ربنا تبارك وتعالى فاشكر» قال « بل أنتم اليوم خير» فهذا صريح في أنهم
في وقت صبرهم على فقرهم خير منهم في وقت غناهم مع الشكر. وقال
عبد الله بن أحمد حدثنا ابن ذر حدثنا حفص ابن غياث عن داود بن أبي هند
عن أبي حرب بن أبي الأسود بن طلحة البصرى قال: قدمت المدينة ولم يكن
لي بها معرفة فكان يجرى علينا مد من تمر بين اثنين، فصلى بنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلاة فتهتف به هاتف من خلفه فقال « يا رسول الله قد حرق
بطرنا الثمر وعزفت عنا الكنف» فخطب فحمد الله وأثنى عليه وقال « والله
لو أجد لكم اللحم والخبز لأطعمتكموه. وليأتين عليكم زمان تغدوا على أحدكم
الجفان وتراح. ولتلبس بيوتكم مثل أستار الكعبة» قالوا « يا رسول الله نحن
اليوم خير منا أو يومئذ قال « بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ، أنتم اليوم خير
منكم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض» قال الامام أحمد وحدثنا عبد الوهاب
عن سعيد عن قتادة قال ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم دخل على
أهل الصفة فذكر نحوه. قالوا ولولم يكن في الغنى والمال الا انه فتنه
وقل من سلم من اصابتهاله وتأثيرها في دينه كما قال تعالى «انما اموالكم واولادكم فتنه»
وفي الترمذي من حديث كعب بن عياض قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « ان لكل أمة فتنه وفتنة أمتي المال» قال هذا حديث حسن
صحيح. قالوا والمال يدعو الى النار والفقر يدعو الى الجنة. قال الامام احمد حدثنا
يزيد حدثنا أبو الأشهب حدثنا سعيد بن أيمن مولى كعب بن سور قال بيننا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحرث أصحابه اذا جاء رجل من الفقراء فجلس
إلى جنب رجل من الأغنياء فكأنه قبض من ثيابه عنه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم « أخشيت يا فلان أن يغدو غناك عليه أو يغدو فقره عليك
قال: يا رسول الله وشر الغنى قال نعم» ان غناك يدعوك الى النار وان فقره
يدعوه الى الجنة» قال فما ينجيني منه، قال « تراسيه» قال « اذن افعل» فقال
الآخر لا أرب لي فيه، قال « فاستغفر وادع لأخيك» قالوا وحق الغنى

أعظم من أن يقوم العبد بشكره وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث
عثمان بن عفان رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ليس لابن آدم
حق فى سوى هذه الخصال : «بيت يسكنه، وثوب يوارى به عورته، وجاف
الخبز والماء (١) قال هذا حديث حسن صحيح. وفى صحيح مسلم عن أبى أمامة
رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن آدم انك
ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف وابدأ بمن
تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى، وفى صحيحه أيضا من حديث أبى نضرة
عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : بينما نحن فى سفر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ جاء رجل على راحلة له فجعل يضرب يمينا وشمالا. فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم « من كان معه فضل من ظهر فليعد به على من لا ظهر
له . ومن كان عنده فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » قال فذكر من
أصناف المال ما ذكر حتى ظننا انه لاحق لأحد من فى فضل . قالوا فهذا موضع
النظر فى تفضيل الغنى الشاكر يبذل الفضل كله. وأما غنى يمتع بأنواع الفضل
ويشكر بالواجب وبعض المستحب فكيف يفضل على فقير صابر راض عن
الله فى فقره . قالوا وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهم أئمة
الشاكرين : انه لا يخاف عليهم الفقر وانما يخاف عليهم الغنى . فى الصحيحين
من حديث عمرو بن عوف وكان شهد بدرا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعث أبا عبيدة ابن الجراح الى البحرين يأتى بجزيتها وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمى فقدم
أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الانصار يقدمون أبى عبيدة فوافوا صلاة
الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انصرف فتعرضوا له فبسم رسول الله صلى الله وسلم حين رأهم ثم قالوا
« أظنكم سمعتم أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين » فقالوا « أجل يا رسول

(١) فى النهاية الجلف الخبز لا آدم معه . وقيل الخبز الغليظ اليابس . فروى بفتح اللام جمع جلفة وهى
الكسرة من الخبز . وقال الهروى : الجلف هاهنا الظرف مثل الخرج والجوالق يريد ماترك فيه الخبز

الله « قال « أبشروا وأدملوا ما يسركم فوالله ما الفقير أخشى عليكم، وليكني أخشى
أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتدأفسوا فيها كما تنافسوها
فتهاكم كما أهلكتهم) قال الامام احمد حدثنا روح حدثنا هشام عن الحسن
قال قيل لابي ثعلبة الخشني « أين دنياكم والتي كنتم تعدون يا أصحاب محمد »
قال « لبشر الآخر بدنيا قد ظلت تأكل والله الذي لا اله الا هو الايمان كما
تأكل النار الحطب الجزل » وقال احمد حدثنا يزيد حدثنا هشام بن حسان
قال سمعت الحسن يقول « والله ما أحد من الناس بسط الله له دنياه فلم يخف
أن يكون قد مكر به فيها الا كان قد نقص علمه وعجز رأيه وما أمسكها
الله عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها الا كان قد نقص علمه وعجز رأيه »
قالوا وقد روى النبي صلى الله عليه فقير وغنى فقال عن الفقير « هذا خير
من ملء الأرض مثل هذا » وروى البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد
رضي الله عنه قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ماتقولون
في هذا » فقالوا « حرى ان يخطب ان ينكح وان يشفع ان يشفع وان قال
ان يسمع » قال ثم سكت فمر رجل من فقراء المسلمين فقال « ماتقولون في هذا »
قالوا « حرى ان يخطب أن لا ينكح وان شفع ألا يشفع وان قال أن لا يسمع
لقوله » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا خير من ملء الأرض مثل
هذا » وقد بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقراء الصابرين بما لم يبشر به
الأغنياء ففي الترمذي من حديث فضالة بن عبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا صلى بالناس يخر رجال من قامتهم في الصلاة من الخصاصة وهم
أصحاب الصفة حتى يقول الأعراب هؤلاء مجانين ، فاذا صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انصرف اليهم وقال « لو تعلمون مالكم عند الله لاحببتم
أن تزدادوا فاقة وحاجة » قال فضالة وأنا يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبشرهم بسبتهم الأغنياء الى الجنة . وقد اختلفت الروايات في مدة هذا السبق
ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر انه جاء ثلاثة نفر فقالوا « يا أبا محمد والله ما نقدر
على شيء لانفقة ولا دابة ولا متاع » فقال لهم « ما شئتم . ان شئتم رفعتم الينا
فأعطيناكم ما يسر الله لكم ، وان شئتم ذكرنا أمركم للسلطان ، وان شئتم صبرتم

فاني سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول: ان فقراء المهاجرين يسبقون
الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً قالوا نصبر ولا نسأل شيئاً « وقال الامام
احمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم
بنصف يوم وهو خمسمائة عام » قال الترمذى حديث حسن صحيح. وفي الترمذى
أيضاً من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء
المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة « وهو حديث حسن: وفيه
أيضاً من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً وهو حديث حسن
وهو موافق لحديث عبد الله بن عمر و لحديث أنس الذي في الترمذى ان المساكين
يدخلون قبل الأغنياء بأربعين خريفاً فهو لاء ثلاثة: جابر وأنس وعبد الله
ابن عمر. وقد اتفقوا على الاربعين. وهذا أبو هريرة وابو سعيد قد اتفقا على
التقدير بخمسمائة سنة، ولا تعارض بين هذه الأحاديث اذ التأخر والسبق
درجات بحسب الفقر والغنى، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة
ولا يتقيد السابق بهذا المقدار بل يزيد عليه وينقص. وقد روى ابوداود في
سننه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أول الأئمة
دخولا الى الجنة أبو بكر الصديق رضى الله عنه. ومعلوم ان المدة التي بينه وبين
اخرائه من فقراء المهاجرين لا تطول وانها أطول مدة بين دخوله وبين دخول
آخر من يدخل الجنة. وقد روى الامام احمد في مسنده من حديث عبد الله
ابن عمر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: هل تدرون أول
من يدخل الجنة قالوا الله ورسوله أعلم: قال فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم
المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، تقول الملائكة
ياربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول
عبادى لا يشركون بي شيئاً يتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره
لا يستطيع لها قضاء، فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار. وقال الامام احمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد

عن مسلم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم «التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن
 فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغنى ما شاء الله أن يحبس ثم
 أدخل الجنة فلقبه الفقير فيقول أى أخى ماذا حبسك والله لقد احتبست
 حتى خفت عليك، فيقول أى أخى انى حبست بعدك محبساً فظيلاً كرهها
 ما وصلت اليك حتى سال منى من العرق مالو ورده الف بعير كلها اكلت حمضاً
 لصدرت عنده رواء» وقال الطبرانى في معجمه حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى وعلى
 ابن سعيد الرازى قالا حدثنا على بن بهرام العطار حدثنا عبد الملك بن أبى
 كريمة عن الثورى عن محمد بن زيد عن ابى حازم عن أبى هريرة رضى الله
 عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن فقراء المؤمنين يدخلون
 الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة، فقال رجل أمنهم أنا يا رسول
 الله قال ان تغديت رجعت على عشاء واذا تعشيت يبيت معك غداء قال نعم، قال
 لست منهم، فقال أمنهم أنا يا رسول الله قال هل سمعت ما قلنا
 لهذا قال نعم، ولست كذلك قال هل تجد ثوباً ستيراً سوى ما عليك قال نعم
 قال فلست منهم، فقال آخر فقال أمنهم أنا يا رسول الله فقال هل سمعت ما قلت
 لهذين قبلك قال نعم، قال هل تجد قرصاً كلما شئت أن تستقرض قال نعم، قال
 فلست منهم، فقال آخر فقال أمنهم أنا يا رسول الله فقال هل سمعت ما قلت
 لهؤلاء قال نعم، قال تقدر أن تكتسب قال نعم، قال فلست منهم، قال فقال
 فقال أنا منهم يا رسول الله فقال هل سمعت ما قلت لهؤلاء قال نعم قال هل
 تسمى عن ربك راضياً وتصبح كذلك قال نعم، قال فانت منهم قال النبي صلى
 الله عليه وسلم «ان سادات المؤمنين فى الجنة من اذا تغدى لم يجد عشاء واذا
 تعشى لم يبيت عنده غداء، وان استقرض لم يجد قرصاً وليس له فضل كسوة
 الا ما يوارى به ما لا يجد منه بدا ولا يقدر على ان يكتسب ما يعشيه ويمسى
 عن الله راضياً ويصبح راضياً» اولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
 والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً قال الطبرانى هذا حديث
 غريب، بن حديث سفيان الثورى عن محمد بن زيد قال هو العبدى تفرد به عبد الملك

قلت محمد هذا هو العبدى وثقه قوم وضعفه آخرون. قال الدار قطنى ليس بالقوى
وقال ابو حاتم صالح الحديث. وذكره ابن حبان فى الثقة. وروى له الترمذى
وابن ماجه وفى هذه الطبقة محمد بن زيد الشامى يروى عن ابى سلمة بن عبد
الرحمن وهو متروك ونخاف ان يكون هذا هو الثورى لم ينسبه. وانما يقال هو
العبدى والله اعلم. وقال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن ابراهيم حدثنا هشام
الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن عامر العقيلى عن أبيه عن أبى هريرة رضى
الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض على أول ثلاثة يدخلون
الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار. فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد، وعبد
مملوك لم يشغله ريق الدنيا عن طاعة ربه، وفقير متعفف ذوعيال. وأما أول ثلاثة
يدخلون النار، فأمير مسلط، وذو ثروة من مال لا يؤدى حق الله فى ماله، وفقير
فخور. وروى الترمذى منه ذكر الثلاثة الذين يدخلون الجنة فقط، الواو يكفى
فى فضل الفقير ان عامة أهل الجنة الفقراء وعامة أهل النار الاغنياء. قال الامام
احمد حدثنا عبد الله بن محمد بن أبى شيبه حدثنا شريك عن أبى اسحق عن
السائب بن مالك عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطاعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت
فى النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء والنساء. وفى صحيح البخارى عن أبى
رجاء قال جاء عمران بن حصين الى امرأته من عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت حدثنا ما سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه
ليس من حديث فلم تدعه أو قال فاغضبته، فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول نظرت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، ونظرت فى
النار فرأيت أكثر أهلها النساء. وفى الصحيحين من حديث أسامة بن زيد
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تفت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها
المساكين وتفت على باب النار فاذا عامة من دخلها النساء. وفى صحيح مسلم
عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أطلع فى النار فرأى أكثر أهلها النساء
وأطلع فى الجنة فرأى أكثر أهلها الفقراء. قالوا ويكفى فى فضل الفقير أن
كل أحد يتمناه يوم القيامة من الاغنياء. قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن نمير

حدثنا اسماعيل يعنى ابن خالد عن نفييع عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يوم القيامة غنى ولا فقير
 إلا ود أن ما كان أوتى في الدنيا قوتاً. قال البخارى يتكلمون في نفييع وهذا
 اليق ما قيل فيه. قالوا وقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفضيل
 الفقراء في غير حديث، فمنها ما تقدم من حديث سهل بن سعد. وقال الامام
 احمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر رضى الله عنه
 قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر ارفع بصرك فانظر ارفع رجل تراه
 في المسجد، قال فنظرت فاذا رجل جالس عليه حلة له، قال فقلت هذا، قال فقال
 يا أبا ذر ارفع بصرك فانظر اوضع رجل تراه في المسجد قال فنظرت فاذا
 رجل ضعيف عليه أخلاق، قال فقلت هذا قال فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم: والذي نفسى بيده لهذا أفضل عند الله يوم القيامة من قراب الارض
 من هذا. قال حدثنا وكيع ووافقه زائد حدثنا الاعمش عن سليمان بن يسار
 عن خرشة بن الحر عن أبي ذر فذكره، وقال لهذا خير عند الله يوم القيامة من
 ملء الارض مثل هذا. قال الامام احمد وحدثنا أبو معاوية ووافقه يعلى قال
 حدثنا الاعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر فذكره. قالوا والذي يفصل بيننا
 في هذه المسألة ويشفي العليل إن الفقر يوفر أجر صاحبه ومنزله عند الله
 والغنى ولو شكر فان ما ناله في الدنيا بغناه يحسب عليه من ثوابه يوم القيامة
 وإن تناوله بأحل وجهه، فقليل الفضل في الدنيا ناقص من كثير الآخرة. وفي
 صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال ما من غازية تغزوا في سبيل الله فيصيبون الغنيمة الا تعجلوا ثلثي أجرهم
 من الآخرة ويبقى لهم الثلث وان لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم. وفي الصحيحين
 عن خباب بن الارث رضى الله عنه: قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم نلتهمس وجه الله فوق أجرتنا على الله فمنا من مات لم يأكل من أجره شيئاً
 منهم مصعب بن عمير رضى الله عنه قتل يوم أحد وترك بركة فكبنا اذا غطينا
 بها رأسه بدت، جلاه واذا غطينا رجليه بدأ رأسه فأمرنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ان نغطي رأسه ونجعل على رجليه شيئاً من الأذخر ومنا من

اينعت له ثمرته فهو مهدمها. وفي الصحيحين عن قيس بن أبي حازم قال دخلنا
 على خباب نعوذ وقد اکتوى سبع كيات، فقال ان أصحابنا الذين سلفوا وضوا
 ولم تنقصهم الدنيا وذكروا الحديث. وقال سعيد بن منصور حدثنا معوية عن
 الاعمش عن مجاهد عن ابن عمر رضی الله عنهما قال ما أوتي عبد من الدنيا
 شيئا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عليه كريما. وفي صحيح البخاري
 عن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال اوتى عبدالرحمن رضی الله عنه بطعام
 وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني وكفن في بردة ان غطي
 رأسه بدت رجلاه، وان غطي رجلاه بدا رأسه. وقاتل حمزة رضی الله عنه
 وهو خير مني فلم يوجد له كفن الا بردة، ثم بسطنا له من الدنيا ما بسط. أو قال
 أعطينا من الدنيا ما أعطينا. وقد خشيت أن تكون عجلت لنا طبيباتنا في حياتنا
 الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام. قال أبو سعيد بن الاعرابي وليس
 عبدالرحمن بن عوف وخباب قالا ذلك دون غيرهما. لقد قاله الا كابر من
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهوا ما فتح الله عليهم من الدنيا
 وأشفقوا منه، وعلموا أن ما اختاره الله لنبيه كان أفضل. وان ما آخروا له كان
 أنقص، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبو عبيدة وعمار بن ياسر وسلمان
 وعبدالله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين وأوهاشم بن عتبة وجماعة لم
 نذكرهم للاختصار رضی الله عنهم. فاما أبو بكر رضی الله عنه فحدثنا ابن
 ابي الدنيا حدثنا عبدالرحمن ابن ابان الطائي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث
 حدثنا عبد الواحد بن زيد حدثني سلمان عن مرة عن زيد بن أرقم رضی الله
 عنه قال: كنا مع أبي بكر الصديق رضی الله عنه فدعا بشراب فأتى بماء فغسل
 فلما أدناه من فيه بكي وبكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت، ثم عاد وبكى
 حتى ظنوا انهم لم يقدروا على مسأله قال ثم مسح عينيه، فقالوا يا خليفة رسول الله
 ما أبكك فقال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يده يدفع عن نفسه
 شيئا ولم أر معه أحدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك، قال هذه الدنيا
 مثلت لي، فقلت لها اليك عني، ثم رجعت فقالت انك ان أفلت مني فلن يفلت مني
 من يدك، وذكر ليث عن ابن سعد عن صالح بن كيسان عن حميد بن

عبد الرحمن بن عوف عن أبيه، أن أبا بكر رضى الله عنه قال فى مرضه
 الذى مات فيه: انى وليت أمركم، وانى لست بخيركم وكلكم ورم أنفه من ذلك
 أن يكون هذا الامر له، وذلك لما رأيت الدنيا قد أقبلت وأقبلت ولم تقبل حتى
 يتخذوا نضائد الحرير وستور الديباج، وحتى يآلم أحدكم من الاضطجاع على
 الصوف كما يآلم من الاضطجاع على الحسك والسعد ان ثم أتم أول ضال
 بالناس تصفقون يمينا وشمالا ما هذا الطريق اخطأت انما هو البحر أو الفجر
 والله لئن يقدم أحدكم فتضرب عنقه فى غير حد خير له من أن يخوض غمرات
 الدنيا. و ذكر محمد بن عطاء بن خباب قال: كنت جالسا مع أبى بكر فرأى
 طائرأ فقال طوبى لك يا طائرأ تأكل من هذا الشجر ثم تبعر ثم لا تكورن
 شيئا وليس عليك حساب وددت انى مكانك، فقلت له أتقول هذا وأنت
 صديق رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما عمر رضى الله عنه فانه
 لما أتى بكنوز كسرى بكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف ما الذى يبكيك
 يا أمير المؤمنين فوالله ان هذا اليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح، فقال عمر
 إن هذا لم يعطه قوم الا القى الله بينهم العداوة والبغضاء. ودخل عليه أبو سنان
 الدولى وعنده نفر من المهاجرين فأرسل عمر الى سفيط اتي به من قلعة بالعراق
 وكان فيه خاتم فأخذه بعض ولده فادخله فى فيه فانتزعه عمر منه ثم بكى، فقال
 له من عنده لم تبكى وقد فتح الله لك وأظهرك وأقر عينك، فقال
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تفتح الدنيا على أحد الا القى
 الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وانا مشفق من ذلك. قال
 ابو سعيد وجدت فى كتاب بخط يدي عن ابى داود قال « حدثنا محمد بن
 عبيد حدثنا احمد حدثنا يونس عن الحسن ان عمر بن الخطاب رضى الله
 عنه أتى بقلنسوة بغزوة كسرى بين يديه وفى القوم سراقه بن مالك فالقى
 اليه سوارى كسرى فجعلهما فى يديه فبلغا منكبيه. فلما رأهما فى يد سراقه
 قال الحمد لله سرارا كسرى بن هرمز فى يد سراقه بن مالك بن جعشم اعرابى
 من بنى مدلج ثم قال « اللهم قد علمت ان رسولك قد كان يجب أن يصيب
 مالا فينقله فى سبيلك و على عبادك فزويت ذلك عنه نظرا منك له واختيار

اللهم انى أعوذ بك أن يكون هذا مكر منك بعمره ثم قال « أيجسبون انما
 نمدهم به من مال وبنين نساوع لهم في الخيرات بل يشعرون » والمقصود ان
 سعة الدنيا وبسطها تعجيل من أجل الآخرة وتضييق من سعتها. قال عبد الرزاق
 انبأنا معمر عن الزهري عن ابن أبي صغيرة عن جابر بن عبد الله رضى الله
 عنهما قال: لما كان يوم أحد أشرف النبي صلى الله عليه وسلم على الشهداء
 الذين قتلوا يومئذ فقال انى شهيد على هؤلاء فزملوهم بدمائهم. قال معمر
 وأخبره فى من سمع الحسن يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء قد
 مضوا وقد شهدت عليهم لم يأكلوا من أجورهم شيئا، وانكم قد أكلتم من
 أجوركم وانى لا أدرى ما تحدثون بعدى. وقال ابن المبارك أخبرنا جرير بن
 حازم قال: سمعت الحسن يقول خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه
 الى بقيع الغرقد فقال السلام عليكم يا أهل القبور لو تعلمون ما نجاكم الله منه
 مما هو كائن بعدكم، ثم أقبل على أصحابه فقال هؤلاء خير منكم، فقالوا يا رسول
 الله إخواننا، اسلمنا كما أسلموا، وهاجرنا كما هاجروا، وجاهدنا كما جاهدوا، واتوا
 على آجالهم فمضوا فيها، وبقينا فى آجالنا فما يجعلهم خيرا منا فقال ان هؤلاء
 خرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجورهم شيئا وخرجوا وأنا شهيد عليهم
 وأنتم قد أكلتم من أجوركم ولا أدرى ما تحدثون بعدى. قال فلما سمعها القوم
 والله عقلوها وانتفعوا بها فقالوا وانا لمحاسبون بما أصبنا من الدنيا بعدهم وانه
 لمنتقص به من أجورنا، فأكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا. وقال
 عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي هذا الحديث حدثنا أسود بن عامر حدثنا
 اسراييل عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قال ما أعطى رجل من الدنيا
 الا نقص من درجته، قالوا وقد صرح سادات الاغبياء بانهم ابتلوا بالضراء
 فصبروا. وابتلوا بالسراء فلم يصبروا، قال ذلك عبد الرحمن وغيره وكان
 هذا مصداقا لما رواه مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: لأننا من فتنه السراء أخوف عليكم من فتنه الضراء، انكم ابتليتم
 بالضراء فصبرتم، وان الدنيا حلوة خضرة، قالوا وهاهنا قضيتان صادقتان
 بهما يتبين الفضل: إحداهما أن الاكثرين هم الاقلون وقد تقدم الدليل

عليها بما فيه الكفاية. وأما الثانية ففي الصحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال خرجت ليلة من الليالي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى وحده ليس معه انسان قال فظننت انه يكره أن يمشى معه أحد فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال من هذا قلت ابو ذر جعلني الله فداك، قال يا أبا ذر تعال فمشيت معه ساعة فقال ان المكثرين هم المقلون يوم القيمة إلا من اعطاه الله خيراً فنفتح فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً وذكر الحديث. قالوا ولو كان الغنى أفضل من الفقر لما حض الله رسوله على الزهد في الدنيا والاعراض عنها وضم الحرص عليها والرغبة فيها بل كان ينبغي أن يحض عليها وعلى اكتسابها والاكثر منها كما حض على اكتساب الفضائل التي بها يكال العبد من العلم والعمل فلما حض على الزهد فيها والتقليل دل على ان الزاهدين فيها المتقللين منها أفضل الطائفتين. وقد أخبر انها لو ساوت عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء، وانها أهون على الله من السخلة الميتة على أهلها وان مثلها في الآخرة كمثل ما يعلق باصبع من ادخل أصبعه في البحر وانها ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم وانها سجن المؤمنين وجنة الكافرين وأمر العبد أن يكون فيها كأنه غريب أو عابر سبيل ويعد نفسه من أهل القبور. واذا أصبح فلا ينتظر المساء واذا أمسى فلا ينتظر الصباح. ونهى عن اتخاذ ما يرغب فيها ولعن عبد الدينار وعبد الدرهم ودعا عليه بالتعس والانتكاس وعدم اقالة العثرة بالانتكاس. واخبر انها خضرة حلوة أي تاخذ العيون بخضرتها والقلوب بحلاوتها. وامر بالتقائها والحذر منها كما يتقى النساء ويحذر منهن، وأخبر أن الحرص عليها وعلى الرياسة والشرف يفسد الدين كافساد الذئبين الضاربين اذا أرسلوا في زريبة غنم أو أشد افساداً. واخبر انه في الدنيا كراكب استظل تحت شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها وهذه في الحقيقة حال سكان الدنيا كلهم، ولكن هو صلى الله عليه وسلم شهد هذه الحال وعمى عنها بنو الدنيا ومر بهم وهم يعالجون خصاً لهم قد وهى فتال ما أرى الامر الا اعجل من ذلك وأمر بستر على بابه فبزغ، وقال انه يذكرك في الدنيا واعلم الناس انه ليس لاحد منهم حق في سوى بيت يسكنه، وثوب يوارى عورته. وقوت يقيم صلبه. وأخبر ان الميت يتبعه أهله

وماله وعمله، فيرجع أهله وواله ويبقى عمله. وأخبر أن للمتخوض فيما شاءت
 نفسه من مال الله بغير حق النار يوم القيامة. وأقسم أنه لا يخاف الفقر على
 أصحابه وإنما يخاف عليهم الدنيا وتنافسهم فيها والهاأها لهم، وأخبر أنه ليس لابن
 آدم من ماله إلا ما أكل فافنى، أو لبس فأبلى، أو تصدق فامضى. وأخبر أن
 حسب ابن آدم من الدنيا لقيمت يقمن صلبه فإن لم يقتصر عليها فثلك بطنه
 لطعامه وثلثه لشرا به، وثلثه لنفسه. وفي هذا الحديث الإرشاد إلى صحة القلب
 والبدن والدين والدنيا. وأخبر أن غنى العبد فيها غنى نفسه لا كثرة عرضه وسأل الله
 أن يجعل رزقه فيها اقربا، وغبط من كان رزقه فيها كفا فابعدان هدى للإسلام وأخبر
 أن من كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وشنت عليه شمله ولم يأت منها إلا ما كتب
 له وعرض عليه ربه أن يجعل له بطحاء مكة ذهباً، فقال لا يارب ولكن أشبع يوماً
 وأجوع يوماً، فإذا جمعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك
 وشكرتك. وأعلمهم أن من أصبح منهم آمناً في سر به معافى في جسده
 عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا. وأخبر أن بذل العبد ما فضل
 عن حاجته خير له، وامسأكه شر له. وأنه لا يلام على الكفاف. ونهى أمته
 أن ينظر أحدهم إلى من هو فوقه في الدنيا وأمره أن ينظر إلى من هو
 دونه في الدنيا. وأخبر أنه لم يبق من الدنيا إلا بلاء وفتنة وضر، مثلها
 مثل ما يخرج من ابن آدم عند خلائه وان كان أوله طيباً لذيداً فهذا آخره
 وأخبر أن عباد الله ليسوا بالمتنعمين فيها فإن أمامهم دار النعيم فهم
 لا يرضون بنعيمهم في الدنيا عوضاً من ذلك النعيم. وأخبر أن نجات أول هذه
 الأمة بزهد واليقين. وهلكة آخرها بالبخل وطول الأمل. وكان يقول
 لبيك لا عيش إلا عيش الآخرة. وأخبر أنه تعالى إذا أحب عبدا حماه الدنيا
 كما يحمي الإنسان مريضه من الطعام والشراب. ودخل على عثمان بن مظعون
 وهو في الموت فأكب عليه يقبله ويقول: رحمك الله يا عثمان ما أصبت من
 الدنيا ولا أصابت منك فغبطه بذلك. وكان يقول الزهد في الدنيا يريح القلب
 والبدن، والرغبة في الدنيا تطيل الهموم والحزن. وكان يقول من جعل الهموم
 كلها واحداً كفاه الله سائر همومه. ومن تشعبت به الهموم في أحوال

الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك. وأخبرانه يؤتى يوم القيامة بأنعم الناس
 فيقول يا ابن آدم هل أصبت نعيما قط، هل رأيت قرّة عين قط، هل أصبت
 سرورا قط، فيقول لا وعزتك ثم يقول رددوه إلى النار، ثم يؤتى بأشد الناس
 بلاء في الدنيا وأجهده جهدا، فيقول تبارك وتعالى اصبغوه في الجنة
 صبغة فيصبغ فيها، ثم يؤتى به فيقول يا ابن آدم هل رأيت ما تكره قط
 فيقول لا وعزتك ما رأيت شيئا قط أكرهه. وفي حديث مناجاة موسى
 الذي رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم
 ابن معقل حدثنا عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه قد كره
 وفيه ولا تعجبكما زينته ولا مامتع به ولا تمدان إلى ذلك أعينكما فانها زهرة
 الحياة الدنيا وزينة المترفين، واني لو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة يعلم
 فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتها، فعلت، ولكني
 أرغب بكما عن نعيمها ذلك وأوزيه عنكما، وكذلك أفعّل بأوليائي وقديما
 ما خرت لهم في ذلك فاني لأزودهم عن نعيمها ورخائها كما يزود الراعي
 الشفيق غنمه عن مراعى الهلكة، واني لأجنبهم سلوتها وعيشها كما يجنب
 الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة وما ذلك لهُو انهم على ولكن ليستكملوا
 نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ولم يطغّه الهوى. واعلم
 انه لم يترين لى العباد بزينة هي أبلغ من الزهد في الدنيا فانها زينة المتقين
 عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، سيماهم في وجوههم من
 أثر السجود أولئك أوليائي حقا، فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذل
 لهم قلبك ولسانك وذكر الحديث. وقال أحمد حدثنا عون بن جابر قال
 سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال: قال الحواريون يا عيسى: من
 أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال الذين نظروا إلى باطن
 الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها، والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين
 نظر الناس إلى عاجلها فأمانوا منها ما يخشون أن يميتهم وتركوا ما علموا
 أن سيترهم فصار استكثارهم منها استقلالاً. وذكرهم أياها فواتا وفرحهم
 بما أصابوا منها حزنا، فما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفضها

بغير الحق وضعوه، خلفت الدنيا عندهم فليسوا يحدونها، وخربت بينهم
 فليسوا يعمرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها، يهدمونها فينبون
 بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها فكانوا بها هم
 الفرحين. ونظروا الى أهلها صرعى قد حلت بهم المثلاث فأحيوا ذكر الموت
 وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون
 به، لهم خبر عجيب، وعندهم الخبر العجيب، بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم
 نطق الكتاب وبه نطقوا، وبهم علم الكتاب وبه عملوا، ليسوا يرون نائلاً
 مع ما نلوا، ولا اماناً دون ما يرجون، ولا خوفادون ما يحذرون. وحدثنا روح
 حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قيل لعيسى بن مريم يا رسول الله
 لو اتخذت حمراً تركبه لحاجتك قال أنا أكرم على الله من أن يجعل لي
 شيئاً يشغاني به، وقال اجعلوا كنوزكم في السماء، فان قلب المرء عند كنزه،
 وقال اتقوا فضول الدنيا فان فضول الدنيا عند الله رجز، وقال يابني اسرائيل
 اجعلوا بيوتكم كمنازل الأضياف فما لكم في العالم من منزل ان أنتم إلا عابري
 سبيل. وقال يامعشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موج البحر داراً
 قالوا ياروح الله من يقدر على ذلك؟ قال إياكم والدنيا فلا تتخذوها قراراً. وقال
 أكل خبز البر، وشرب ماء عذب، ونوم على المزابل مع الكلاب كثير لمن يريد
 أن يرث الفردوس. قال أحمد وحدثنا بهز عن الأعمش عن خيشمة قال: قال
 المسيح بشدة ما يدخل الغنى الجنة. وقال المسيح: حلاوة الدنيا مرارة
 الآخرة، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة. وقال يابني اسرائيل تهاونوا بالدنيا تهن
 عليكم، وأهينوا الدنيا تكرم عليكم الآخرة ولا تكرموا الدنيا تهن عليكم
 الآخرة. فان الدنيا ليست بأهل الكرامة وكل يوم تدعو الى الفتنة والحسارة. وقال
 اسحق بن هاني في مسائله قال ابو عبد الله وانا أخرج من داره قال الحسن اهينوا
 الدنيا فوالله لأهناً ما تكون حين تهان. وقال الحسن والله ما ابالي شرقت أم غربت
 قال وقال لي أبو عبد الله يا اسحق ما أهون الدنيا على الله عز وجل. وقال الدنيا
 قليلاً يجزى وكثيرها لا يجزى. قالوا وقد تواتر عن السلف أن حب الدنيا رأس
 الخطايا وأصلها. وقد روى فيه حديث مرفوع لا يثبت، ولكنه يروى عن المسيح

قال عبد الله بن احمد حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام
حدثني ابي عن بديل بن ميسرة قال حدثني جعفر بن خرفاش ان عيسى
ابن مريم عليه السلام قال: رأس الخطيئة حب الدنيا، والنساء حباثة الشيطان
والخمر جماع كل شر. وقال الامام احمد حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري
عن سفيان قال: كان عيسى بن مريم يقول: حب الدنيا أصل كل خطيئة،
والمال فيه داء كثير. قالوا: وما دأؤه؟ قال: لا يسلم من الفخر والخيلاء، قالوا
فان سلم؟ قال: يشغله اصلاحه عن ذكر الله عز وجل قالوا وذلك معلوم
بالتجربة والمشاهدة فان حبها يدعو إلى خطيئة ظاهرة وباطنة، ولا سيما
خطيئة يتوقف تحصيلها عليها فيسكر عاشقها حبها عن علمه بتلك الخطيئة
وقبحها وعن كراهتها واجتنابها. وحبها يوقع في الشبهات ثم في المكر وهات
ثم في المحرمات وطال ما أوقع في الكفر، بل جميع الأمم المكذبة
لأنبيائهم انما حملهم على كفرهم وهلاكهم حب الدنيا، فان الرسل لما نهوهم
عن الشرك والمعاصي التي كانوا يكسبون بها الدنيا حملهم حبها على مخالفتهم
وتكذيبهم فكل خطيئة في العالم أصلها حب الدنيا ولا تنس خطيئة
الايون قديما، فانما كان سببها حب الخلود في الدنيا، ولا تنس ذنب ابليس
وسببه حب الرياسة التي محبتها شر من محبة الدنيا وسببها كفر فرعون
وهامان وجنودهما وأبو جهل وقومه واليهود، فحب الدنيا والرياسة هو الذي
عمر النار بأهلها، والزهد في الدنيا والرياسة هو الذي عمر الجنة بأهلها
والسكر بحب الدنيا أعظم من السكر بشرب الخمر بكثير. وضاحب هذا
السكر لا يفيق منه الا في ظلمة اللحد. ولو انكشف عنه غطاؤه في الدنيا
لعلم ما كان فيه من السكر وانه أشد من سكر الخمر. والدنيا تسحر العقول
أعظم سحر. قال الامام احمد حدثنا سيار حدثنا جعفر قال. سمعت مالك
ابن دينار يقول: اتقوا السحارة اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء.
وقال يحيى بن معاذ الرازي: الدنيا نمر الشيطان من سكر منها فلا يفيق.
إلا في عسكر الموتى نادماً بين الخاسرين. وأقل ما في حبها أنه يلهي عن حب الله
وذكره ومن ألهاه ماله عن ذكر الله فهو من الخاسرين. واذا لها القلب عن ذكر

الله سكنه الشيطان وصرفه حيث أراد. ومن فقهه في الشر انه يرضيه ببعض
أعمال الخير ليريه انه يفعل فيها الخير وقد تعبد لها قلبه فأين يقع ما يفعله من
البر مع تعبد لها، وقد لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا عليه فقال: لعن
عبد الدينار والدرهم وقال تعس عبد الدينار تعس عبدالدرهم: إن أعطى رضى
وإن منع سخط، وهذا تفسير منه صلى الله عليه وسلم وبيان لعبوديتها وقد
عرضت الدنيا على النبي صلى الله عليه وسلم بخذافيرها وتعرضت له فدفع في صدرها
باليدين وردّها على عتبها، ثم عرضت بعمده على أصحابه وتعرضت لهم فمنهم من
سلك سبيله ودفعها عنه وهم القليل، ومنهم من استعرضها وقال ما فيك قالت في
الحلال والشبهة والمكروه والحرام فقالوا هاتى حلالك ولا حاجة لنا فيما عداه
فأخذوا حلالها، ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا احلالها فلم يجدوه، فطلبوا مكروها
وشبهها، فقالت قد أخذته من قبلكم، فقالوا هاتى حرامك فأخذوه، فطلبوا من بعدهم
فقاتلوا في أيدي الظلمة، قد استأثروا به عليكم فتحيروا على تحصيله منهم بالرغبة
والرهبة، فلا يمد فاجر يده الى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى قد
سبقه اليه هذا وكلهم ضيوف وما بأيديهم عارية كما قال ابن مسعود رضى الله
عنه: ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيف وماله عارية، فالضيف مرتل والعارية
مؤداة، قالوا وإنما كان حب الدنيا رأس الخطايا ومفسداً للدين من وجوه: أحدها
ان حبها يقتضى تعظيمها وهي حقيرة عند الله ومن أكبر الذنوب تعظيم ما حقر الله.
وثانيها ان الله لعنها ومقتها وأبغضها الا ما كان له فيها، ومن أحب ما لعنه الله ومقته
وأبغضه فقد تعرض للفتنة ومقته وغضبه، وثالثها انه اذا أحبها صيرها غاية
وتوسل اليها بالاعمال التي جعلها الله وسائل اليه والى الدار الآخرة فعكس
الأمر وقلب الحكمة فانكس قلبه وانعكس سيره الى وراء. فهاهنا أمران: أحدهما
جعل الوسيلة غاية. والثاني التوسل بأعمال الآخرة إلى الدنيا وهذا شر معكوس
من كل وجه، وقلب منكوس غاية الاتكاس وهذا هو الذى انطبق عليه حذو
القذة بالقذة قوله تعالى (من كان يريد الحياة وزيتها نوف اليهم أعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون، أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون) وقوله تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها

ما نشاء لمن نريد، ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحًا، را. وقوله تعالى «من كان يريد
 حرث الآخرة نزدله في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤتته منها وما له في الآخرة
 من نصيب» فهذه ثلاث آيات يشبه بعضها بعضها وتدل على معنى واحد
 وهو أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة فخطه ما أراد
 وهو نصيبه ليس له نصيب غيره، والاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم مطابقة لذلك مفسرة له كحديث أبي هريرة رضي الله عنه في
 الثلاثين الذين هم أول من تسعر بهم النار. الغازي والمتصدق والقاريء الذين
 أرادوا بذلك الدنيا والنصيب وهو في صحيح مسلم. وفي سنن النسائي عن
 أبي أمامة رضي الله عنه: قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 يا رسول الله رجل غزا يلتمس الاجر والذكر ماله: فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا شيء له، فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لا شيء له، ثم قال ان الله تعالى لا يقبل الا ما كان خالصا وابتغى
 به وجهه، فهذا قد بطل أجره وحبط عمله مع انه قصد حصول الأجر لما ضم
 اليه قصد الذكر بين الناس فلم يخلص عمله لله فبطل كله. وفي مسند الامام
 احمد عن أبي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يريد الجهاد في سبيل
 الله وهو يتبعني عرض الدنيا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له
 فأعظم الناس ذلك، وقالوا للرجل عد لرسول الله صلى الله عليه وسلم لعله لم
 يفهم، فعاد فقال يا رسول الله الرجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يتبعني عرض
 الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له، ثم أعاد الثالثة فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له. وفي المسند أيضا وسنن النسائي عن
 عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 من غزا في سبيل الله عز وجل وهو لا ينوي في غزائه الا عقلا فله ما نوى. وفي
 المسند والسنن عن يعلى بن منبه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يبعثني في سرايا فبعثني ذات يوم في سرية وكان رجلا يركب بغلا فقلت له
 ارحل، فان النبي صلى الله عليه وسلم قد بعثني في سرية، فقال ما أنا بخارج معك
 حتى تجعل لي ثلاثة دنانير ففعلت، فلما رجعت من غزائي ذكرت ذلك لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس له من غزائه هذه

ومن دنياه وآخرته الا ثلاثة دنائير . وفي سنن أبي داود أن عبد الله بن عمر
رضي الله عنه قال: يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو فقال يا عبد الله
ابن عمر ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا ، وان قاتلت مرأيا
مكاثرا بعثك الله مرأيا مكاثرا، يا عبد الله بن عمر على أي حال قاتلت أو قتلت
بعثك الله على تلك الحال. وفي المسند والسنن عن أبي أيوب رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستفتح عليكم الامصار وتضربون
فيها بعوثا فيكره الرجل منكم البعث فيخلص من قومه ويعرض نفسه
على القبائل يقول من اكفيه بعث كذا وكذا الاو ذلك الاجير الى آخر قطرة
من دمه فانظر محبة الدنيا ماذا حرمت هذا المجاهد من المجاهدين من الاجر
وأفسدت عليه عمله وجعلته أول الداخلين الى النار

فصل

ورابعها ان محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ما يعود عليه نفعه
في الآخرة لاشتغاله عنه بمحبوبه . والناس هاهنا مراتب فمنهم من يشغله
محبوبه عن الايمان وشرائعه . ومنهم من يشغله عن الواجبات التي تجب
عليه لله ولخالقه فلا يقوم بها ظاهراً ولا باطناً ، ومنهم من يشغله حبها
عن كثير من الواجبات ، ومنهم من يشغله عن واجب يعارض تحصيلها
وان قام بغيره ، ومنهم من يشغله عن القيام بالواجب في الوقت الذي ينبغي
على الوجه الذي ينبغي ، فيفترط في وقته وفي حقوقه ، ومنهم من يشغله عن
عبودية قلبه في الواجب وتفريغه لله عند ادائه فيؤديه ظاهراً لا باطناً
وأين هذا من عشاق الدنيا ومحبيها هذا من أندرهم . وأقل درجات حبها أن
يشغل عن سعادة العبد وهو تفريغ القلب لحب الله ولسانه لذكركه وجمع
قلبه على لسانه وجمع لسانه وقلبه على ، ربه فعشقتها ومحبتها تضر بالآخرة
ولابد ، كما أن محبة الآخرة تضر بالدنيا وفي هذا حديث قد روى

مرفوعا : من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه
فأثروا ما يبقى على ما يفنى

فصل

وخامسها أن محبتها تجعلها أكبرهم العبد. وقد روى الترمذى من حديث
أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كانت
الآخرة أكبرهمه جعل الله غناه فى قلبه وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهى راعمة
ومن كانت الدنيا أكبرهمه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ، ولم يأتته
من الدنيا الا ما قدر له

فصل

وسادسها ان محبها أشد الناس عذابا بها وهو معذب فى دوره اثلاث يعذب
فى الدنيا بتحصيلها والسعى فيها ومنازعة أهلها ، وفى دار البرزخ بفواتها والحسرة
عليها ، وكونه قد حيل بينه وبين محبوبه على وجه لا يرجو اجتماعه به أبدا ، ولم
يحصل له هناك محبوب يعوضه عنه ، فهذا أشد الناس عذابا فى قبره ، يعمل لهم
والغم والحزن والحسرة فى روحه ماتعمل الديدان وهوام الارض فى جسمه
كما قال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل
عن وهب بن منبه أن حزقيل كان فيمن سبي بختنصر فذكر عنه حديثا طويلا
وفى آخره ، قال فيينا أنا نائم على شط الفرات اذ اتانى ملك فأخذ برأسى فاحتلمنى
حتى وضعتى بقاع من الارض ، قد كانت معركة قال واذ فيه عشرة آلاف قتيل
قد بددت الطير والسباع لحومهم وفرقت أوصالهم . قال لى ان قوما يزعمون
ان من مات منهم أو قتل فقد انفلت منى وذهبت عنه قدرتى فادعهم . قال
حزقيل فدعوتهم فاذا كل عظم قد أقبل الى مفصله الذى انقطع منه . ما الرجل
بصاحبه بأعرف من العظم بمفصله الذى فارق حتى أم بعضها بعظام نبت
عليها اللحم ثم نبتت عليها العروق ثم انبسطت الجلود وأنا أنظر الى ذلك ، ثم قال
ادع ارواحهم قال فدعوتها ، فاذا كل روح قد أقبل الى جسده الذى فارق فلما

جلسوا سألتهم فيما كنتم قالوا انا لما متنا وفارقنا الحياة لقينا ملك فقال ، هلوا
 أعمالكم وخذوا أجوركم كذلك سنتنا فيكم وفيمن كان قبلكم وفيمن هو كائن
 بعدكم. قال فنظر في أعمالنا فوجدنا نعبد الاوثان فسلط الدود على اجسادنا وجعلت
 الارواح تألمه ، وسلط الغم على ارواحنا وجعلت اجسادنا تألمه ، فلم نزل
 كذلك نعذب حتى دعوتنا ولا يسترىح عاشق الدنيا . فقولهم كنا نعبد الاوثان
 فسيان عبادة الاثمان وعبادة الاوثان. تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم. والمقصود
 ان محب الدنيا يعذب في قبره و يعذب يوم لقاء ربه قال تعالى : « فلا تعجبك
 أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم
 وهم كافرون » . قال بعض السلف يعذبهم بجمعها وتزهق أنفسهم بجمعها وهم
 كافرون بمنع حق الله فيها

فصل

وسابعا ان عاشقها ومحبا الذي يورثها على الآخرة من أسفه الخلق
 وأقلهم عقلا ، اذ آثر الخيال على الحقيقة ، والمنام على اليقظة ، والظل الزائل على
 النعيم الدائم ، والدار الفانية على الدار الباقية ، وباع حياة الابد في ارغد عيش
 بحياة انما هي احلام نرم او كظل زائل، ان اللبيب بمثلها لا يخذع، كما نزل اعرابي
 بقوم فقدموا له طعاما فأكل ثم قام الى ظل خيمة فنام فاقبلوا الخيمة
 فأصابته الشمس فانتبه وهو يقول

وان امرؤ دنياه اكبر همه لمستمسك منها بجبل غرور

وكان بعض السلف يتمثل بهذا البيت :

يا اهل لذات دنيا لابقاء لها ان اغترارا بظل زائل حمق

قال يونس بن عبد الأعلى ماشبهت الدنيا الا كرجل نام فرأى في منامه

ما يكره وما يحب فبينما هو كذلك انتبه . وقال ابن ابى الدنيا حدثني أبو علي

الطائي حدثنا عبد الرحمن البخاري عن ليث قال: رأى عيسى بن مريم الدنيا في

صورة عجوز عايتها من كل زينة ، فقال كم تزوجتي ، قالت لا أحصيهم ، قال

فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك، قالت بل كلهم قتلته، فقال عيسى بؤساً لأزواجك
الباقيين كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين تهلكينهم واحداً واحداً ولا يكونوا
منك على حذر

أرى أشقياء الناس لا يسأمونها على انهم فيها عرأة وجوع
أراها وان كانت تحب فأنها سحابة صيف عن قليل تقشع
أشبه الأشياء بالدنيا الظل نحسب له حقيقة ثابتة وهو في تقلص وانقباض
فتتبعه لتدركه فلا تلحقه. وأشبه الأشياء بها السراب يحسبه الظمآن ماء حتى
إذا جاءه لم يجد شيئاً وجد الله عنده فرفاه حسابه والله سريع الحساب. وأشبه
الأشياء بها المنام يرى فيه العبد ما يحب وما يكره فإذا استيقظ علم ان ذلك
لاحقيقة له. وأشبه الأشياء بها عجوز شوهاء قبيحة المنظر والمخبر، غدارة
بالأزواج تزينت للخطاب بكل زينة وسترت كل قبيح فاغتر بها من لم يجاوز
بصره ظاهرها فطاب النكاح، فقالت لامهر الا نقد الأخرة فاننا ضرتان
واجتماعنا غير مأذون فيه ولا مستباح، فآثر الخطاب العاجلة وقالوا ما على من
واصل حبيبته من جناح، فلها كشف قناعها وحل أزارها اذا كل آفة وبلية، فمنهم
من طلق واستراح، ومنهم من اختار المقام فما استتمت ليلة عرسه الا بالعويل
والصياح تالله لقد أذن مؤذنها على رؤوس الخلائق بحى على خير الفلاح، فقام
المجتهدون والمصلون لها فواصلوا في طلبها الغدو بالرواح وسروا ليلهم فلم يحمدهم
القوم السرى، عند الصباح طاروا في صيدها فمأرجع أحد منهم الا وهو مكسور
الجناح، فوقعوا في شبكتها فأسلمتهم للذباح. قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن
علي بن شقيق حدثنا ابراهيم بن الأشعث قال سمعت الفضيل بن عياض قال: قال
ابن عباس رضى الله عنهما يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة هجوز شمطاء
زرقاء أنيابها بادية مشوه خلقها، فتشرف على الخلائق فيقال أتعرفون هذه
فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها بها
تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتتم ثم يقذف بها في جهنم
فتنادى يارب ابن اتباعى وأشياعى فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها

واشياعها . قال ابن أبي الدنيا وحدثنا اسحق بن اسماعيل حدثنا روح بن عبادة
 حدثنا عوف عن أبي العلاء قال : رأيت في النوم عجوزاً كبيرة عليها من كل
 زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون اليها ، فحُت فنظرت فتعجبت
 من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها و يلك من انت قالت أما تعرفني ، قلت
 لا ، قالت أنا الدنيا قال قلت اعوذ بالله من شرك ، قالت فان احببت ان تعاذ من
 شري فابغض الدرهم . قال ابن أبي الدنيا وحدثني ابراهيم بن سعيد الجوهري
 حدثنا سفيان ابن عيينة قال : قال لي ابو بكر بن عياش رأيت الدنيا في النوم
 عجوزاً مشوهة شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها و يصفقون ويرقصون
 فلما كانت بجذائي أقبلت علي فقالت لو نظرت بك صنعت بك ما صنعت
 بهؤلاء ثم بكى بكر . قال وحدثنا محمد بن علي حدثنا ابراهيم بن الاشعث قال سمعت
 الفضيل قال بلغني ان رجلاً عرج بروحه قال : فاذا امرأة على قارعة الطريق
 عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا هي لا يمر بها أحد الا جرحتة ، واذا هي
 ادبرت كانت أحسن شيء رآه الناس ، واذا أقبلت أصبح شيء عجوز شمطاء زرقاء
 عمشاء ، فقلت أعوذ بالله ، قالت لا والله لا يعيدك الله حتى تبغض الدرهم ، قال
 قلت من أنت ، قالت انا الدنيا . و وصف علي رضي الله عنه الدنيا فقال : دار من
 صح فيها هرم ، ومن سقم فيها ندم ، ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها
 فتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها النار . وقال ابن مسعود رضي الله عنه
 الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لاعقل له ، وذكر ابن
 أبي الدنيا ان الحسن كتب الى عمر بن عبد العزيز . أما بعد فان الدنيا دار
 ظعن ليست بدار اقامة ، وانما انزل آدم اليها عقوبة ، فاحذر ها يا أمير المؤمنين
 فان الزاد منها ثركها ، والغناء فيها فقرها ، لها في كل حال قتيل ، تذلل من اعزها
 وتفقر من جمعها ، هي كالسم يأكله من لا يعرفه وفيه حتفه ، فكن فيها كمداو
 جرحاته يحتذى قليلاً ، مخافة ما يكره طويلاً ، ويصبر على شدة الداء مخافة طول
 البلاء ، فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة التي قد تزينت بخدعها وقتنت
 بغير ورها ، وخيلت بآمالها ، وشوقت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلوة ، فالعيون

إليها ناظرة، والقلوب عليها والهة، والنفوس لها عاشقة، وهي لأزواجها كلهم
 قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا الآخر بالاول مزدجر، والعارف بالله حين
 أخبره عنها مدكر، فعاشق لها قد ظفر، منها بحاجته فاغتر وطغى ونسى المعاد
 فشغل فيها لبه، حتى زلت عنها قدمه، فعظمت ندامته، وكبرت حسرته واجتمع
 عليه سكرات الموت والمه، وحسرات الفوت ونغصه، فذهب منها في كمد، ولم
 يدرك منها ما طلب، ولم يرح نفسه من التعب، فخرج بغير زاد، وقدم على غير
 مهاد، فاحذر هايا أمير المؤمنين، واسر ما تكون فيها، احذر ما تكون لها، فان
 صاحب الدنيا كلما اطمأن منها الى سرور اشخصته الى مكروه، السار فيها غداء
 ضار، وقد وصل الرخاء منها بالبلاء، وجعل البقاء فيها الى فناء، فسرورها مشوب
 بالحزن، لا يرجع منها ماولى فادبر، ولا يدري ما هو آت فينتظر، أمانها كاذبة
 وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، فلو كان الخالق لهالم يخبر عنها خبراً، ولم
 يضرب لها مثلاً، لكانت قد ايقظت النائم، ونهت الغافل فكيف وقد جاء
 من الله عز وجل عنها زاجر، وفيها واعظ، فمالها عند الله عز وجل
 قدر ولا وزن، وما نظر اليها منذ خلقها، ولقد عرضت على نبينا صلى
 الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا تنقصه عند الله جناح بعوضة فابي
 ان يقبلها، وكره ان يحب ما ابغض الله خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه
 فزواها عن الصالحين اختياراً، وبسطها لاعدائه اغتراراً، فيظن المغرور بها
 القادر عليها انه اكرم بها ونسى ما صنع الله بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد
 الحجر على بطنه. وقال الحسن أيضاً ابن آدم لا تعلق قلبك في الدنيا فتعلقه بشر
 معلق، اقطع حبالها، وغلق ابوابها، حسبك يا ابن آدم منها ما يبلغك المحل، وكان
 يقول ان قوما اكرموا الدنيا فصلبتهم على الخشب فاهينوها فاهتى ما تكون
 اذا اهنتموها، هيات هيات ذهبت الدنيا وبقيت الاعمال قلائد في الاعناق
 وقال المسيح عليه السلام « لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبيدا، واعبروها
 ولا تعمروها، واعلموا ان اصل كل خطيئة حب الدنيا، ورب شهوة أورثت
 أهلها حزناً طويلاً. ما سكنت الدنيا في قلب عبد الا التاط قلبه منها بثلاثة: شغل
 لا ينفك عناؤه، وفقير لا يدرك غناؤه، وأمل لا يدرك منهاه. الدنيا طالبة مطلوبة

فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه ، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموت فيأخذ بعنقه ، يامعشر الحواريين ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين ، كما رضى أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا » وقال ابن أبي الدنيا حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال : قال ابو هريرة رضى الله عنه « الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى الى يوم يفنيها ، تنادى ربها يارب لم تبغضني ، فيقول اسكتي يا لاشيء ، اسكتي يا لاشيء » وقال الفضيل « تجيء الدنيا يوم القيامة فتبتخر في زينتها ونضرتها ، فتقول يارب اجعلني لاحسن عبادك داراً ، فيقول لا أرضاك له ، أنت لاشيء فكوني هباء منثورا »

فصل

في ذكر أمثلة تبين حقيقة الدنيا

المثال الاول : للعبد ثلاثة أحوال : حالة لم يكن فيها شيئاً وهي ما قبل أن يوجد ، وحالة أخرى وهي من ساعة موته الى الانهاية له في البقاء السرمدى فلنفسه وجود بعد خروجها من البدن إما في الجنة وإم في النار ، ثم تعاد الى بدنه فيجازى بعمله ويسكن احدى الدارين في خلود دائم ، ثم بين هاتين الحالتين وهي ما بعد وجوده وما قبل موته حالة متوسطة وهي أيام حياته فلينظر الى مقدار زمانها وأنسبه الى الحالتين يعلم انه أقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا . ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف تقضت ايامه فيها في ضر وضيق أو في سعة ورفاهية . ولهذا لم يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنة على لبنة ولا قسبة على قسبة وقال « مالى وللدنيا انما مثلى ومثل الدنيا الا كراكب قال في ظل شجرة ثم راح وتركها » وقال « ما الدنيا في الآخرة الا كما يجعل أحدكم إصبغه في اليم فلينظر بما يرجع » والى هذا أشار المسيح عليه السلام بقوله « الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها » وهذا مثل صحيح فان الحياة معبر الى الآخرة ، والمهد هو الركن الاول على أول القنطرة ، واللحد هو الركن

الثاني على آخرها ، ومن الناس من قد قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثها ، ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها ، وكيف ما كان فلا بد من العبور ، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها بأصناف الزينة وهو يستحث العبور ، فهو في غاية الجهل والحق

فصل

المثال الثاني شهوات الدنيا في القلب كشهوات الاطعمة في المعدة وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للاطعمة اللذيذة اذا انتهت في المعدة غايتها ، واما أن الاطعمة كلما كانت الذ طعما واكثر دسماً واكثر حلاوة كان رجميعها اقدر ، فكذلك كل شهوة كانت في النفس ألد وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد كما ان تفجع الانسان بمحبوبه اذا فقدته يقوى بقدر محبة المحبوب . وفي المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك ابن سفيان : الست تؤتى بطعامك وقد مالح وقزح ثم تشرب عليه الماء واللبن قال بلى . قال فالى م يصير ، قال الى ما قد علمت ، قال فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم . كان بعض السلف يقول لاصحابه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول أنظروا الى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسممهم

فصل

المثال الثالث لها ولاهلها في اشتغالهم بنعيمها عن الآخرة وما يعقبهم من الحشرات مثل أهلها في غفنتهم مثل قوم ركبوا سفينة فانتبت بهم الى جزيرة فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم الابطاء وخوفهم مرور السفينة فتفرقوا في نواحي الجزيرة ففضى بعضهم حاجته وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا ، فأخذ أوسع الاماكن والينها وأوقفها لمراده ، ووقف بعضهم

في الجزيرة ينظر الى أزهارها وأنوارها العجيبة ويسمع نغمات طيورها
ويعجبه حسن أحجارها، ثم حدثته نفسه بفوت السفينة وسرعة مرورها
وخطر ذهابها فلم يصادف إلا مكاناً ضيقاً فجلس فيه، وراكب بعضهم على تلك
الحجارة المستحسنة والأزهار الفائقة فحمل منها حمله، فلما جاء لم يجد في السفينة
إلا مكاناً ضيقاً وزاده حمله ضيقاً، فصار محموله ثقلاً عليه ووبالاً. ولم يقدر على
نبذه بل لم يجد من حمله بدا ولم يجد له في السفينة موضعاً فحمله على عنقه وندم
على أخذه فلم تنفعه الندامة، ثم ذبلت الأزهار وتغيرت أرايحها وآذاه تنمها
وتولج بعضهم في تلك الغياض ونسى السفينة وأبعد في نزهته، حتى أن الملاح
نادى بالناس عند دفع السفينة فلم يبلغه صوته لاشتغاله بملاهيته فهو تارة
يتناول من الثمر وتارة يشم تلك الأنوار، وتارة يعجب من حسن الأشجار
وهو على ذلك خائف من سبع يخرج عليه غير منك من شوك يتشبث في
ثيابه ويدخل في قدميه، أو غصن يجرح بدنه، أو عوسج يخرق ثيابه ويهتك
عورتها، أو صوت هائل يفزعها، ثم من هؤلاء من لحق السفينة ولم يبق فيها
موضع فمات على الساحل، ومنهم من شغله طوره فافترسته السباع ونهشته
الحيات، ومنهم من تاه فهام على وجهه حتى هلك. فهذا مثال أهل الدنيا في
اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردتهم وعاقبة أمرهم، وما
أقبح بالعاقل أن تغره أحجار ونبات يصير هشيماً قد شغل باله وعوقه
عن نجاته ولم يصحبه

فصل

المثال الرابع لاغترار الناس بالدنيا وضعف إيمانهم بالآخرة قال ابن أبي
الدنيا حدثنا اسحق بن اسماعيل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام بن حسان
عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه «انما مثلي
ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غرباء حتى إذا لم يدروا ما سلكوا
منها أكثر أم مابقي انفذوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني

المفازة لا زاد ولا حمولة فأيقنوا بالهلاك، فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر رأسه، فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم هذا الا من قريب، فلما انتهى اليهم قال ياهؤلاء على ما أنتم، قالوا على ماترى، قال أرأيتم ان هديتكم على ماء رواء ورياض خضر، ما تجعلون لي، قالوا لا نعصيك شيئاً، قال عهدكم ومواثيقكم بالله، قال فاعطوه عهدوهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئاً، قال فاوردهم ماء ورياضا خضرا، قال فمكث فيهم ماشاء الله، ثم قال ياهؤلاء الرحيل، قالوا الى أين، قال الى الماء ليس كما أنتم ورياض ليست كرياضكم قال فقال جل القوم وهم أكثرهم، والله ما وجدنا هذا حتى ظننا أن لن نجده وما نصنع بعيش هو خير من هذا، قال وقالت طائفة وهم أقلامهم ألم تعطوا هذا الرجل عهدكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه شيئاً، وقد صدقكم في أول حديثه فوالله ليصدقكم في آخره، فراح بمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبادرهم عدوهم فأصبحوا بين أسير وقتيل

فصل

المثال الخامس للدنيا وأهلها ما مثلها به النبي صلى الله عليه وسلم كظل شجرة، والمرء مسافر فيها الى الله فاستظل في ظل تلك الشجرة في يوم صائف ثم راح وتركها فتأمل حسن هذا المثال ومطابقته للواقع سواء. فانها في خضرتها كشجرة وفي سرعة انقضائها وقبضها شيئاً فشيئاً كالظل، والعبد مسافر الى ربه والمسافر اذا رأى شجرة في يوم صائف لا يحسن به ان يبني تحتها داراً ولا يتخذها قراً. بل يستظل بها بقدر الحاجة ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرفاق

فصل

المثال السادس تمثيله لها صلى الله عليه وسلم بمدخل إصبعة في اليم فالذي يرجع به إصبعة من البحر هو مثل الدنيا بالنسبة الى الآخرة، وهذا أيضاً من

أحسن الأمثال، فإن الدنيا منقطعة فانية، ولو كانت مدتها أكثر مما هي والآخرة
أبدية لا انقطاع لها. ولا نسبة للمحصور الى غير المحصور، بل لو فرض أن السموات
والأرض مملوءتان خردلا وبعد كل الف سنة طائر ينقل خردلة لفتى الخردل
والآخرة لا تفتى، فنسبة الدنيا الى الآخرة في التمثيل كنسبة خردلة واحدة الى
ذلك الخردل. ولهذا لو أن البحر يمد من بعده سبعة أبحر وأشجار الأرض
كلها أقلام يكتب بها كلام الله لنفدت الأبحر والأقلام ولم تنفذ كلمات الله
لأنها لا بداية لها ولا نهاية لها، والأبحر والأقلام متناهية قال الامام أحمد وغيره
لم يزل الله متكلمًا اذا شاء وكلمه المقدس مقتض لـكلامه، وكلمه من لوازم ذاته
فلا يكون إلا كاملاً والمتكلم أكمل من لا يتكلم وهو سبحانه لم يلحقه كل
ولا تعب ولا سامة من الكلام، وهو يخلق ويدبر خلقه بكلماته: فكلماته هي
التي أوجد بها خلقه وأمره، وذلك حقيقة ملكه وربوبيته وآلهيته وهو
لا يكون إلا رباً ملكاً إلهاً لا اله إلا هو، والمقصود أن الدنيا نفس من أنفاس
الآخرة وساعة من ساعاتها.

فصل

المثال السابع ما مثلها به صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على
صحته من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فخطب الناس فقال لا والله ما أخشى عليكم إلا ما يخرج
الله لكم من زهرة الدنيا، فقال رجل يارسول الله أو يأتي الخير بالشر، فصمت
رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال كيف قلت، قال يارسول الله أو يأتي
الخير بالشر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الخير لا يأتي الا بالخير
وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم، إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا
امتلاّت بحرارها انضاج ما أكلته، واخرجه الثالثة انها استفرغت بالبول والثلث
خاصرتها استقبلت الشمس فثلطت (١) وبالت ثم اجترت فعادت فأكلت

(١) في النهاية اثلط الرجع الرقيق واكثر ما يقال للابل والبقر والبقيلة

فمن أخذ مالا بحقه بورك له فيه ، ومن أخذ مالا بغير حقه فمثله كمثل الذي
 يأكل ولا يشبع ، فاخبر صلى الله عليه وسلم انه انما يخاف عليهم الدنيا ، وسماها
 زهرة فشيها بالزهر في طيب رائحته وحسن منظره وقلة بقائه ، وان وراءه ثمراً
 خيراً وأبقى منه ، وقوله ان نمايبت الربيع مما يقتل حبطاً أو يلم هذا من أحسن
 التمثيل المتضمن للتحذير من الدنيا والانهماك عليها والمسرة فيها ، وذلك أن
 الماشية يروقها نبت الربيع فتأكل منه بأعينها فر بما هلك حبطاً ، والحبط
 انتفاخ بطن الدابة من الامتلاء أو من المرض ، يقال حبط الرجل والدابة تحبط
 حبطاً إذا أصابه ذلك ، ولما أصاب الحرث بن مازن بن عمرو ابن تميم ذلك في
 سفره فمات حبطاً فنسب الحبطي كما يقال السلمى ، فكذلك الشره في المال يقتله
 شرهه وحرصه ، فان لم يقتله قارب أن يقتله ، وهو قوله أو يلم ، وكثير من أرباب
 الاموال انما قتلتهم أموالهم فانهم شرهوا في جمعها ، واحتاج اليها غيرهم فلم يصلوا
 اليها الا بقتلهم أو ما يقاربه من اذلالهم وقهرهم ، وقوله إلا آكلة الخضر هذا
 تمثيل لمن أخذ من الدنيا حاجته مثله بالشاة الآكلة من الخضر بقدر حاجتها
 أكلت حتى اذا امتلأت خاصرتها. وفي لفظ آخر امتدت خاصرتها وانما
 تمتد من امتلائها من الطعام ، وثني الخاصرتين لأنهما جانبا البطن ، وفي قوله
 استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثلاث فوائد : احداها انها لما أخذت
 حاجتها من المرعى تركته وبركت مستقبلة الشمس لتسمرى بذلك ما اكلته
 الثانية انها اعرضت عما يضرها من الشره في المرعى وأقبلت على ما ينفعها من
 استقبال الشمس التي يحصل لها ما جمعه من المرعى في بطنها فاستراحت
 باخراجه ولو بقي فيها لقتلها ، فكذلك جامع المال مصلحته أن يفعل به كما فعلت
 هذه الشاة وأول الحديث مثل للشره في جمع الدنيا الحريص على تحصيلها فمثاله
 مثال الدابة التي حملها شره الأكل على أن يقتلها حبطاً أو يلم اذا لم يقتلها ، فان
 الشره الحريص اما هالك واما قريب من الهلاك ، فان الربيع ينبت أنواع
 البقول والعشب فتستكثر منه الدابة حتى ينتفخ بطنها لما جاوزت حد الاحتمال
 فتنشق امعاؤها وتهلك كذلك الذي يجمع الدنيا من غير حلها ويحبسها أو

يصرفها في غير حقها ، وآخر الحديث مثل للبقصد بأكلة الخضر الذي تنتفع
 الدابة باكله ولم يحملها شرها وحرصها على تناولها منه فوق ماتحتمله، بل اكلت
 بقدر حاجتها وهكذا، هذا أخذ ما يحتاج اليه ثم أقبل على ما ينفعه، وضرب بول
 الدابة وثاؤها مثلا لاخراج المال في حقه حيث يكون حبسه وامساكه مضرأ
 به فنجأ من وبال جمعه بأخذ قدر حاجته منه، ونجأ من وبال امساكه باخراجه كما
 نجت الدابة من الهلاك بالبول والثلط . وفي هذا الحديث اشارة الى الاعتدال
 والتوسط بين الشره في المرعى القاتل بكثرتة وبين الاعراض عنه وتركه بالكلية
 فهلك جوعا . وتضمن الخبر أيضاً ارشاد المكثر من المال الى ما يحفظ عليه
 قوته وصحته في بدنه وقلبه وهو الاخراج منه وانفاقه ولا يحبسه فيضره حبسه
 . وبالله التوفيق .

فصل

المثال الثامن مارواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن سليمان بن يسار عن
 ميمونة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاص الدنيا خضرة
 حلوة. فمن اتقى الله فيها وأصلح، والافهوكالآكل ولا يشبع، وبين الناس في ذلك
 كبعد السكوكين أحدهما يطلع في المشرق والآخر يغيب في المغرب، فنبه
 بخضرتها على استحسان العيون لها، وبحلاوتها على استجلاء الصدور لها. وبذلك
 الخضرة والحلاوة زينت لأهلها وحببت اليهم لاسيما وهم مخلوقون منها
 وفيها كما قيل :

ونحن بنو الدنيا ومنها نباتنا وما أنت منه فهو شيء محبب
 وجعل الناس فيها قسمين أحدهما مصلح متقى فهذا تقواه واصلاحه
 لا يدعانه ينهمك عليها ويشره فيها ويأخذها من غير حلها ويضعها في غير حقها
 فالنم يتق ويصلح صرف نهمة وقواه وحرصه الى تحصيلها، فكان كالذي يأكل
 ولا يشبع، وهذا من أحسن الامثلة، فان المقصود من الأكل حفظ الصحة والقوة
 وذلك تابع لقدرة الحاجة، وليس المقصود منه ذاته ونفسه فمن جعل نهمة فوق

مقصوده لم يشبع . ولهذا قال الامام احمد: الدنيا قليلها يجزى وكثيرها لا يجزى
وأخبر عن تفاوت الناس في المنزلتين أعنى منزلة التقوى والاصلاح، ومنزلة
الأكل والشرب، وان بين الرجلين في ذلك كما بين الكوكبين الغارب في الأفق
والطالع منه وبين ذلك منازل متفاوتة .

فصل

المثال التاسع ما تقدم من حديث المستورد بن شداد قال: كنت مع الركب
الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة ، فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أترون هذه هانت على أهلها حتى القوها ، قالوا من هو أنها
القوها يا رسول الله، قال فوالذي نفس محمد بيده للدنيا أهون على الله من هذه
على أهلها . قال الترمذى حديث حسن صحيح فلم يقتصر صلى الله عليه وسلم
على تمثيلها بالسخلة الميتة بل جعلها أهون على الله منها . وفي مسند الامام احمد في
هذا الحديث فوالذي نفسى بيده للدنيا عند الله أهون عليه من تلك السخلة
على أهلها فأكد ذلك بالقسم الصادق، فاذا كان مثلها عند الله أهون وأحق من
سخلة ميتة على أهلها ، فمحبها وعاشقها أهون على الله من تلك السخلة ، وكونها
سخلة أهون عليهم من كونها شاة كبيرة ، لأن تلك ربما انتفعوا بصوفها أو
دبغوا جلدها. وأما ولد شاة صغيرة ميت ففي غاية الهوان والله المستعان

فصل

المثال العاشر مثلها مثل البحر الذى لا بد للخاق كلهم من ركوبه ليقطعوه
الى الساحل الذى فيه دورهم وأوطانهم وهستقرهم، ولا يمكن قطعه الا فى سفينة
النجاة. فأرسل الله رسله لتعرف الأمم اتخاذ سفن النجاة وتأمروهم بعملها
وركوبها وهى طاعته وطاعة رسله وعبادته وحده واخلاص العمل له والتشمير
للاخرة وارادتها والسعى لها سعيها ، فنهض الموفقون وركبوا السفينة ورجعوا

عن خوض البحر لما علموا أنه لا يقطع خوفاً ولا سباحة . وأما الحمقاء
 فاستصعبوا عمل السفينة وآلاتها والركوب فيها وقالوا نخوض البحر فاذا عجزنا
 قطعناه سباحة وهم أكثر أهل الدنيا فخاضوه ، فلما عجزوا عن الخوض أخذوا
 في السباحة حتى أدركهم الغرق ونجا أصحاب السفينة كما نجوا مع نوح عليه
 السلام . وغرق أهل الأرض ، فتأمل هذا المثل وحال أهل الدنيا فيها يتبين لك
 مطابقتها للواقع وقد ضرب هذا المثل للدنيا والآخرة والقدر والامر فان القدر
 بحر والامر فيه سفينة لا ينجوا الا من ركبها

فصل

المثال الحادي عشر مثالها مثال أناء مملوء عسلا رآه الذباب فاقبل نحوه
 فبعضه قعد على حافة الاناء وجعل يتناول من العسل حتى أخذ حاجته ثم
 طار ، وبعضه حمله الشره على أن رمى بنفسه في لجة الاناء ووسطه فلم يدعه
 انغمسه فيه ان يتهنأ به الا قليلا حتى هلك في وسطه

فصل

المثال الثاني عشر مثال حب قد نثر على وجه الارض وجعلت كل حبة
 في فخ وجعل حول ذلك الحب حب ليس في فخاخ فجاءت الطير فمنها من
 قنع بالجوانب ولم يرم نفسه في وسط الحب فاخذ حاجته ومضى ، ومنها من
 حمله الشره على اقتحام معظم الحب ووسط الحب ، فما استتم اللقاط الا وهو
 يصيح من أخذة الفخ له

فصل

المثال الثالث عشر كمثل رجل أوقد نارا عظيمة فجعلت الفراش والجنادب
 يرون ضوءها فيقصدونها ويتهاون فيها ، ومن له علم بحالها جعل يستضيء
 ويستدفيء بها من بعيد . وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المثل بعينه
 في الحديث الذي رواه مالك بن اسماعيل عن حفص بن حميد عن
 عكرمة عن بن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال: انى مسك بحجزكم عن النار وتتقاهون فيها تقاهم الفراش والجنادب ويوشك أن أرسل بحجزكم. وفي لفظ آخر مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعلت الفراش والجنادب يتقاهن فيها فأنا أخذ بحجزكم عن النار وأنتم تغلبونى وتتقاهون فيها، وهذا المثل منطبق على أهل الدنيا المنهمكين فيها. فالرسل تدعوهم الى الآخرة وهم يتقاهون فى الدنيا تقاهم الفراش

فصل

المثال الرابع عشر مثل قوم خرجوا فى سفر بأموالهم وأهليهم فمروا بواد مشعب كثير المياه والفواكه فنزلوا به وضرخوا خيمهم وبنوا هنالك الدور والقصور فمر بهم رجل يعرفون نصحه وصدقه وأمانته فقال انى رأيت بعينى هاتين الجيش خلف هذا الوادى وهو قاصدكم فاتبعونى أسلك بكم على غير طريق العدو فتنجوا منه فأطاعته طائفة قليلة، فصاح فيهم يا قوم النجاة النجاة أتيتم أتيتم، وصاح السامعون له باهليهم وأولادهم وعشائرهم فقالوا كيف نرحل من هذا الوادى وفيه مواشينا وأموالنا ودورنا وقد استوطننا، فقال لهم الناصح لينج كل واحد منكم بنفسه مما خف عليه من متاعه والا فهو مأخوذ وماله محتاج، فثقل على أصحاب الجدد والاموال ورؤساء القوم النقلة ومفارقة ما هم فيه من النعم والرفاهية والدعة، وقال كل احمق لى اسوة بالقاعدين فهم اكثر منى مالا وأهلا فما أصابهم أصابى معهم، ونهض الاقلون مع الناصح ففازوا بالنجاة وصبح الجيش أهل الوادى فقتلهم واجتاح أموالهم. وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى هذا المثل بعينه فى الحديث المتفق على صحته من حديث ابى بردة عن أبى موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: انما مثلى ومثلى ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قومه فقال يا قوم، انى رأيت الجيش بعينى وانا النذير العريان فالنجاة النجاة، فطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلبهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم

فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب
بما جئت به من الحق

فصل

المثال الخامس عشر رجل هياً داراً وزينها ووضع فيها من جميع
الآلات ودعى الناس إليها فكلما دخل داخل أجلسه على فراش وثير
وقدم إليه طبقاً من ذهب عليه لحم، ووضع بين يديه اوان مفتخرة فيها
من كل ما يحتاج إليه واخدمه عبيده ومماليكه، فعرف العاقل ان ذلك كله
متاع صاحب الدار وملكه وعبيده فاستمتع بتلك الآلات والضيافة مدة
مقامه في الدار، ولم يعلق قلبه بها ولا حدث نفسه بتملكها، بل اعتمد مع
صاحب الدار ما يعتمده الضيف يجلس حيث أجلسه، وياكل ما قدمه له
ولا يسأل عما وراء ذلك اكتفاء منه بعلم صاحب الدار وكرمه وما يفعله
مع ضيوفه، فدخل الدار كريماً وتمتع فيها كريماً وفارقها كريماً ورب الدار غير
ذام له. وأما الاحمق فحدث نفسه بسكنى الدار وحوز تلك الآلات الى
ملكه وتصرفه فيها بحسب شهوته وارادته فتخير المجلس لنفسه وجعل
ينقل تلك الآلات الى مكان في الدار يخبؤها فيه، وكلما قدم إليه ربه شيئاً
أو آلة حدث نفسه بملكه واختصاصه به عن سائر الاضياف، ورب الدار
يشاهد ما يصنع وكرمه يمنع من اخراجه من داره حتى اذا ظن انه قد استبد بتلك
الآلات وملك الدار وتصرف فيها وفي آلاتها تصرف المالك الحقيقي
واستوطنها واتخذها داراً له أرسل إليه مالكا عبيده فاخرجوه منها
اخراجاً عنيفاً وسلبوه كل ما هو فيه ولم يصحبه من تلك الآلات شيء
وحصل على مقت رب الدار له وافترضه عنده وبين ممالিকে وحشمه وخدهه
فليتأمل اللبيب هذا المثال حق التأمل فانه مطابق للحقيقة والله المستعان .
قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، كل أحد في هذه الدنيا ضيف وما له
عارية، فالضيف مرتحل والعارية مؤداة وفي الصحيحين عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال مات ابن لابي طلحة من أم سليم، فقالت لاهلها لا تحدثوا

اباطلحة حتى اكون أنا أحدثه، فجاء فقربت اليه عشاء فاكل وشرب وقال ثم
 تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها، فلما رأت انه قد
 شبع وأصاب منها، قالت يا أبا طلحة: أرأيت لو أن قوما اعاروا عاريتهم أهل
 بيت فطلبوا عاريتهم ألهم ان يمنعوهم، قال لا، قالت فاحتسب ابنك، قال
 فغضب قال تركتيني تلتطخت ثم أخبرتيني بابني، فانطلق حتى أتى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان منها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بارك الله لكما في ليلتكما وذاكر الحديث

فصل

المثال السادس عشر قوم سلكو مفازة فاجأهم العطش فأتوها الى
 البحر وماؤه امر شئ وأملحه فلشدة عطشهم لم يجدوا طعم مرارته وملوحته
 فشربوا منه فلم يرووا وجعلوا كلما ازدادوا شربا ازدادوا ظمأ حتى تقطعت
 أمعاؤهم وماتوا عطشا وعلم عقلاؤهم انه مر مالح وانه كلما ازداد الشارب منه
 زاد ظمؤه فتباعدوا عنه مسافة حتى وجدوا أرضا حلوة فحفروا فيها قليبا
 فنبع لهم ماء عذب فرات فشربوا وعجنوا وطبخوا ونادوا اخوانهم الذين على
 حافة البحر هلموا الى الماء الفرات، وكان منهم المستهزى، ومنهم المعرض الراضى
 بما هو فيه، وكان المجيب واحداً بعد واحد، وهذا المثل بعينه قد ضربه المسيح
 عليه السلام فقال: مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً
 ازداد عطشاً حتى يقتله

فصل

المثال السابع عشر مثل الانسان ومثل ماله وعمله وعشيرته مثل رجل
 له ثلاثة إخوة فقضى له سفر بعيد طويل لا بد له منه، فدعا اخوته الثلاثة وقال
 قد حضر ماترون من هذا السفر الطويل واحوج ما كنت اليكم الآن، فقال
 أحدهم انا كنت اخاك الى هذه الحال، ومن الآن فلست باخ ولا صاحب

وما عندي غير هذا، فقال له لم تغن عنى شيئاً، فقال للآخر ما عندك، فقال كنت
اخاك وصاحبك الى الآن وانا معك حتى اجهزك الى سفرك وتركب راحلتك
ومن هنالك لست لك بصاحب، فقال له انا محتاج الى مرافقتك في مسيرى، فقال
لا سبيل لك الى ذلك، فقال لم تغن عنى شيئاً. فقال للثالث ما عندك انت، فقال
كنت صاحبك في صحتك ومرضك وانا صاحبك الان وصاحبك اذا ركبت
راحتك وصاحبك في مسيرك فان سرت سرت معك وان نزلت نزلت معك
واذا وصلت الى بلدك كنت صاحبك فيها لا افارقك ابداً، فقال ان كنت لاهون
الاصحاب على و كنت اوثر عليك صاحبك فليتنى عرفت حقك و آثرتك عليهما
فالاول ماله، والثاني اقاربه وعشيرته واصحابه، والثالث عمله، وقد روى في هذا المثل
بعينه حديث مرفوع لكنه لا يثبت رواه ابو جعفر العقيلي في كتاب الضعفاء
من حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة وعن ابن المسيب عن عائشة
مرفوعا وهو مثل صحيح في نفسه مطابق للواقع

فصل

المثال الثامن عشر وهو من احسن الامثلة ملك بنى داراً لم ير الراؤن
ولم يسمع السامعون احسن ولا اوسع ولا اجمع لكل ملاذ النفوس منها، ونصب
اليها طريقا وبعث داعياً يدعو الناس اليها واقعد على الطريق امرأة جميلة
قد زينت بأنواع الزينة والبست انواع الحلوى والحلل وممر الناس كلهم عليها
وجعل لها اعوانا وخداما وجعل تحت يدها ويد اعوانها زادا للهارين السائرين
الى الملك في تلك الطريق، وقال لها ولا اعوانها من غض طرفه عنك ولم يشتغل
بك عنى وابتغى منك زاداً يوصله الى فاخديه وزوديه ولا تعوقه عن سفره
الى، بل اعينيه بكل ما يبلغه في سفره. ومن مد اليك عينيه ورضى بك و آثرك
على وطلب وصالك فسوميه سوء العذاب واوليه غاية الهوان، واستخدميه
واجعليه يركض خلفك ركض الوحش، ومن يأكل منك فاخديه به قليلاً ثم
استرده منه واسلمه اياه كله وسلطى عليه اتباعك وعبيدك، وكلما بالغ في محبتك
وتعظيمك واكرامك فقابليه بامثاله قلى واهانة وهجراً حتى تنقطع نفسه عليك

حسرات. فتأمل هذا المثال وحال خطاب الدنيا وخطاب الآخرة والله المستعان
وهذا المثل مأخوذ من الأثر المروي عن الله عز وجل: يا دنيا اخدمى من
خدمنى واستخدمى من خدمك

فصل

المثال التاسع عشر ملك خط مدينة فى أصح المواضع وأحسنها هواء
واكثرها مياها؛ وشق انهارها وغرس أشجارها؛ وقال لرعيته تسابقوا الى
أحسن الاماكن فيها، فمن سبق الى مكان فهو له، ومن تخلف سبقه الناس
الى المدينة فآخذوا منازلهم وتبؤوا مساكنهم فيها وبقي من أصحاب الحسرات
ونصب لهم ميدان السباق وجعل على الميدان شجرة كبيرة لها ظل مديد
وتحتها مياه جارية، وفى الشجرة من كل أنواع الفواكه وعليها طيور عجيبة
الاصوات، وقال لهم لا تغتروا بهذه الشجرة وظلها فعن قليل تجث من أصلها
ويذهب ظلها وينقطع ثمرها وتموت أطيارها، وأما مدينة الملك فأكلها دائماً
وظلها مديد ونعيمها سرمدى وفيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر، فسمع الناس بها فخرجوا فى طلبها على وجوههم فمروا بطريقهم
بتلك الشجرة على أثر تعب ونصب وحر وظم، فنزلوا كلهم تحتها واستظلوا بظلها
وذاقوا حلاوة ثمرها وسمعوا نغمت أطيارها. فقيل لهم انما نزلتم تحتها لتحموا
أنفسكم وتضمروا مراكم للسباق، فتهيؤوا للركوب وكونوا على أهبة فاذا
صاح النفير استدركنم حلبة السباق فقال الاكثرون كيف ندع هذا الظل
الظليل والماء السلسيل والفاكهة النضجة والدعة والراحة ونقتحم هذه الحلبة
فى الحر والغبار والتعب والنصب والسفر البعيد والمفاوز المعطشة التى تنقطع
فيها الامعاء، وكيف نبيع النقد الحاضر بالنسيئة الغائبة الى الاجل البعيد ونترك
ما نراه الى ما لا نراه، وذرة منقودة فى اليد أولى من ذرة موعودة بعد غد. خذ
ما نراه ودع شيئاً سمعت به، ونحن بنوا اليوم وهذا عيش حاضر كيف نتركه
لعيش غائب فى بلد بعيد لا ندرى متى نصل اليه. ونهض من كل الف واحد وقالوا

والله مامقامنا هذا في ظل زائل تحت شجرة قد ذنى قلعها ، وانقطع ثمرها
وموت اطيبارها ، وترك المسابقة الى الظل الظليل الذي لا يزول والعيش الهنيء
الذي لا ينقطع الا من اعجز العجز ، وهل يليق بالمسافر اذا استراح تحت ظل ان
يضرب خبائه عليه ويتخذ وطنه خشية التأذى بالحر والبرد وهل هذا
الا اسفه السفه فالسباق السباق والبدار البدار

حكم المنية في البرية جارى ما هذه الدنيا بدار قرار
اقضوا ما ربكم سراعاً انما أعماركم سفر من الاسفار
وترا كضوخيل السباق وبادروا ان تسترد فانهن عوارى
ودعوا الاقامة تحت ظل زائل انتم على سفر بهذى الدار
من يرجو طيب العيش فيها انما يبني الرجاء على شفير هار
والعيش كل العيش بعد فراقها في دار أهل السبق اكرم دار
فاقتحموا حلبة السباق ولم يستوحشوا من قلة الرفاق، وساروا في ظهور
العزائم، ولم تأخذهم في سيرهم لومة لائم، والمتخلف في ظل الشجرة
نائم فوالله ما كان الا قليلا حتى ذوت أغصان تلك الشجرة، وتساقطت
أوراقها، وانقطع ثمرها، ويبست فروعها، وانقطع مشربها، فقلعها قيمها من
أصلها، فاصبح أهلها في حر السموم يتقلبون، وعلى ما فانهم من العيش
في ظلها يتحسرون، أحرقتها قيمها فصارت هي وما حولها ناراً تلظى، وأحاطت
النار بمن تحتها فلم يستطع احد منهم الخروج منها، فقالوا أين الركب الذين
استظلوا معنا تحت ظلها ثم راحوا وتركوه فقيل لهم ارفعوا ابصاركم تروا
منازلهم فرأوهم من البعد في قصور مدينة الملك وغرفها يتمتعون بأنواع
اللذات، فتضاعفت عليهم الحسرات الا يكونوا معهم، وزاد تضاعفها بأن حيل
بينهم وبين ما يشتهون وقيل هذا جزاء المتخلفين وما ظلمناهم ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون

فصل

المثال العشرون ما مثلها به النبي صلى الله عليه وسلم من الثوب الذي شق
وبقى معلقا بخيط في آخره فما بقاء ذلك الخيط . قال ابن أبي الدنيا حدثني الفضل
ابن جعفر حدثنا وهب بن حباد حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد
خلف بن حبيب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من أوله الى آخره فبقى معلقا
بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع، وان أردت لهذا المثل زيادة
ايضاح فانظر الى مارواه احمد في مسنده من حديث أبي نظرة عن أبي سعيد
قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر نهارا ، ثم قام فخطبنا فلم
يترك شيئا قبل قيام الساعة إلا أخبر به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه
وجعل الناس يلتفتون الى الشمس هل بقي منها شيء ، فقال ألا انه لم يبق من
الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه . وروى حفص
ابن غياث عن ليث عن المغيرة بن حكيم عن ابن عمر قال خرج علينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السعف ، فقال ما بقي من الدنيا
الا مثل ما بقي من يومنا هذا فيما مضى منه . وروى ابن أبي الدنيا عن ابراهيم
ابن سعد حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا موسى بن خلف عن قتادة عن أنس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب عند مغرب الشمس فقال ما بقي
من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ، فالدنيا كلها
كيوم واحد . بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخره قبل غروب شمس
يسير . وقال جابر وأبو هريرة رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم : بعثت
أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصابعه السبابة والوسطى ، وكان بعض السلف
يقول تصبروا فانما هي ايام قلائل ، وانما اتم ركب وقوف يوشك ان يدعى
أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، وانه قد نعت اليكم أنفسكم والموت حبس
لا بد منه والله بالمرصاد . وانما تخرج هذه النفوس على آخر سورة
الواقعة

فصل

المثال الحادى والعشرون مثال الدنيا كحوض كبير ملء ماء وجعل مورداً للأنام والانعام فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه الا كدر فى أسفله قد بالت فيه الدواب وخاضته الناس والانعام، كما روى مسلم فى صحيحه عن عتبة بن غزوان انه خطبهم، فقال فى خطبته ان الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها الا صباية كصباية الاء يتصاها صاحبها، وانكم منتقلون عنها الى دار لا زوال لها، فاتقلوا بخير ما بحضرتكم. وقال عبد الله بن مسعود ان الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلا فما بقى منها الا قليل من قليل، ومثل ما بقى منها كالشعب شرب صفوه وبقى كدره الشعب الغدير

فصل

المثال الثانى والعشرون قوم سكنوا مدينة مدة من الزمان فكثرت فيها الاحداث والافات وطرقها المحن واغارت عليها عساكر الجور والفساد فبنى ملكهم مدينة فى محل لا يطرقة آفة ولا عاهة، وعزم على تخريب المدينة الاولى، فارسل الى سكانها فنودى فيهم بالرحيل بعد ثلاث، ولا يتخلف منهم أحد، وأمرهم أن ينقلوا الى مدينة الملك الثانية خير ما فى تلك المدينة وأنفعه وأجله من الجواهر واللاآلىء والذهب والفضة وما خف حمله من المتاع وعظم قدره وصلح للملوك، وأرسل اليهم الادلاء وآلات النقل، ونهجهم الطريق ونصب لهم الاعلام وتابع الرسل يستحثونهم بعضهم فى أثر بعض، فانقسموا فرقاً فالاقلون علموا قصر مدة مقامهم فى تلك المدينة وتيقنوا انهم ان لم يبادروا بتحصيل خير ما فيها وحمله الا مدينة الملك، والافاتهم ذلك فلم يقدروا عليه فرأوا غيبنا أن يقطعوا تلك المدة فى جمع المفضول والاشتغال به عن الفاضل فسألوا عن خير ما فى المدينة وأنفسه واحبه الى الملك وأنفعه فى مدينته، فلما عرفوه لم يلتفتوا الى مادونه، ورأوا ان أحدهم اذا وافا بوهرة عظيمة كانت

أحب الى الملك من أن يوافيه بأحمال كثيرة من الفلوس والحديد ونحوها
فكان مهمهم في تحصيل ما هو أحب الى الملك وأنفس عنده ولو قل في رأى
العين، وأقبلت فرقة أخرى على تعبئة الأحمال المحملة وتنافسوا في كثرتها وهم
على مراتب، فمنهم من أحماله أثمان، ومنهم من أحماله دون ذلك على قدر مهمهم
وما يليق بهم، لكن مهمهم مصروقة الى تعبئة الاحمال والانتقال من المدينة
واقبلت فرقة أخرى على عمارة القصور في تلك المدينة والاشتغال بطبيعتها ولذاتها
ونزهها وحاربوا العازمين على النقلة وقالوا لاندعكم تأخذون من متاعنا شيئاً فان
شاركتمونا في عمارة المدينة واستيطانها وعيشنا فيها والالم نمكنكم من النقلة
ولا من شئ من المتاع، فوقع الحرب بينهم فقاتلوا السائرين فعمدوا الى اكل
أموالهم وأهلهم وما نعموا منهم الا بسيرهم الى دار الملك واجابة داعيه والرغبة
عن تلك الدار متى أمرهم بتركها، وأقبلت فرقة أخرى على التنزه والبطالة والراحة
والدعة وقالوا لا نتعب أنفسنا في عمارتها ولا ننقل منها ولا نعارض من أراد
النقلة ولا نحاربهم ولا نعاونهم، وكان للملك فيها قصر فيه حريم له وقد احاط
عليه سوراً، وأقام عليه حرساً، ومنع أهل المدينة من قر بانه، وطاف به القاعدون
فلم يحدوا فيه بابا يدخلون منه، فعدوا على جدرانها فنقبوها ووصلوا الى حريمه
فأفسدوهم ونالوا منهم ما استخط الملك وأغضبه وشق عليه، ولم يقتصروا على
ذلك حتى دعوا غيرهم الى افساد حريمه والنيل منهم، فبينما هم على تلك الحال واذا
بالنفير قد صاح فيهم كلهم فلم يمكن احد منهم التخلف، فحملوا على تلك الحال
واحضروا بين يدي الملك، فاستعرضهم واحدا واحدا وعرضت بضائعهم وما
قدموا به من تلك المدينة عليه فقبل منها ما يصلح له واعاض أر بابه أضعاف
أضعاف قيمته وأنزلهم منازلهم من قربه، وورد منها ما لا يصلح له وضرب به
وجوه اصحابه، وقابل من نقب حماه وافسد حريمه بما يقابل به المفسدون، فسألوا
الرجعة الى المدينة ليعمروا قصره ويحفظوا حريمه ويقدموا عليه من البضائع
بمثل ما قدم به التجار، فقال هيئات قد خربت المدينة خراباً لا تعمر بعده ابداً
وليس بعدها الا المدينة التي لا تخرب ابداً

فصل

وقد مثلت الدنيا بمنام، والعيش فيها بالحلم والموت باليقظة، ومثلت بمزرعة والعمل فيها بالبذر، والحصاد يوم المعاد، ومثلت بدار لها بابان، باب يدخل منه الناس، وباب يخرجون منه، ومثلت بحية ناعمة الملمس، حسنة اللون وضربتها الموت، ومثلت بطعام مسموم، لذيد الطعم، طيب الرائحة، من تناول منه بقدر حاجته كان فيه شفاؤه، ومن زاد على حاجته كان فيه حتفه، ومثلت بالطعام في المعدة، اذا اخذت الاعضاء منه حاجتها فحبسه قاتل أو مؤذ ولا راحة لصاحبه الا في خروجه. كما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم في آكلة الخضر وقد تقدم ومثلت بامرأة من أقبح النساء قد انتقبت على عينين فتنت بهما الناس وهي تدعو الناس الى منزلها، فاذا اجابوها كشفت لهم عن منظرها وذبحتهم بسكا كينها والقتهم في الحفر وقد سلطت على عشاقها تفعل بهم ذلك قديما وحديثا. والعجب ان عشاقها يرون اخوانهم صرعى قد حلت بهم الآفات وهم ينافسون في مصارعهم وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال، ويكفي في تمثيلها ما مثلها الله سبحانه في كتابه فهو المثل المنطبق عليها، قالوا واذا كان هذا شأنها فالتقلل منها والزهد فيها خير من الاستكثار منها والرغبة فيها، قالوا ومن المعلوم انه لا يجتمع الرغبة فيهما مع الرغبة في الله والدار الآخرة ابداء، ولا تسكن هاتان الرغبتان في مكان واحد الا وطردت احدهما الأخرى واستبدت بالمسكن، ولا يجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم و بنت عدو الله عند رجل واحد ابداء، قالوا ويكفي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت عليه مفاتيح كنوزها، ولو اخذها لكان اشكر خلق الله بها ولم تنقصه مما له عند الله شيئا، فاختر جوع يوم وشبع يوم، ومات ودرعه مرهونة على طعام لأهله كما تقدم ذكره، قالوا وقد انقسم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة أقسام: قسم لم يريدوا الدنيا ولم تردهم كالصديق ومن سلك سبيله، وقسم ارادتهم الدنيا ولم يريدوها كعمر بن الخطاب ومن سلك سبيله، وقسم ارادوا

الدنيا وارادتهم كخلفاء بني امية ومن سلك سبيلهم ، حاشا عمر بن عبد
 العزيز فانها ارادته ولم يردها ، وقسم ارادوها ولم تردهم كمن أفقر الله
 منها يده وأسكنها في قلبه وامتحنه بجمعها . ولا يخفى ان خير الاقسام
 القسم الاول ، والثاني انما فضل لانه لم يردها فالتحق بالاول ، قالوا وقد
 سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدلّه على عمل اذا فعله احبه
 الله واحبه الناس ، فقال له ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في ايدي
 الناس يحبك الناس ، فلو كان الغنى افضل لدله عليه ، قالوا وقد شرع الله سبحانه
 قتال الكفار وشرع الكف عن الرهبان لاعتزالهم عن الدنيا وزهدهم فيها
 فضمت السنة بان لا يقاتلوا ولا يضرب عليهم جزية . هذا وهم اعداؤه واعداء
 رسله ودينه ، فعلم أن الزهد فيها عند الله بمكان ، قالوا وكذلك استقرت حكمته
 في شرعه على أن عقوبة الواجد أعظم من عقوبة الفاقد فهذا الزاني المحصن
 عقوبته الرجم ، وعقوبة من لم يحصن الجلد والتغريب ، وهكذا يكون ثواب
 الفاقد اعظم من ثواب الواجد ، قالوا وكيف يستوى عند الله سبحانه
 ذلة الفقر وكسرتة ، وخضوعه وتجرع مرارته ، وتحمل أعبائه ومشاقه ، وعزة
 الغنى ولذته وصولته والتمتع بلذاته ، ومباشرة حلاوته ، فبعين الله ما يتحمل الفقراء
 من مرارة فقرهم وصبرهم ورضاهم به عن الله ربهم تبارك وتعالى . وابن
 أجر مشقة المجاهدين الى أجر عباده القاعدين في الأمن والدعة والراحة
 قالوا وكيف يستوى أمران : أحدهما حفت به الجنة ، والثاني حفت به النار ، فان
 أصل الشهوات من قبل المال ، وأصل المكاره من قبل الفقر ، قالوا والفقير
 لا ينفك في خصاصة من مضمض الفقر والجوع والعري والحاجة وآلام الفقر
 وكل واحد منها يكفر ما يقاومه من السيئات ، وذلك زيادة على أجره بأعمال
 البر ، فقد شارك الأغنياء بأعمال البر وامتاز عنهم بما يكفر سيئاته وما امتازوا
 به عليه من الانفاق والصدقة والنفق المتعدى فله سبيل الى لحاقهم فيه وله مثل
 أجورهم وهو أن يعلم الله من نيته انه لو أوتي مثل ما أوتوه لفعل كما يفعلون
 فيقول لو أن لي مالا لعملت بأعمالهم فهو بنيته وأجرهما سواء كما أخبر به

الصادق المصدوق في الحديث الصحيح الذي رواه الامام احمد والترمذي من
 حديث أبي كبشة الانماري، قالوا والفقير في الدنيا بمنزلة المسجون اذ هو
 ممنوع عن الوصول الى شهواته وملذذها، والغنى متخلص من هذا السجن. وقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فالغنى ان لم
 يسجن نفسه عن دواعي الغنى وطغيانه وارسلها في ميادين شهواتها كانت الدنيا
 جنة له، فانما نال الفضل بتشبهه بالفقير الذي هو في سجن فقره. قالوا وقد ذم
 الله ورسوله من عجلت له طيباته في الحياة الدنيا وانه لحري أن يكون عوضا
 عن طيبات الآخرة أو منقصة لها ولا بد كما تقدم بيانه، بخلاف من استكمل
 طيباته في الآخرة لما منع منها في الدنيا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بسويق لوز فأبى أن يشربه، وقال هذا شراب المترفين، قالوا وقد سئل الحسن
 البصري فقيل له رجلان أحدهما تارك للدنيا، والآخر يكتسبها ويتصدق بها
 فقال التارك لها أحب الي. قالوا وقد سئل المسيح قبله عن هذه المسألة عن
 رجلين مر أحدهما بلبنة ذهب فتخطاها ولم يلتفت اليها، ومر بها الآخر فأخذها
 وتصدق بها، فقال الذي لم يلتفت اليها أفضل. ويدل على هذا أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مر بها ولم يلتفت اليها ولو أخذها لانفقها في سبيل الله
 قالوا والفقير الفقيه في فقره يمكنه لحاق الغنى في جميع مآناله بغناه بنيته. وقوله
 فيساويه في أجره و يتميز عنه بعدم الحساب، بعدم المال فساواه بشوابه وتخلص
 من حسابه كما تميز عنه بسبقه الى الجنة بخمسة مائة عام وتميز عنه بشواب صبره
 على ألم الفقر وخصاصته. قال الامام احمد حدثنا عبادة بن مسلم حدثني يونس
 ابن خباب عن أبي البحتري الطائي عن أبي كبشة قال: سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه: فاما الثلاث
 التي أقسم عليهن فانه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر
 عليها إلا زاده الله عز وجل بها عزا، ولا يفتح عبد باب مسألة الا فتح الله له
 باب فقر. وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه فانه قال: انما الدنيا لأربعة نفر
 عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه، ويصل فيه رحمه، يعلم فيه الله حقا

فهذا أفضل المنازل عند الله. وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لي مال عملت فيه بعمل فلان قال فأجرهما سواء. وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل عند الله. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مال لفعلت بفعل فلان قال فهو بنيته ووزرها سواء، فلما فضل الغنى بفعله الحق الفقير الصادق بنيته، والغنى هناك انما نقص بتخلفه عن العمل، والفقير انما نقص بسوء نيته فلم ينفع الغنى غناه مع التخلف ولا ضر الفقير فقره مع حسن النية، ولا نفعه فقره مع سوء نيته، قاله افني هذا بيان كاف شاف في المسألة حاكم بين الفريقين وبالله التوفيق

الباب الرابع والعشرون

في ذكر ما احتجت به الأغنياء من الكتاب والسنة

والآثار والاعتبار

قالت الاغنياء لقد أجلبتم علينا أيها الفقراء بخيل الادلة ورجلها، ونحن نعلم أن عندكم مثلها وأكثر من مثلها، ولكن توسطتم بين التطويل والاختصار وظننتم أنها حكمت لكم بالفضل دون ذوى اليسار، ونحن نحاكمكم الى ما حاكمونا اليه، ونعرض بضاعتنا على من عرضتم بضاعتكم عليه، ونضع أدلتنا وأدلتكم في ميزان الشرع والعقل الذى لا يعزل، فحينئذ يتبين لنا ولكم الفاضل من المفضول، ولكن أخرجوا من بيننا من تشبهه بالفقراء الصادقين الصابرين وليس لباسهم على قلب أحرص الناس على الدنيا وأشجعهم عليها وأبعدهم من الفقر والصبر من كل مظهر للفقر مبطن للحرص غافل عن ربه متبع لهواه مفرط في أمر معاده، قد جعل زى الفقر صناعة وتحلى بما هو أبعد الناس منه بضاعة أو فقير حاجه فقره اضطرار لا اختيار أفزده زهد افلاس لازهد رغبة في الله والدار والآخرة، أو فقير يشكو ربه بلسان قاله وحاله غير راض عن ربه في فقره، بل ان أعطى رضى

وان منع سخط ، شديد اللهف على الدنيا والحسرة عليها ، وهو أفقر الناس فيها فهو أرغب شيء فيها ، وهي أزهد شيء فيه ، وأخرجوا من بيننا ذى الثروة الجموع المنوع المتكاثر بماله المستأثر به الذى قد عض عليه بناجذه وثنى عليه خناصره ، يفرح بزيادته ويأسى على نقصانه ، فقلبه به مشغوف ، وهو على تحصيله ملهوف ، ان عرض سوق الانفاق والبذل أعطى قليلا واكدي ، وان دعى الى الايثار أمعن فى الهرب جدا ، واخلصونا واخواننا من سباق الطائفتين وسادات الفريقين الذين تسابقوا الى الله والدار الآخرة بايمانهم وأحوالهم ونافسوا فى القرب منه باعمالهم وأموالهم ، فقلوبهم عاكفة عليه وهمتهم الى المسابقة اليه ينظر غنيهم الى فقيرهم فاذا رآه قد سبقه الى عمل صالح شمر الى اللحاق به وينظر فقيرهم الى غنيهم فاذا رآه قد فاته بانفاق فى طاعة الله انفق هو من أعماله وأقواله وصبره وزهده نظير ذلك أو أكثر منه ، فهؤلاء اخواننا الذين تكلم الناس فى التفضيل بينهم وأيهم أعلى درجة . وأما اولئك فانما ينظر ايهم تحت الآخر فى العذاب وأسفل منه والله المستعان . اذا عرف هذا فقد مدح الله سبحانه فى كتابه اعمالا وأثنى على أصحابها ولا تحصل الا بالغناء كالزكاة والانفاق فى وجوه البر والجهاد فى سبيل الله بالمال وتجهيز الغزاة واعانة المحاويج وفك الرقاب والاطعام فى زمن المسغبة ، وابن يقع صبر الفقير من فرحة الملهوف المضطر المشرف على الهلاك اذا اعانه الغنى ونصره على فقره ومخمصته ، وابن يقع صبره من نفع الغنى بماله فى نصرته دين الله واعلاء كلمته وكسر اعدائه . وابن صبر أبى ذر على فقره الى شكر الصديق به وشرائه المعذبين فى الله واعتاقهم وانفاقه على نصرته الاسلام حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ما نفعنى مال احد ، ما نفعنى مال ابى بكر . وابن يقع صبر أهل الصفة من انفاق عثمان بن عفان تلك النفقات العظيمة التى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فى بعضها ما ضر عثمان ، ما فعل بعد اليوم ، ثم قال غفر الله لك يا عثمان ما أسررت ، وما أعلنت ، وما أخفيت ، وما أبديت أو كما قال . واذا تأملت القرآن وجدتم الثناء فيه على المنفقين أضعاف الثناء على الفقراء الصابرين . وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

بأن اليد العليا خير من اليد السفلى، وفسر اليد العليا بالمعطية، والسفلى بالسائلة
 وقد عدد الله سبحانه على رسوله صلى الله عليه وسلم من نعمه ان اغناه بعد
 فقره، وكان غناه هو الحالة التي نقله اليها، وفقره الحالة التي نقله منها وهو سبحانه
 كان ينقله من الشيء الى ما هو خير منه. وقد قيل في قوله تعالى «وللاخرة خير
 لك من الأولى» ان المراد به الحالتان أى كل حالة خير لك مما قبلها، ولهذا
 أعقبه بقوله «ولسوف يعطيك ربك فترضى» فهذا يدخل فيه عطاؤه في الدنيا
 والآخرة، قالوا والغنى مع الشكر زيادة فضل ورحمة «والله يختص برحمته من
 يشاء والله ذو الفضل العظيم» قالوا والاغنياء الشاكرون سبب لطاعة الفقراء
 الصابرين لتقويتهم اياهم بالصدقة عليهم والا حسان اليهم واعانتهم على طاعتهم فلهم
 نصيب وافر من اجور الفقراء زيادة الى نصيبهم من اجر الانفاق وطاعتهم التي
 تخصهم كما في صحيح ابن خزيمة من رواية سلمان الفارسي رضى الله عنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم، وذكروا شهر رمضان فقال: من فطر فيه صائما كان مغفورا لذنوبه
 وعتق رقبته من النار، وكان له مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيء، فقد حاز
 الغنى الشاكر اجر صيامه ومثل اجر الفقير الذي فطره، قالوا ولولم يكن للغنى الشاكر
 الا فضل الصدقة التي لما تفاخرت الاعمال كان الفخر لها عليهن كما ذكر
 النظر بن شمیل عن قرعة عن سعيد بن المسيب انه حدث عن عمر بن الخطاب
 قال: ذكر ان الاعمال الصالحة تتباهى فتقول الصدقة انا افضلكم، قالوا والصدقة
 وقاية بين العبد وبين النار، والمخلص المسر بها مستظل بها يوم القيمة في ظل
 العرش، وقد روى عمرو بن الحارث ويزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن
 عقبة بن عامر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ان الصدقة
 لتطفى على أهلها حر القبور. وإنما يستظل المؤمن يوم القيمة في ظل صدقته
 وقال يزيد بن أبي حبيب عن ابى الخير عن عقبة يرفعه: كل امرء في ظل صدقته
 حتى يقضى بين الناس، قال يزيد وكان أبو الخير لا يأتي عليه يوم الا تصدق
 فيه ولو بكعكة او بصل، وفي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم والصدقة
 تطفى الخطيئة كما يطفى الماء النار. وروى البيهقي من حديث أبى يوسف
 القاضي عن المختار بن فلعل عن انس يرفعه: باكروا بالصدقة، فان البلاء

لا يتخطى الصدقة. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا تصدق العبد من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً أخذها الله يمينه فيريها لأحدكم كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل العظيم. وفي لفظ للبيهقي في هذا الحديث حتى أن التمرة أو اللقمة لتكون أعظم من أحد. وقال محمد بن المنكدر من موجبات المغفرة اطعام المسلم السغبان وقد روى مرفوعاً من غير وجه: وإذا كان الله سبحانه قد غفر لمن سقى كلباً على شدة ظمئه فكيف بمن سقى العطاش، وأشبع الجياع، وكسى العراة من المسلمين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة، فجعل الكلم الطيب عوضاً عن الصدقة لمن لا يقدر عليها قالوا واين لذة الصدقة والاحسان وتفرح بهما القلب وتقويتهما إياه وما يلقي الله سبحانه للمتصدقين من المحبة والتعظيم في قلوب عباده والدعاء لهم والشاء عليهم وإدخال المسرات عليهم من أجر الصبر على الفقر، نعم ان له لأجرأ عظيماً لكن الأجر درجات عند الله. قالوا وأيضاً فالصدقة والاحسان والاعطاء وصف الرب تعالى، وأحب عباده اليه من اتصف بذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: الخلق عيال الله. فاحب الخلق اليه أنفعهم لعياله قالوا وقد ذكر الله سبحانه أصناف السعداء فبدأ بالمتصدقين أو لهم فقال تعالى « إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم، والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » فهؤلاء أصناف السعداء ومقدموهم المصدقين والمصدقات، قالوا وفي الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها إلا الله فمنها انها تقى مصارع السوء وتدفع البلاء حتى انها لتدفع عن الظالم. قال ابراهيم النخعي وكانوا يرون أن الصدقة تدفع عن الرجل الظلوم وتطفى الخطيئة وتحفظ المال وتجلب الرزق وتفرح القلب وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به، كما أن البخل سوء الظن بالله وترغم الشيطان يعنى الصدقة وتزكى النفس وتنميتها وتحبب العبد الى الله والى خلقه وتستتر عليه كل عيب، كما أن البخل يغطي عليه كل حسنة، وتزيد في العمر

وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم، وتدفع عن صاحبها عذاب القبر وتكون عليه ظلاً يوم القيمة، وتشفع له عند الله ونهون عليه شدائد الدنيا والآخرة وتدعوه الى سائر أعمال البر فلا تستعصى عليه وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك. قالوا ولولم يكن في النفع والاحسان إلا أنه صفة الله وهو سبحانه يحب من اتصف بموجب صفاته وآثارها فيحب العليم والجواد والحيي والستير، والمؤمن القوى أحب اليه من المؤمن الضعيف، ويحب العدل والعفو والرحيم والشكور والبر والكريم فصفته الغناء والجود ويحب الغنى الجواد، قالوا ويكفى في فضل النفع المتعدى بالمال أن الجزاء عليه من جنس العمل فمن كسى مؤمناً كساه الله من حلل الجنة، ومن أشبع جائعاً أشبعه الله من ثمار الجنة، ومن سقا ظمناً سقاه الله من شراب الجنة، ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار حتى فرجه بفرجه. ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. قالوا ونحن لا ننكر فضيلة الصبر على الفقر، ولكن أين تقع من هذه الفضائل وقد جعل الله لكل شيء قدراً. قالوا وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر، ومعلوم انه إذا تعدى شكره الى الاحسان الى الغير ازداد درجة أخرى: فان الشكر يتضاعف الى ما لا نهاية له بخلاف الصبر فان له حداً يقف عليه، وهذا دليل مستقل في المسألة يوضحه أن الشاكر أفضل من الراضى الذى هو أعلى من الصابر، فاذا كان الشاكر أفضل من الراضى الذى هو أفضل من الصابر كان أفضل من الصابر فى درجتين. قالوا وفى الصحيحين من حديث الزهري عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا فى اثنتين: رجل اتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل والنهار، فجعل الغنى مع الانفاق بمنزلة القرآن مع القيام به. قالوا وقد صرح فى حديث أبى كبشة الانمارى أن صاحب المال إذا عمل فى ماله بعلمه، واتقى فيه ربه، ووصل به رحمه، وأخرج منه حق الله فهو

في أعلى المنازل عند الله، وهذا تصريح في تفضيله وجعل الفقير الصادق إذا نوى
 أن يعمل بعمله وقال ذلك بلسانه ثانياً وأنه بنيته وقوله وأجرهما سواء، فإن كلا
 منهما نوى خيراً وعمل ما يقدر عليه، فالغنى نواه ونفذه بعلمه والفقير العالم
 نواه ونفذه بلسانه فاستوبا في الاجر من هذه الجهة، ولا يلزم من استوائهما
 في أصل الاجر استوائهما في كفيته وتفصيله، فإن الاجر على العمل والنية له
 مزية على الاجر على مجرد النية التي قارنها القول. ومن نوى الحج ولم يكن له
 مال يحج به وان أثيب على ذلك فان ثواب من باشر أعمال الحج مع النية له
 مزية عليه. وإذا أردت فهم هذا فتأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم: من سأل
 الله الشهادة صادقاً من قلبه بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه، ولا
 ريب أن ما حصل للمقتول في سبيل الله من ثواب الشهادة تزيد كفيته وصفاته
 على ما حصل لناوى ذلك إذا مات على فراشه وان بلغ منزلة الشهيد: فها هنا
 أجران أجر وقرب فان استويا في أصل الاجر لكن الاعمال التي قام بها
 العامل تقتضى أثراً زائداً وقرباً خاصاً وهو فضل الله يؤتية من يشاء. وقد قال
 صلى الله عليه وسلم إذا تواجه المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ^(١)
 قالوا هذا القاتل فما بال المقتول، قال انه أراد قتل صاحبه فاستويا في دخول
 النار ولا يلزم استوائهما في الدرجة ومقدار العذاب، فأعطى أفاض رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حقها ونزلها منازلها يتبين لك المراد. يوضح هذا أن
 فقراء المهاجرين شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
 ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ولهم فضول
 أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون، قال أفلا أعلمكم شيئاً
 تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحداً أفضل منكم
 إلا من صنع مثل ما صنعتم، قالوا بلى يا رسول الله، قال تسبحون وتحمدون
 وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم، فقالوا سمع اخواننا أهل الاهوال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال

(١) في هامش الاصل: هذا في قتال العصية ونحوها

رسول الله صلى الله عليه ذلك فضل الله يؤتية من يشاء، فلو كانوا يلحقون بهم في مقدار الاجر بمجرد النية لقال لهم انووا أن تفعلوا مثل فعلهم فتنالوا مثل أجرهم، فلما أعاضهم عن ما فاتهم من ثواب الصدقة والعق والحج والاعتمار بما يحصل نظيره بالذكر علم أن الاغنياء قد فضلوهم بالانفاق، فلما شاركوهم في الذكر بقيت مزية الانفاق فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامتياز لم يزل وانهم قد ساوونا في الذكر كما ساوونا في الصوم والصلاة فاخبرهم أن ذلك فضل الله يؤتية من يشاء، فلو كان لهم سبيل الى مساواتهم من كل وجه بالنية والقول لدلهم عليها. قالت الفقراء هذا الحديث حجة لنا اذا فهم على الحقيقة، وذلك أن معناه انهم وان كانوا قد ساووكم في الايمان والاسلام والصلاة والصيام ثم فضلوكم في الانفاق ففي التكبير والتسبيح والتهيل ما يلحقكم بدرجتهم، وقد ساويتموهم أيضاً بحسن النية اذ لو أمكنكم لانفقتم مثلهم. وفي بعض ألفاظ هذا الحديث ان أخذتم به سبقتم من قبلكم ولم يلحقكم من بعدكم، وهذا يدل على أن الاغنياء لا يلحقونهم وان قالوا مثل قولهم، وقوله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتية من يشاء، معناه ان فضل الله ليس مقصوراً عليكم دونهم، فكما آتاكم الله من فضله بالذکر كذلك يؤتيهم اياه اذا عملوا مثلكم أيضاً، فأنتم فهمتم من الفضل التخصيص فوضعتموه في غير موضعه، وانما معناه العموم والشمول، وان فضله عام شامل للاغنياء والفقراء فلا تذهبون به دونهم. فأين في هذا الحديث التفضيل لكم علينا، قالوا ويحتمل قوله ذلك فضل الله ثلاثة أمور: أحدها سبقكم لكم بالانفاق والثاني مساواتكم لهم في فضيلة الذکر فلم تختصوا به دونهم. والثالث سبقكم لهم الى الجنة بنصف يوم وهذا وان كان لا ذكر له في هذه الرواية فهو مذکور في بعض طرقه. قال البزار في مسنده حدثنا الوليد بن عمر حدثنا محمد بن الزبير بن حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: اشتكى فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل به اغنياؤهم، فقالوا يا رسول الله، اخواننا صدقوا تصديقنا وآمنوا ايماننا، وصاموا صيامنا، ولهم أموال

يتصدقون منها و يصلون منها الرحم و ينفقونها في سبيل الله ونحن مساكين
لا نقدر على ذلك ، فقال ألا أخبركم بشيء اذا اتم فعلتموه ادر كنتم مثل فضلهم
قولوا الله أكبر في كل صلاة احدى عشرة مرة ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا اله الا
الله مثل ذلك ، وسبحان الله مثل ذلك ، تدركون مثل فضلهم ، ففعلوا فذكروا
ذلك للاغنياء ففعلوا مثل ذلك ، فرجع الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا ذلك له ، فقالوا هؤلاء اخواننا فعلوا مثل ما نقول ، فقال ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء ، يامعشر الفقراء الا ابشركم أن فقراء المسلمين يدخلون الجنة
قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام . وتلا موسى بن عبيدة . وان يوما عند
ربك كالف سنة مما تعدون . قالوا فهذا خبر واحد وكلام متصل ذكره
بشارة لهم عند ما ذكروا مساواة الاغنياء لهم في القول المذكور فاشبهه أن يرجع
الفضل الى سبق الفقراء للاغنياء . وانهم بهذه البشارة مخصصون فكان السابق
لهم دون غيرهم وان ساووه في القول وساووه في الانفاق بالنية كما في
حديث أبي كبشة المتقدم وحصلت لهم مزية الفقر . قالت الاغنياء لقد بالغتم
في صرف الحديث عن مقصوده الى جهتكم وهو صريح في تفضيل هذا
الحديث لمن انصف ، فان قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء خرج جوابا
للفقراء عن قولهم إن أهل الثور قد ساووهم في الذكر كما ساووهم في
الصلاة والصوم والايان وبقيت مزية الانفاق ولم يحصل لهم ما يلحقهم
فيها وما علمتنا من الذكر قد لحقونا فيه ، فقال لهم حينئذ ذلك فضل الله يؤتيه
من يشاء ، وهذا صريح جدا في مقصوده ، فلما انكسر القوم بتحقيق السابق الانفاق
الذي عجزوا عنه أخبرهم بالبشارة بالسبق الى دخول الجنة بنصف يوم وأن
هذا السابق في مقابلة ما فاتكم من فضيلة الغنى والانفاق ولا يمكن لا يلزم من ذلك
رفعهم عليهم في المنزلة والدرجة فهؤلاء السبعون الف الذين يدخلون الجنة
بغير حساب من الموقوفين للحساب من هو أفضل من أكثرهم وأعلى منه
درجة ، قالوا وقد سمي الله سبحانه المال خيرا في غير موضع من كتابه كقوله تعالى
« كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية » وقوله « انه لحب

الخير لشديد « وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخير لا يأتي الا بالخير
 كما تقدم، وانما يأتي بالشر معصية الله في الخير لانفسه، واعلم الله سبحانه انه جعل
 المال قواما للانفس وأمر بحفظها ونهى ان يأتي السفهاء من النساء والاولاد
 وغيرهم ومدحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نعم المال الصالح مع المرء
 الصالح. وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يكف
 به وجهه عن الناس، ويصل به رحمه، ويعطى حقه. وقال أبو اسحق السبيعي
 كانوا يرون السعة عوناً على الدين. وقال محمد بن المنكدر نعم العون على التقى
 الغنى. وقال سيفان اثوري المال في زماننا هذا سلاح المؤمن. وقال يوسف
 ابن اسباط ما كان المال في زمان منذ خلقت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان
 والخير كالخيل لرجل أجر ولرجل ستر، وعلى رجل وزر، قالوا وقد جعل
 الله سبحانه المال سبباً لحفظ البدن وحفظه سبب لحفظ النفس التي هي
 محل معرفة الله والايمان به وتصديق رسله ومحبتة والازابة اليه فهو سبب
 عمارة الدنيا والآخرة وانما يذم منه ما استخراج من غير وجهه وصرف في غير
 حقه واستعبد صاحبه وملك قلبه وشغله عن الله والدار الآخرة فيذم منه
 ما يتوسل به صاحبه الى المقاصد الفاسدة أو شغله عن المقاصد المحمودة فالذم
 للجاعل للمجعول. قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد لدينار، تعس عبد
 الدرهم، فذم عبدهما دونهما. قال الامام احمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان
 عن يزيد بن ميسرة قال: كان رجل ممن مضى جمع مالا فأوعى ثم أقبل على
 نفسه وهو في أهله، فقال أنعم سنين، فأناه ملك الموت فقرع الباب في صورة
 مسكين فخرجوا اليه، فقال ادعوا لي صاحب الدار فقالوا يخرج سيدنا الى
 مثلك، ثم مكث قليلاً، ثم عاد فقرع الدار وصنع مثل ذلك وقال أخبروه أني
 ملك الموت فلما سمع سيدهم قعد فزعا وقال لينوا له الكلام، قالوا ما تريد غير
 سيدنا بارك الله فيك قال لا، فدخل عليه فقال قم فأوص ما كنت موصياً
 فاني قابض نفسك قبل أن أخرج قال فصرخ أهله وبكوا، ثم قال افتحوا
 الصناديق وافتحوا أوعية المال ففتحوها جميعاً فأقبل على المال يلعنه ويسبه،

يقول لعنت من مال أنت الذي أنسيته ربي وشغلتني عن العمل لآخرتي حتى بلغني أجل، فتكلم المال فقال لا تسبني ألم تكن وضيعا في أعين الناس فرفعتك ألم ير عليك من أثرى وكنت تحضر سدود الملوك والسادة فتدخل ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون، ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتتكلم، ويخطب عباد الله الصالحون فلا ينيكحون، ألم تكن تنفق في سبيل الخبث فلا أتعاصى ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاص عليك وأنت أوم مني، إنما خلقت أنا وأتم يا بني آدم من تراب، فمنطلق بئر ومنطلق بائم فمكذا يقول المال فاحذروا. وفي أثر يقول الله تبارك وتعالى أموا النار جعت الينا، سعد بها من سعد، وشقى بها من شقى، قالوا ومن فوايد المال انه قوام العبادات والطاعات، وبه قام سوق بر الحج والجهاد، وبه حصل الاتفاق الواجب والمستحب، وبه حصلت قربات العتق والوقف وبناء المساجد والقناطر وغيرها وبه يتوصل الى النكاح الذي هو أفضل من التخلي لنوافذ العبادة وعليه قام سوق المروءة، وبه ظهرت صفة الجود والسخاء، وبه وقيت الأعراض، وبه اكتسبت الاخوان والاصدقاء، وبه توصل الابرار الى الدرجات العلى ومرافقة الذين أنعم الله عليهم فهو مراقبة يصعد بها الى أعلى غرف الجنة، ويهبط منها الى أسفل سافلين، وهو مقيم مجد الماجد كما أن بعض السلف (١) يقول لا مجد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال. وكان بعضهم يقول اللهم اني من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى وهو من أسباب رضى الله عن العبد كما كان من أسباب سخطه عليه وهو لاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله به: الابرص، والاقرع والاعمى. نال به الاعمى رضى ربه ونالا به سخطه، والجهاد ذروة سنام العمل وتارة يكون بالنفس وتارة يكون بالمال وربما كان الجهاد بالمسال انكى وأنفع، وبأى شىء فضل عثمان على على، وعلى أكثر جهادا بنفسه وأسبق

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة الانصارى أو أبوه. راجع البيان والتبيين للجاحظ ج ٣ ص ٢٢٤ وطبقات

إسلاما من عثمان . وهذا الزبير وعبد الرحمن بن عوف افضل من جمهور
 الصحابة مع الغنى الوافر وتأثيرهما في الدين اعظم من تأثير أهل الصفة
 وقد نهى رسول الله صل الله عليه وسلم عن اضاعته وأخبر أن ترك الرجل
 ورثته اغنياء خير له من تركهم فقراء . وأخبر أن صاحب المال لن ينفق نفقة
 يتغنى بها وجه الله الا ازداد بها درجة ورفعة ، وقد استعاذ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من الفقر وقرنه بالكفر فقال : اللهم انى اعوذ بك من
 الكفر والفقر فان الخير نوعان : خير الآخرة والكفر مضاده ، وخير
 الدنيا والفقر مضاده ، فالفقر سبب عذاب الدنيا ، والكفر سبب عذاب الآخرة
 والله سبحانه جعل اعطاء الزكاة وظيفة الاغنياء واخذها وظيفة الفقراء و فرق
 بين اليدين شرعا وقدرًا ، وجعل يدا المعطى أعلى من الآخذ وجعل الزكاة أوساخ
 المال ولذلك حرمها على أطيب خلقه وعلى آله صيانة لهم وتشريفًا ورفعا لاقدارهم
 ونحن لا ننكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فقيرا ثم أغناه الله ، والله فتح
 عليه وخوله ووسع عليه وكان يدخر لاهله قوت سنة ويعطى العطايا التي لم يعطها
 احد غيره ، وكان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر ومات عن فدك والنضير واموال خصه
 الله بها وقال تعالى « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فله وللرسول » فترهه ربه
 سبحانه عن الفقر الذى يسوغ أخذ الصدقة وعوضه عما نزهه عنه بأشرف المال
 واحله وافضله وهو ما أخذه بظل رحمة وقائم سيفه من أعداء الله الذين
 كان مال الله بأيديهم ظلما وعدوانا ، فانه خلق المال ليستعان به على طاعته
 وهو بأيدي الكفار والفجار ظلما وعدوانا ، فاذا رجع الى أوليائه وأهل
 طاعته فاء اليهم ما خلق لهم ولكن لم يكن غنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وملكه من جنس غنى بنى الدنيا واملاكهم ، فان غناهم بالشىء وغناه صلى الله
 عليه وسلم عن الشىء وهو الغنى العالى وملكهم ملك يتصرفون فيه بحسب ارادتهم
 وهو صلى الله عليه وسلم انما يتصرف فى ملكه تصرف العبد الذى لا يتصرف
 الا بأمر سيده . وقد اختلف الفقهاء فى النىء هل كان ملكا للنبي صلى الله عليه
 وسلم على قولين ، هما روايتان عن احمد : اتحقيق ان ملكه له كان نوعا آخر

من الملك وهو ملك يتصرف فيه بالامر كما قال صلى الله عليه وسلم: والله لا اعطى
 احدا ولا أمنع احدا انما انا قاسم اضع حيث ادرت ، ذلك من كمال مرتبة
 عبوديته ولاجل ذلك لم يورث فانه عبد محض من كل وجه لربه عز وجل
 والعبد لا مال له فيورث عنه فجمع الله له سبحانه بين اعلى انواع الغنى وشرف
 انواع الفقر فكم له مراتب الكمال فليست احدى الطائفتين بأحق به من
 الاخرى ، فكان صلى الله عليه وسلم في فقره أصبر خلق الله واشكرهم
 وكذلك في غناه ، والله تعالى جعله قدوة للاغنياء والفقراء وأى غنى أعظم من
 غنى من عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض ، وعرض عليه أن يجعل له
 الصفا ذها ، وخير بين أن يكون ملكا نبيا وبن أن يكون عبدا نبيا ، فاختر
 أن يكون عبدا نبيا ومع هذا فجيئت اليه اموال جزيرة العرب واليمن
 فأنفقها كلها ولم يستأثر منها بشيء ، بل تحمل عيال المسلمين ودينهم فمال
 من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فالى وعلى ، فرجع الله سبحانه قدره
 ان يكون من جملة الفقراء الذين تحمل لهم الصقة كما نزهه أن يكون من
 جملة الاغنياء الذين أغناهم بالاموال المرثية بل أغناه به عن سواه وأغنى
 قلبه كل الغنى ودسع عليه غاية السعة فانفق غاية الانفاق واعطى أجل
 الغطاء ولا اسأثر بالمال ولا اتخذ منه عقابا ولا أرضا ولا ترك شاة ولا
 بعيرا ولا عبدا ولا أمة ولا دينارا ولا درهما فاذا احتج الغنى اشاكر بحاله
 صلى الله عليه وسلم لم يمكنه ذلك الا بعد ان يفعل فعله ، كما ان الفقير الصابر
 اذا احتج بحاله صلى الله عليه وسلم لم يمكنه ذلك الا بعد أن يصبر صبره
 ويترك لذنا اختيارا لا اضطرارا فرسول الله صلى الله عليه وسلم وفى كل
 مرتبه من مرتبى الفقر والغنى حقا وعبوديتها ، وأيضا فان الله سبحانه
 أغنى به الفقراء فما زالت أمته العنى الا به ، واغنى الناس من صار غيره به
 غنيا قال على بن أبى رباح اللخمي كنت عند مسلمة بن مخلد الانصارى وهو
 يومئذ على مصر وبعده الله بن عمرو بن العاص جالس معه فتمثل مسلمة
 ببنت من شعر أبى طالب فقال ، لو ان أباطالب رأى ما نحن فيه اليوم من

نعمة الله وكرامته لعلم ان ابن أخيه سيد قد جاء بخير، فقال عبد الله بن عمرو
 ويومئذ كان سيدي كريما قد جاء بخير، فقال مسلمة ألم يقل الله تعالى
 « ألم يجدهم يتيماء فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى » فقال
 عبد الله بن عمرو أما اليتيم فقد كان يتيماً من أبويه ، وأما العيلة فكما كان
 بايدي العرب الى القلة يقول ان العرب كانت كلها مقلّة حتى فتح الله عليه
 وعلى العرب الذين اسلموا ودخلوا في دين الله أفواجا، ثم توفاه الله قبل أن
 يتلبس منها بشيء ومضى وتركها وحذر منها ومن فتنتها قال وذلك معنى
 قوله عائلاً فأغنى ، وأما قوله « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فلم تكن
 الدنيا لترضيه وهو لا يرضاها كلها لأتمته وهو يحذر منها وتعرض عليه
 فيأبأها وإنما هو ما يعطيه من الثواب وما يفتح عليه وعلى امته من ملك
 كسرى وقيصر ودخول الناس في الاسلام وظهور الدين اذ كان ذلك
 محبته ورضاه صلوات الله وسلامه عليه . وروى سفيان الثوري عن الاوزاعي
 عن اسماعيل بن عبد الله عن علي بن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : رأيت ما هو مفتوح بعدى كفرة كفرة فسرتني ذلك فزلت « والضحي
 والليل الى قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى » قال اعطى الف قصر من لؤلؤ
 ترابها المسك في كل قصر ما ينبغي له . قالوا وماذا كرتم من الزهد في الدنيا
 والتقليل منها فالزهد فيها لا يتنافى الغنى ، بل زهد الغنى اكمل من زهد الفقير
 فان الغنى زهد عن قدرة والفقير عن عجز و بينهما بعد بعيد ، وقد كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في حال غناه أزهد الخلق ، وكذلك ابراهيم الخليل كان كثير
 المال وهو أزهد الناس في الدنيا . وقد روى الترمذي في جامعه من حديث أبي
 ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا
 اضاعته ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك اوثق بما في يد الله
 وأن تكون في ثواب المصيبة اذا انت أصبت بها أرغب في ثوابها لو انها
 بقيت لك . وسئل الامام احمد عن الرجل يكون معه الف دينار وهل يكون
 زاهدا قال نعم بشرط أن لا يفرح اذا زادت ، ولا يحزن اذا نقصت . وقال

بعض السلف الزاهد من لا يغلب الحلال شكره ولا الحرام صبره، وهذا
 من أحسن الحدود حقيقة مركبة من الصبر والشكر فلا يستحق اسم
 الزاهد من لا يتصف بهما فمن غلب شكره لما وسع عليه من الحلال وصبره
 لما عرض له من الحرام فهو الزاهد على الحقيقة بخلاف من غلب الحلال
 شكره والحرام صبره فكان شكره وصبره مغلوبين فان هذا ليس بزاهد
 وسمعت شيخ الاسلام يقول الزهد ترك ما لا ينفعك والورع ترك
 ما يضرك. فالزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليدين منها ويقابله الشح
 والحرص وهو ثلاثة أقسام زهد في الحرام، وزهد في الشبهات والمكروهات
 وزهد في الفضلات، فالاول فرض، والثاني فضل، والثالث متوسط بينهما
 بحسب درجة الشبهة وان قويت التحق بالاول والا فبالثالث، وقد يكون
 الثالث واجبا بمعنى انه لا بد منه وذلك لمن شمر الى الله والدار الآخرة
 فزهد الفضلة يكون ضرورة، فان ارادة الدنيا قاذحة في ارادة الآخرة
 ولا يصح للعبد مقام الارادة حتى يفرد طلبه وارادته ومطلوبه فلا ينقسم
 المطلوب ولا الطلب. أما توحيد المطلوب أن لا يتعلق طلبه وارادته بغير الله
 وما يقرب اليه ويدني منه، وأما توحيد في الطلب أن يستأصل الطلب
 والارادة نوازع الشهوات وجواذب الهوى وتسكن الارادة في اقطار
 النفس فتملأها فلا يدع فيها فضلا لغير الانجذاب الى جانب الحق جل
 جلاله فتمحض الارادة له، ومتى تمحضت كان الزهد لصاحبها ضرورة
 فانه يفرغه لغارة وقته وجمع قلبه على ما هو بصدده وقطع مواد طعمه
 اللاتي هي من أفسد شيء للقلب، بل أصل المعاضى والفساد والفجور
 كله من الطمع، فالزهد يقطع مواده ويفرغ البال ويملا القلب ويستحث
 الجوارح ويذهب الوحشة التي بين العبد وبين ربه، ويجلب الانس به ويقوى
 الرغبة في ثوابه ان ضعف عن الرغبة في قربه والدنو منه وذوق حلاوة
 معرفته ومحبته. فالزاهد أرواح الناس بدنا وقلبا فان كان زهده وفراغه
 من الدنيا قوته في ارادة الله والدار الآخرة بحيث فرغ قلبه لله وجعل

حرصه على التقرب اليه وشحه على وقته أن يضع منه شيء في غير ما هو
 أرضى لله وأحب إليه كان من أنعم الناس عيشاً وأقرهم عيناً وأطيبهم نفساً
 وأفرحهم قلباً، فإن الرغبة في الدنيا تشتت القلب وتبدد الشمل وتطيل
 الهم والغم والحزن فهي عذاب حاضر يؤدي إلى عذاب منتظر أشد منه
 وتفوت على العبد من النعم أضعاف ما يروم تحصيله بالرغبة في الدنيا . قال
 الامام احمد حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا يعنى ابن مسلم عن ابراهيم
 يعنى بن ميسرة عن طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن ، وأن الرغبة في الدنيا تطيل
 الهم والحزن وإنما تحصل الهموم والغموم والاحزان من جهتين : أحدهما
 الرغبة في الدنيا والحرص عليها، والثاني التقصير في أعمال البر والطاعة . قال
 عبد الله بن أحمد حدثني بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم عن بشر بن
 الحارث قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن ليث عن الحكم قال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم إذا قصر العبد بالعمل ابتلاه الله عز وجل بالهم وكما
 أن الرغبة في الدنيا أصل المعاصي الظاهرة فهي أصل معاصي القلب من
 التسخط والحسد والكبر والفخر والخيلاء والتكاثر ، وهذا كله من امتلاء
 القلب بها لا من كونها في اليد، وامتلاء القلب بها ينافي الشكر ، ورأس الشكر
 تفرغ القلب منها وبالله التوفيق . وامتداد المال كامتداد العمر والجاه ، فخيركم
 في الدنيا من طال عمره وحسن عمله ، فهكذا من امتد ماله وكثر به خيره ، فنعم
 المرء وماله وجاهه، إما أن يرفعه درجات، وإما أن يضعه درجات . وسر المسألة
 أن طريق الفقر والتقليل طريق سلامة مع الصبر ، وطريق الغنى والسعة في
 الغالب طريق عطب ، فإن اتقى الله في ماله ووصل به رحمه وأخرج منه حق
 الله وليس مقصوراً على الزكاة بل من حقه اشباع الجائع وكسوة العارى
 واغاثة الملهوف واغاثة المحتاج والمضطر، فطريقه طريق غنيمة وهي فوق السلامة
 فمثل صاحب الفقر كمثل مريض قد حبس بمرضه عن أعراضه فهو يثاب على
 حسن صبره على حبسه . وأما الغنى فخطره عظيم في جمعه وكسبه وصرفه فإذا

سلم كسبه وحسن أخذه من وجهه و صرفه في حقه كان أنفع له، فالفقير كالمتعبد المنقطع عن الناس والغني المنفق في وجوه الخير كالمعين والمعلم والمجاهد. ولهذا جعله النبي صلى الله عليه وسلم قرين الذي أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها وعلمها فهو أحد المحسودين لذين لا ثالث لهما والجملة يغبطون المنقطع المتخلى المقصور النع على نفسه ويحلمونه أولى الحسد من الغنى المنفق والعالم المعلم فان قيس فأيهما أفضل، من يختار الغنى المتصدق والانفاق في وجوه البر، ام من يختار الفقر والتقليل ليعبد عن الفتنة ويسلم من الآفة ويرفه قلبه على الاستعداد للآخرة فلا يشغله بالدنيا، أم من لا يختار لاهذا ولا ذاك بل يختار ما اختاره الله له فلا يعبر باختياره واحداً من الأمرين، قيل هذا موضع اختلاف فيه حال السلف الصالح فممنهم من اختار المال للجهد به والانفاق و صرفه في وجوه البر كعبد الرحمن بن عوف وغيره من مياسير الصحابة، وكان قيس بن سعد يقول اللهم انى من عبائك الذين لا يصلحهم الا الغنى، ومنهم من اختار الفقر والتقليل كأبي ذر وجماعة من الصحبة معه، وهؤلاء نظروا الى آفات الدنيا وخشوا المنة بها. وأولئك نظروا الى مصالح لانفاق وثمراته العاجلة والآجلة، والفرقة الثالثة لم تختار شيئاً بل كان اختيارها ما اختاره الله لها، وكذلك اختيار طول البقاء في الدنيا لأقامة دين الله وعبادته، فطائفة اختارته وتمتته، وطائفة أحببت الموت ولقاء الله والراحة من الدنيا، وطائفة ثالثة لم تختار هذا ولا ذاك، بل اختارت ما يختاره الله لها، وكان اختيارهم معلقاً بما يريد الله دون مراد معين منهم، وهى حال الصدق رضى الله عنه فانهم قالوا له في مرض موته ألا ندعوك الطيب فقال قد رأيته، فقالوا فما قال لك قال: قال لى انى فعال لما يريد. والاولى حال موسى عليه السلام فانه لما جاءه ملك الموت لطمه ففقاً عينه ولم يكن ذلك حيا منه للدنيا والعيش فيها ولكن لينفذ أوامر ربه ويقم دينه ويجهاد أعداءه فكأنه قال لملك الموت أنت عبد مأمور، وأنا عبد مأمور. وأنا فى تنفيذ أوامر ربي وقمة دينه، فلما عرضت عليه الحياة الطويلة وعلم أن الموت بعدها اختار ما اختاره الله له. وأما نبينا صلوات الله وسلامه عليه فان ربه

أرسل إليه يخبره وكان أعلم الخلق بالله ، فلم أن ربه تبارك وتعالى يحب لقاءه ويختاره له فاختر لقاء الله . ولو علم أن ربه يحب له البقاء في الدنيا لتنفيذ أوامره واقامة دينه لما اختار غير ذلك فكان اختياره تابعاً لاختيار ربه عز وجل ، فكما أنه لما خيره ربه عز وجل بين أن يكون ماسكاً نبياً وبين أن يكون عبداً نبياً وعلم أن ربه يختاره له أن يكون عبداً نبياً اختار ما اختاره الله له فكان اختياره في جميع أموره تابعاً لاختيار الله له . ولهذا يوم الحديبيه احتمل ما احتمل من تلك الحال في ذلك الوقت ووفي هذا المقام حقه ولم يثبت عليه من كل وجه إلا الصديق ، فلم يكن له اختيار في سوى ما اختاره الله له ولأصحابه من تلك الحال التي تقرر الامر عليها فكان راضياً بها محتاراً لها مشاهداً اختيار ربه لها وهذا غاية العبودية ، فشكر الله له ذلك وجعل شكرانه مابشره به في أول سورة الفتح حتى هنا الصحابة به ، وقالوا هنيئاً لك يا رسول الله وحق له أن يهنأ بأعظم ما هنيء به بشر صلوات الله وسلامه عليه

فصل

وما ينبغي أن يعلم أن كل خصلة من خصال الفضل قد أحل الله رسوله صلى الله عليه وسلم في أعلاها وخصه بذروة سنامها ، فاذا احتجت بحاله فرقة من فرق الامة التي تعرفت تلك الخصال وتقاسمتها على فضلها على غيرها أمكن الفرقة الاخرى أن تحتج به على فضلها أيضاً ، فاذا احتج به المجاهدون على أنهم أفضل الطوائف احتج به العلماء والفقهاء على مثل ما احتج به أولئك واذا احتج به الزهاد والمتخلفون عن الدنيا على فضلهم احتج به الداخلون في الدنيا والولاية وسياسة الرعية لأقامة دين الله وتنفيذ أمره . واذا احتج به الفقير الصابر احتج به الغني الشاكر . واذا احتج به أهل العبادة على فضل وافل العبادة وترجيحها احتج به العارفون على فضل المعرفة ، واذا احتج به أرباب التواضع والحلم احتج به أرباب العز والقهر للبطلين والغاظة عليهم والبطش بهم ، واذا احتج به أرباب القار والهيبه والرزانه احتج به أرباب الخلق الحسن والمزاح المباح الذي لا يخرج عن الحق وحسن العشرة للأهل والاصحاب ، واذا احتج

به أصحاب الصدع بالحق والقول به في المشهد والمغيب احتج به أصحاب المداراة
 والحياء والكرم أن يبادروا الرجل بما يكرهه في وجهه، وإذا احتج به المتورعون
 على الورع المحمود احتج به الميسرون المسهلون الذين لا يخرجون عن سعة
 شريعته ويسرها وسهولتها، وإذا احتج به من صرف عنايته إلى إصلاح دينه
 وقلبه احتج به من راعى إصلاح بدنه ومعيشته ودنياه فإنه صلى الله عليه وسلم
 بعث لإصلاح الدنيا والدين، وإذا احتج به من لم يعلق قلبه بالأسباب ولا ركن
 إليها احتج به من قام بالأسباب ووضعها مواضعها وأعطاهما حقها، وإذا احتج
 به من جاع وصبر على الجوع احتج به من شبع وشكر ربه على الشبع، وإذا
 احتج به من أخذ بالعفو والصفح والاحتمال احتج به من اتقم في مواضع
 الانتقام، وإذا احتج به من أعطى الله ووالى الله احتج به من منع الله وعادى الله
 وإذا احتج به من لم يدخر شيئاً لغد احتج به من يدخر لاهله قوت سنة، وإذا
 احتج به من يأكل الحشن من القوت والادم كخبز الشعير والخل احتج به
 من يأكل اللذيذ الطيب كالشوى والحلوى والفاكهة والبطيخ ونحوه، وإذا
 احتج به من سرد الصوم احتج به من سرد الفطر فكان يصوم حتى يقال لا يفطر
 ويفطر حتى يقال لا يصوم، وإذا احتج به من رغب عن الطيبات والمشتهيات
 احتج به من أحب أطيب ما في الدنيا وهو النساء والطيب، وإذا احتج به
 من ألان جانبه وخفض جناحه لنسائه احتج به من أدهن وآلمن وطلق
 وهجر وخيرهن، وإذا احتج به من ترك مباشرة أسباب المعيشة بنفسه احتج
 به من باشرها بنفسه فأجر واستأجر وباع واشترى واستسلف وأدان
 ورهن، وإذا احتج به من يجتنب النساء بالكلية في الحيض والصيام
 احتج به من يباشر امرأته وهي حائض بغير الوطء ومن يقبل امرأته وهو
 صائم، وإذا احتج به من رحم أهل المعاصي بالقدر احتج به من أقام عليهم
 حدود الله فقطع السارق ورجم الزاني وجلد الشارب، وإذا احتج به من
 أرباب الحكم بالظاهر احتج به أرباب السياسية العادلة المبنية على القرائن
 الظاهرة فإنه حبس في تهمة وعاقب في تهمة. وأخبر عن نبي الله سليمان أنه عليه

السلام حكم بالولد للمرأة بالقرينة الظاهرة مع اعترافها لصاحبها به فلم يحكم
بالاعتراف الذي ظهر له بطلانه بالقرينة. وترجم ابو عبد الرحمن على الحديث
ترجمتين: احدهما قال التوسعة للحاكم ان يقول للشيء الذي لا يفعله افعله
ليستبين به الحق، ثم قال الحكم بخلاف ما يعترف به المحكوم عليه، اذا تبين
للحاكم أن الحق غير ما اعترف به، وكذلك الصحابة عملوا بالقرائن في حياته
وبعده فقال على رضى الله عنه للمرأة التي حملت كتاب حاطب لتخرجن
الكتاب أو لأجردنك. وحمد عمر رضى الله عنه فى الزنا بالحيل، وفى الخبر
بالرأحة. وحكى الله سبحانه عن شاهد يوسف حكاية مقرر عن منكر أنه حكم
بقرينة شق القميص من دبر على براءته. وقال صلى الله عليه وسلم لابن أبى
الحقيق وقد زعم أن النفقة أذهبت كنز حى بن أخطب: العهد قريب والمال
أكثر من ذلك فاعتبر قرينتين دالتين على بقاء المال وعاقبه حتى أقر به، وجوز
لأولياء القتل أن يحلفوا على رجل انه قتله ويقتلونه به بناء على القرائن
المرجحة صدقهم. وشرع الله سبحانه رجم المرأة اذا شهد عليها زوجها فى
اللعان وأبت أن تلعن للقرينة الظاهرة على صدقه. وشرعته صلى الله عليه
وسلم طالحة بذلك لمن تأملها بالحكم بالقرائن الظاهرة من نفس شريعته، وما جاء
به فهو حجة لقضاة الحق وولاية العدل كما أنه حجة على قضاة السوء وولاية
الجور والله المستعان. والمقصود بهذا الفصل انه ليس الفقراء الصابرون بأحق
به صلى الله عليه وسلم من الاغنياء الشاكرين، وأحق الناس به أعلمهم بسنته
وأتبعهم لها وبالله التوفيق

الباب الخامس والعشرون

فى بيان الامور المضادة للصبر والمنافية له والقادحة فيه

لما كان الصبر حبس اللسان عن الشكوى الى غير الله، والقلب عن
التسخط، والجوارح عن اللطم وشق الثياب ونحوها، كان ما يضاذه واقعا على
هذه الجملة، فمنه الشكوى الى المخلوق، فاذا شكى العبد ربه الى مخلوق مثله فقد

شكى من يرحمه الى من لا يرحمه، ولا تضاده الشكوى الى الله كما تقدم في شكاية يعقوب الى الله مع قوله فصبر جميل، وأما اخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بارشاده أو معاونته والتوصل الى زوال ضرورة لم يقدر ذلك في الصبر كأخبار المريض للطبيب بشكايته، واخبار المظلوم لمن يتصر به بحاله واخبار المبتلى ببلائه لمن كان يرجو أن يكون فرجه على يديه. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل على المريض يسأله عن حاله ويقول كيف تجدك وهذا استخبار منه واستعلام بحاله. وأما الانين فهل يقدر في الصبر، فيه روايتان عن الامام احمد قال ابو الحسين أصحهما الكرامة لما روى عن طاوس أنه كان يكره الانين في المرض، وقال مجاهد كل شيء يكتب على ابن آدم مما يتكلم حتى أنينه في مرضه، قال هؤلاء وان الانين شكوى بلسان الحال ينافي الصبر، وقال عبد الله بن الامام احمد قال لي أبي في مرضه لذي توفي فيه أخرج الى كتاب عبد الله بن ادريس فأخرجت الكتاب، فقال أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم فأخرجت أحاديث ليث، فقال اقرأ على أحاديث ليث، قال قلت لطاحه أن طاوس كان يكره الانين في المرض فما سمع له أنين حتى مات فما سمعت أبي أن في مرضه ذلك الى أن توفي، والرواية الثانية انه لا يكره ولا يقدر في الصبر، قال بكر بن محمد عن أبيه سئل احمد عن المريض يشكو ما يجد من الوجع فقال تعرف فيه شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم حديث عائشة وارساه وجعل يستحسنه، وقال المروزي دخلت على أبي عبد الله وهو مريض فسألته فتغرغرت عينه وجعل يخبرني ما مر به في ليلته من العلة. والتحقيق أن الانين على قسمين: أنين شكوى فيكره وأنين استراحه وتفريج فلا يكره والله أعلم. وقد روى في أثر أن المريض اذا بدأ بحمد الله ثم أحبر بحاله لم يكن شكوى. وقال شقيق البلخي من شكى من مصيبة نزلت به الى غير الله لم يجد في قلبه حلاوة لطاعة الله أبداً

فصل

والشكوى نوعان شكوى بلسان القال وشكوى بلسان الحال ولعلها أعظمها

ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم من أنعم عليه أن يظن نعمة الله عليه وأعظم من ذلك من يشتكى ربه وهو بخير فهذا أمدت الخلق عند ربه . قال الامام احمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا كهيمس عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب الاحبار إن من حسن العمل سبحة الحديث ، ومن شر العمل التحذيف ، قيل لعبد الله ما سبحة الحديث . قال سبحان الله وبحمده في خلال الحديث ، قيل فما التحذيف قال يصبح الناس بخير فيسئلون فيزعمون أنهم بشر

فصل

وما ينافي الصبر شق الثياب عند المصيبة ولطم الوجه والضرب باحدى اليدين على الاخرى وحلق الشعر والدعاء بالويل ، ولهدا برى النبي صلى الله عليه وسلم ممن صلق وحلق وخرق صاق رفع صورته عند المصيبة وحلق رأسه وشق ثيابه ولا ينافيه البكاء والحزن قال الله تعالى عن يعقوب « وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم » قال قتادة كظيم على الحزن فم يقل الاخيرا . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما كان من العين ومن القلب فمن الله والرحمة ، وما كان من انيد واللسان فمن الشيطان ، وقال هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حسان بن أبي جبلة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بث فلم يصبر . وقال خالد بن ابى عثمان مات ابن لى فرآنى سعيد بن جبير متقنعا ، فقال اياك والتمنيع فانه من الاستكانة وقال بكر بن عبد الله المزني كان يقال من الاستكانة لجلوس في البيت بعد المصيبة وقال عبيد بن عمير ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القاب ولا ك الجزع القول السيء والظن السيء . وسئل القاسم بن محمد عن الجزع ، فقل القول السيء والظن السيء . ومات ابن لبعض قضاة البصرة فاجتمع اليه العلماء والفقهاء فتداكروا ما يتبين به جزع لرجل من صبره ، فأجمعوا انهم اذا ترك شيئا مما كان يصنعه فقد جزع . وقال الحسين بن عبد العزيز الحورثي مات ابن لى نفيس فقلت لآمه اتقى الله واحتسبيه ، واصبرى فقالت بصيتي به أعظم من أن أفسدها بالجزع . وقال عبد الله ابن المبارك أتى رجل يزيد

ابن يزيد وهو يصلي وابنه في الموت ، فقال ابنك يقضى وانت تصلي ، فقال ان الرجل اذا كان له عمل يعمل فتركه يوما واحدا كان ذلك خلا في عمله وقال ثابت أصيب عبد الله بن مطرف بمصيبة فرأيتة احسن شيء شارة وأطيبه ريحا فذكرت له ما رأيت ، فقال تأمرني يا أبا محمد ان استكين للشيطان وأريه انه قد أصابني سوء ، والله يا ابا محمد لو كانت لي الدنيا كلها ثم أخذها مني ثم سقاني شربة يوم القيامة ما رأيتها ثمناً لتلك الشربة . ومما يقدر في الصبر اظهار المصيبة والتحدث بها وكتمانها رأس الصبر . وقال الحسن بن الصباح في مسنده حدثنا خلف بن تميم حدثنا زافر بن سليمان عن عبد العزيز بن ابي رواد عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من البر كتمان المصائب والامراض والصدقة . وذكر انه من بث فلم يصبر . وروى من وجه آخر عن الحسن يرفعه : من البر كتمان المصائب وما صبر من بث . ولما نزل في احدى عيني عطاء الماء مكث عشرين سنة لا يعلم به أهله حتى جاء ابنه يوما من قبل عينه فعلم ان الشيخ قد أصيب . ودخل رجل على داود الطائي في فراشه فراه يرجف فقال انا لله وانا اليه راجعون ، فقال له ، لا تعلم بهذا أحدا ، وقد اعد قبل ذلك أربعة اشهر لا يعلم بذلك أحد . وقال مغيرة شكى الاحنف الى عمه وجع ضرسه فكرر ذلك عليه ، فقال ما تكرر علي ، لقد ذهبت عيني منذ اربعين سنة فما شكوتها الى أحد

فصل

ويضاد الصبر الهلع وهو الجزع عند ورود المصيبة والمنع عند ورود النعمة قال تعالى (ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا) وهذا تفسير الهلع قال الجوهري الهلع أخش الجزع وقد هلع بالكسر فهو هلع وهلوع . وفي الحديث شرماني العبد شح هالع وجبن خالع . قلت هنا امران ، أمر لفظي وأمر معنوي ، فأما اللفظي فانه وصف الشح بكونه هالع والالهع صاحبه ، واكثر ما يسمى هلوعا ولا يقال هالع له فانه لا يتعدى . ففيه

أرباب البصائر بصبره سبحانه كعلمهم برحمته وعفوه وستره مع انه صبر
مع كمال علم وقدرة وعظمة وعزة وهو صبر من أعظم مصبور عليه
فإن مقابلة أعظم العطاء وملك الملوك وأكرم الأكرمين ومن احسانه فوق
كل احسان بغاية القبيح وأعظم الفجور وأخش الفواحش ونسبته الى كل
مالا يليق به والقدح في كماله وأسمائه وصفاته والاحاد في آياته وتكذيب رسله
عليهم السلام ومقابلتهم بالسب والشتم والاذى وتحريق أوليائه وقتلهم
واهانتهم أمر لا يصبر عليه إلا الصبور الذي لا أحد أصبر منه، ولا نسبة لصبر
جميع الخلق من أولهم الى آخرهم الى صبره سبحانه. واذا أردت معرفة صبر الرب
تعالى وحلمه والفرق بينهما فتأمل قوله تعالى « إن الله يمسك السموات
والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حلياً
غفوراً » وقوله « وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا، تكاد السموات
تتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا، » وقوله
« وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » على قراءة من فتح اللام فاخبر سبحانه
أن حلمه ومغفرته يمنعان زوال السموات والارض، فالحلم وأمسكهما
أن تزولا هو الصبر، فبحلمه صبر عن معاجلة أعدائه. وفي الآية إشعار بأن
السموات والارض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد فيمسكها بحلمه
ومغفرته وذلك حبس عقوبته عنهم وهو حقيقة صبره تعالى، فالذي عنه
الامسك هو صفة الحلم، والامسك هو الصبر وهو حبس العقوبة ففرق بين
حبس العقوبة وبين ما صدر عنه حبسها فتأمل. وفي مسند الامام احمد مرفوعا
ما من يوم الا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم، وهذا مقتضى الطبيعة لان
كرة الماء تعلق التراب بالطبع ولكن الله يمسكه بقدرته وحلمه وصبره
وكذلك خروار الجبال وتفطير السموات الرب تعالى يحبسها عن ذلك
بصبره وحلمه فان ما يأتي به الكفار والمشركون والفجار في مقابلة العظمة
والجلال والاكرام يقتضى ذلك فجعل سبحانه في مقابلة هذه الاسباب أسباباً
يجبها ويرضاها ويفرح بها أكمل فرح وأتمه تقابل تلك الاسباب التي هي سبب

زوال العالم وخرابه فدفعت تلك الاسباب وقاومتها وكان هذا من
 آثار مدافعة رحمته لغضبه وغلبته اياه فغلب أثر الرحمة
 أثر الغضب كما غلبت الرحمة الغضب ولهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم
 بصفة الرضا من صفة السخط وبفعل المعافاة من فعل العقوبة. ثم جمع الامرين
 في الذات اذ هما قائمان بها: فقال أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من
 عقوبتك، وأعوذ بك منك، فان ما يستعاذ به هو صادر عن مشيئته وخلفه بأذنه
 وقضائه فهو الذي أذن في وقوع الاسباب التي يستعاذ منها خلقاً وكوناً، فمنه
 السبب والمسبب وهو الذي حرك الأنفس والابدان وأعطاهما قوى التأثير
 وهو الذي أوجدها وأعدّها ومدّها وسلطها على ما شاء، وهو الذي يمسكها اذا
 شاء ويحول بينها وبين قواها وتأثيرها. فتأمل ماتحت قوله أعوذ بك منك من
 محض التوحيد وقطع الالتفات الى غيره وتكميل التوكل عليه تعالى والاستعانة
 به وحده وإفراده بالخوف والرجاء ودفع الضر وجلب الخير وهو الذي يمس
 بالضر بمشيئته وهو الذي يدفعه بمشيئته، وهو المستعاذ بمشيئته من مشيئته، وهو
 المعيد من فعله بفعله، وهو الذي سبحانه خلق ما يصبر عليه وما يرضى به، فاذا
 أغضبه معاصي الخلق وكفرهم وشرهم وظلمهم ارضاه تسييح ملائكته وعباده
 المؤمنين له وحمدهم اياه وطاعتهم له فيعيد رضاه من غضبه. قال عبد الله بن
 مسعود رضى الله عنه: ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والارض من
 نور وجهه، وان مقدار يوم من أيامكم عنده اثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه
 أعمالكم بالامس أول النهار اليوم، فينظر فيها ثلاث ساعات فيطلع منها على
 ما يكره فيغضبه ذلك، فأول ما يعلم بغضبه حملة العرش يحدونه يثقل عليهم
 فتسبحه حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة
 حتى ينفخ جبريل في القرن فلا يبقى شيء الا يسمع صوته فيسبحون الرحمن
 ثلاث ساعات حتى يمتلىء الرحمن رحمة فتلك ست ساعات، قال ثم يؤتى بالارحام
 فينظر فيها ثلاث ساعات فذلك قوله تعالى «هو الذي يصوركم في الارحام كيف
 يشاء ويهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكراً وإناثاً
 ويجعل من يشاء عقيماً» فتلك تسع ساعات ثم يؤتى بالارزاق فينظر فيها ثلاث

ساعات فذلك قوله « يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » وقوله « كل يوم هو في شأن » قال هذا شأنكم وشأن ربكم رواه أبو القاسم الطبراني في السنة وعثمان ابن سعيد الدارمي وشيخ الاسلام الانصاري وابن مندة وابن خزيمة وغيرهم ولما ذكر سبحانه في سورة الانعام اعداءه وكفرهم وشركهم وتكذيب رسله ذكر في أثر ذلك شأن خليله ابراهيم وما أراه من ملكوت السموات والارض وما حاج به قومه في اظهار دين الله وتوحيده ، ثم ذكر الانبياء من ذريته وانه هداهم وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة ثم قال « فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين . فأخبر أنه سبحانه كما جعل في الارض من يكفر به ويحدد توحيده ويكذب رسله كذلك جعل فيها من عباده من يؤمن بما كفر به أولئك ويصدق بما كذبوا به ويحفظ من حرمانه ما أضاعوه وبهذا تماسك العالم العلوي والسفلي ، والا فلو تبع الحق أهواء أعدائه لفسدت السموات والارض ومن فيهن ولخرب العالم . ولهذا جعل سبحانه من أسباب خراب العالم رفع الاسباب الممسكة له من الارض وهي كلامه وبيته ودينه والقائمون به فلا يبقى لتلك الاسباب المقتضية لخراب العالم أسباب تقاومها وتمانعها . ولما كان اسم الحلم ادخل في الاوصاف واسم الصبور في الافعال كان الحلم أصل الصبر فوقع الاستغناء بذكره في القرآن عن اسم الصبور والله أعلم .

فصل

وأما تسميته سبحانه بالشكور فهو في حديث أبي هريرة وفي القرآن تسميته شاكراً . قال الله تعالى « وكان الله شاكراً عليماً » وتسميته أيضاً شكور ، قال الله تعالى « والله شكور حلیم » وقال تعالى « ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا فجمع لهم سبحانه بين الامرين ان شكر سعيهم وأثابهم عليه والله تعالى يشكر عبده اذا أحسن طاعته ويغفر له اذا تاب اليه فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لآسائه انه غفور شكور ، وقد تقدم في الباب

العشرين ذكر حقيقة شكر العبد وأسبابه ووجوهه وأما شكر الرب تعالى فله
 شأن آخر كشأن صبره فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور بل هو الشكور على
 الحقيقة فانه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه ويشكر القليل من العمل والعطاء
 فلا يستقله أن يشكره ويشكر الحسنة بعشر أمثالها الى أضعاف مضاعفة
 ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملائته الاعلى ويلقى له الشكر
 بين عباده ويشكره بفعله فاذا ترك شيئاً أعطاه أفضل منه واذا بذل له شيئاً رده
 عليه اضعافاً مضاعفة وهو الذي وفقه للترك والبذل وشكره على هذا وذلك
 ولما عقر نبيه سليمان الخيل غضبا له اذ شغلته عن ذكره فأراد ألا تشنله مرة
 أخرى أعاضه عنها متن الريح ولما ترك الصحابة ديارهم وخرجوا منها في مرضاته
 أعاضهم عنها ان ملكهم الدنيا وفتحها عليهم ولما احتمل يوسف الصديق ضيق
 السجن شكر له ذلك بأن مدن له في الارض يتبوا منها حيث يشاء ولما بذل
 الشهداء أبدانهم له حتى مزقتها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضهم منها طيراً
 خضرا أقر أرواحهم فيها ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها الى قوم البعث فيردها
 عليهم أكمل ما تكون واجمله وأبهاه ولما بذل رسله اعراضهم فيه لاعادتهم
 فنالوا منهم وسبواهم أعاضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكته وجعل لهم
 أطيب الثناء في سمواته وبين خلقه فأخلصهم بخالصة ذكرى الدار ومن شكره
 سبحانه انه يجازى عدوه بما يفعله من الخير والمعروف في الدنيا ويخفف
 به عنه يوم القيامة فلا يضيع عليه ما يعمل من الاحسان وهو من أبغض
 خلقه اليه ومن شكره انه غفر للمرأة البغي بسقيها كلبا كان قد جهده
 العطش حتى أكل الثرى وغفر لآخر بتنجية غصن شوك عن طريق
 المسلمين فهو سبحانه يشكر العبد على احسانه لنفسه والمخلوق انما يشكر
 من احسن اليه وأبلغ من ذلك انه سبحانه هو الذي أعطى العبد ما يحسن
 به الى نفسه وشكره على قليله بالاضعاف المضاعفة التي لا نسبة
 لاحسان العبد اليها فهو المحسن باعطاء الاحسان واعطاء الشكر فمن أحق
 باسم الشكور منه سبحانه وتأمل قوله سبحانه « ما يفعل الله بعذابكم ان

شكرتم وآمنتهم وكان الله شاكرا عليما « كيف نجد في ضمن هذا الخطاب ان شكره تعالى يأتي تعذيب عباده سدى بغير جرم كما يأتي اضاءة سعيهم باطلا فالشكور لا يضيع أجر محسن ولا يعذب غير مسيء وفي هذا رد لقول من زعم انه سبحانه يكلفه ما يطيقه ، ثم يعذبه على ما لا يدخل تحت قدرته تعالى الله عن هذا الظن الكاذب والحسبان الباطل علواً كبيراً . فشكره سبحانه اقتضى ان لا يعذب المؤمن الشكور ، ولا يضيع عمله وذلك من لوازم هذه الصفة فهو منزه عن خلاف ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص التي تنافي كاله وغناه وحمده . ومن شكره سبحانه انه يخرج العبد من النار بأدنى مثقال ذرة من خير ، ولا يضيع عليه هذا القدر . ومن شكره سبحانه أن العبد من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس فيشكره له وينوه بذكره ويخبر به ملائكته وعباده المؤمنين ، كما شكر المؤمن آل فرعون ذلك المقام واثني به عليه ونوه بذكره بين عباده ، وذلك لشكره لصاحب يس مقامه ودعوته اليه فلا يهلك عليه بين شكره ومغفرته الا هالك فانه سبحانه غفور شكور يغفر الكثير من الزلل ويشكر القليل من العمل . ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة كان احب خلقه اليه من اتصف بصفة الشكر ، كما أن أبغض خلقه اليه من عطاها واتصف بضدها ، وهذا شأن اسمائه الحسنی ، أحب خلقه اليه من اتصف بموجبها ، وأبغضهم اليه من اتصف بأضدادها ، ولهذا يبغض الكفور والظالم والجاهل والقاسى القلب والبخيل والجبان والمهين واللئيم وهو سبحانه جميل يحب الجمال ، عليم يحب العلماء ، رحيم يحب الراحمين ، محسن يحب المحسنين ، شكور يحب الشاكرين ، صبور يحب الصابرين ، جواد يحب أهل الجود ، ستار يحب أهل السر ، قادر يلوم على العجز ، والمؤمن القوى أحب اليه من المؤمن الضعيف ، عفو يحب العفو ، وتر يحب الوتر ، وكل ما يحبه من آثار أسمائه وصفاته وموجبها وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها

خاتمة

يامن عزم على السفر الى الله والدار الآخرة قد رفع لك علم فشمر اليه
 فقد أمكن التشمير، واجعل سيرك بين مطالعة منته ومشاهدة عيب النفس
 والعمل والتقصير فما أبقى مشهد النعمة. والذنب للعارف من حسنة يقول
 هذه منجيتي من عذاب السعير. ما المعول الا على عفوه ومغفرته فكل أحد
 اليهما فقير أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي فاغفر لي أنا المذنب المسكين
 وأنت الرحيم الغفور. ماتساوى أعمالك لو سلمت مما يبطلها أدنى نعمة من
 نعمه عليك وأنت مرتين بشكرها من حين أرسل بها اليك فهل رعيته بالله
 حق رعايتها وهي في تصريفك وطوع يديك فتعلق بجبل الرجاء وأدخل من
 باب التوبة والعمل الصالح انه غفور شكور. نهج للعبد طريق النجاة وفتح له
 أبوابها وعرفه طرق تحصيل السعادة وأعطاه أسبابها وحذره من وبال معصيته
 وأشهده على نفسه وعلى غيره شؤمها وعقابها وقال ان أطعت فبفضلي وأنا
 أشكر، وان عصيت فبقضائي وأنا أغفر إن ربنا لغفور شكور، أزاح عن العبد
 العلل، وأمره أن يستعيز به من العجز والكسل، ووعدته ان يشكر له القليل
 من العمل، ويغفر له الكثير من الزلل، ان ربنا لغفور شكور، أعطاه ما يشكر
 عليه ثم يشكره على احسانه الى نفسه لا على احسانه اليه، ووعدته على احسانه
 لنفسه أن يحسن جزاءه ويقربه لديه، وأن يغفر له خطاياها اذا تاب منها
 ولا يفضحه بين يديه ان ربنا لغفور شكور، وثقت بعفوه هفوات المذنبين
 فوسعتهم، وعكفت بكرمه آمال المحسنين فما قطع طمعها، وخرقت السبع الطباق
 دعوات التائبين والسائلين فسمعها ووسع الخلائق عفوه ومغفرته ورزقه
 فما من دابة في الارض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها ومستودعها، ان ربنا
 لغفور شكور، يجود على عبده بالنوال قبل السؤال، ويعطى سائله ومؤمله فوق
 ما تعلق به منهم الآمال، ويغفر لمن تاب اليه ولو بلغت ذنوبه عدد الامواج
 والحصى والتراب والرهال، ان ربنا لغفور شكور. أرحم بعباده من الوالدة

بولدها ، وأفرح بتوبة التائب من الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه في
الارض المهلكة اذا وجدها ، وأشكر للقليل من جميع خلقه ، فمن تقرب اليه
بمثقال ذرة من الخير شكرها وحمدها ، ان ربنا لغفور شكور . تعرف الى عباده
بأسمائه وأوصافه وتجب اليهم بحلمه وآلائه ولم تمنعه معاصيهم بأن جاد
عليهم بآلائه ووعد من تاب اليه وأحسن طاعته بمغفرة ذنوبه يوم لقائه
ان ربنا لغفور شكور . السعادة كلها في طاعته ، والارباح كلها في معاملته
والمحن والبلايا كلها في معصيته ومخالفته ، فليس للعبد أنفع من شكره
وتوبته ، ان ربنا لغفور شكور ، أفاض على خلقه النعمة ، وكتب على نفسه
الرحمة ، وضمن الكتاب الذي كتبه ، ان رحمته تغلب غضبه ، ان ربنا لغفور
شكور . يطاع فيشكر وطاعته من توفيقه وفضله ويعصى فيحلم ، ومعصية
العبد من ظلمه وجهله ، ويتوب اليه فاعل القبيح فيغفر له ، حتى كأنه لم يكن
قط من أهله ، ان ربنا لغفور شكور ، الحسنه عنده بعشر أمثالها أو يضاعفها
بلا عدد ولا حسابان ، والسيئة عنده بواحدة ومصيرها الى العفو والغفران
وباب التوبة مفتوح لديه منذ خلق السموات والارض الى آخر الزمان
إن ربنا لغفور شكور . باب الكريم مناخ الآمال ومحط الأوزار ، وسماء عطاياه
لا تقلع عن الغيث بل هي مدرار ، ويمينه ملائى لا تفيضها نفقة سخاء الليل والنهار
ان ربنا لغفور شكور . لا يلقى وصاياه الا الصابرون ، ولا يفوز بعطاياه
الا الشاكرون ، ولا يهلك عليه الا الهالكون ، ولا يشقى بعذابه الا المتمردون
ان ربنا لغفور شكور . فايك أيها المتمردان يأخذك على غرة فانه غيور ، واذا أقمت
على معصيته وهو يمدك بنعمته فاحذره فانه لم يهملك لكنه صبور ، وبشراك
أيها التائب بمغفرته ورحمته انه غفور شكور ، من علم ان الرب شكور تنوع في
معاملته ، ومن عرف انه واسع المغفرة تعلق باذيال مغفرته ، ومن علم ان رحمته
سبقت غضبه لم ييأس من رحمته ، ان ربنا لغفور شكور . من تعلق بصفة من
صفاتة أخذته بيده حتى تدخله عليه ، ومن سار اليه بأسمائه الحسنى وصل اليه
ومن أحبه أحب أسمائه وصفاته ، وكانت أثر شىء لديه حياة القلوب في معرفته

ومحبته، وكال الجوارح في التقرب اليه بطاعته، والقيام بخدمته والألسنة بذكره
والثناء عليه بأوصاف مدحته، فأهل شكره أهل زيادته، وأهل ذكره أهل مجالسته
وأهل طاعته أهل كرامته وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمته، ان تابوا فهو حبيبهم
وان لم يتوبوا فهو طيبهم، يبتليهم بأنواع المصائب، ليكفر عنهم الخطايا ويطهرهم
من المعائب انه غفور شكور. والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه
كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله حمداً يملأ السموات
والأرض وما بينهما وما شاء ربنا من شيء بعد بمجامع حمده كلها ما علمنا
منها وما لم نعلم على نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم، عدد ما حمد الحامدون
وغفل عن ذكره الغافلون، وعدد ما جرى به قلبه واحصاه كتابه، واحاط به قلبه
واحصاه كتابه، وأحاط به علمه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين وعلى سائر الانبياء والمرسلين ورضى الله عن التابعين لهم باحسان
الى يوم الدين

تم الكتاب المسمى بعدة الصابرين وذخيرة، الشاكرين
تصنيف عمدة المحققين وشمس الدين ابن القيم رحمه
الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيراً آمين، على
يد الفقير الى الله المعترف بالعجز والتقصير
الراجي رحمة ربه اللطيف الخبير عبده
ابن عبده وابن امته ومن لاغناء له
عن ربه طرفة عين عبد الله
ابن رشيد بن فرج آل زايد
غفر الله له ولوالديه
ومشايقه وأخوانه
في الله

فهرست

كتاب عدة الصابرين

صحيفة

- | | |
|----|---|
| ٥ | خطبة الكتاب |
| ٦ | فضيلة الصبر |
| ٧ | في أن موضوع الكتاب التعريف بضرورة الصبر والشكر |
| ٨ | مواضيع الكتاب |
| ١١ | معنى الصبر لغة واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها |
| ١٢ | حقيقة الصبر وكلام الناس فيه |
| ١٥ | بيان أسماء الصبر بالاضافة الى متعلقه |
| ١٦ | الفرق بين الصبر والتصبر والاصطبار والمصابرة |
| ١٧ | انقسام الصبر باعتبار محله |
| ١٩ | انقسام الصبر بحسب مقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه |
| ٢٠ | تغلب داعي الدين على جيش الهوى |
| ٢١ | تغلب داعي الهوى على باعث الدين |
| ٢١ | في أنه لاسلطان للشيطان الاعلى من يذل عقله للشهوات |
| ٢٢ | تناوب الغلبة بين داعي الدين وداعي الهوى |
| ٢٣ | اختلاف الصبر قوة وضعفاً |
| ٢٣ | انقسام الصبر الى صبر على الاوامر وصبر عن المناهي وصبر على الاقدار |
| ٢٦ | انقسام الصبر الى واجب ومندوب ومحذور ومكروه ومباح |
| ٢٨ | تفاوت درجات الصبر وأنه اختياري واضطراري |
| ٣١ | في أن الصبر على التكليف — أي الاوامر والنواهي — أفضل من الصبر على الاقدار |
| ٣٢ | حجة القائلين بأفضلية الصبر على النواهي لانه أشق ولانها لارخصة فيها |
| ٣٢ | حجة القائلين بأفضلية الصبر على الاوامر لأن فعل المأمور أحب الى الله |
| ٣٦ | في أن أنواع الصبر على المأمور والمحذور والمقدور متلازمة يعين بعضها بعضاً |

صحيفة

- ٣٨ في أن الصبر محمود وهو الصبر لله وبالله . ومذموم وهو الصبر عن الله
- ٣٩ آراء العلماء في أي نوعي الصبر المحمود أكمل
- ٤١ في أن من تعلق بصفة من صفات الله أوصلته تلك الصفة اليه
- ٤٢ كلام على الصبر مع الله والصبر في الله والصبر عن الله والصبر على الصبر
- ٤٥ الفرق بين صبر الكرام وصبر اللثام
- ٤٦ الاسباب التي تعين على الصبر
- ٤٩ الامور التي تقوى باعث الدين
- ٥٥ في بيان أن الانسان لا يستغنى عن الصبر في حال من الاحوال
- ٥٦ حاجة الانسان الى الصبر على السراء والعافية
- ٥٧ حاجته الى الصبر على الضراء
- ٥٨ حاجته الى الصبر على ما ليس له حيلة في دفعه
- ٥٩ حاجته الى الصبر على ما يكون وروده باختياره ثم لا يستطيع دفعه
- ٦٠ بيان أشق الصبر على النفوس
- ٦٢ ماورد في الصبر من نصوص الكتاب العزيز
- ٦٦ ماورد في الصبر من نصوص السنة
- ٨١ ماورد في الصبر من أقوال الصحابة والتابعين
- ٨٥ حكم البكاء على المصيبة
- ٨٨ تحريم التدب والنياحة
- ٩٠ حديث إن الميت ليعذب بالنياحة عليه
- ٩١ في أن هذا الحديث لا يعارض آية (ولا تزر وازرة وزر أخرى)
- ٩٢ في أن الايمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر
- ٩٥ تنازع الناس في الأفضل من الصبر والشكر . وبيان حجة الصابرين
- ٩٩ بيان حجة الشاكرين
- ١١٦ ذكر بعض النعم الدقيقة التي لا يكاد يفطن العبد لها
- ١١٧ في أن أعمال العبد لاتوافي نعمة من نعم الله
- ١١٨ أدلة أخرى على فضل الشكر على الصبر
- ١٢٥ في أن الشكر أحد نوعي الحقوق التي لله على عبده
- ١٢٥ مقام شهود النعمة

- ١٢٦ في الحكم بين الفريقين ، والفصل بين الطائفتين
- ١٢٧ حقيقة الشكر وماهيته والفرق بينه وبين الحمد
- ١٢٨ تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر
- ١٣٠ حكم المؤلف بأن لاتفاضل بين الشاكر والصابر إلا بالتقوى
- ١٣١ في أنه عليه السلام جمع بين المقامين فهو سيد الشاكرين والصابرين
- ١٣٣ الاحاديث في دخول الفقراء الجنة قبل الاغنياء
- ١٣٥ في أن الاغنياء وأن تأخروا في الحساب فقد يكونون ارفع منزلة في الجنة
- ١٣٦ في أن الغنى والفقير امتحان لحسن العمل
- ١٤٥ في أن المفاخرة نوعان محمودة ومذمومة
- ١٤٦ في أن من يتكاثر بعلمه اسوأ حالا ممن يتكاثر بجاهه وماله
- ١٤٦ في أن الدنيا لاتندم فهي دار صلاح للصالحين ودار فساد للفسدين
- ١٤٨ مثل الحياة الدنيا في القرآن
- ١٤٩ في أن الصبر والشكر مطيتان للايمان لا يحمل إلا عليهما
- ١٥٠ تفصيل الاختلاف في أفضلية الغنى الشاكر أو الفقير الصابر
- ١٥٥ ما احتجت به الفقراء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار
- ١٥٧ احتجاج الفقراء بسورة « الها كم التكاثر »
- ١٥٨ استطراد جليل في تفسير آية « بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل »
- ١٦٠ عود الى الكلام على سورة (الها كم التكاثر)
- ١٦٣ بقية حجج الفقراء من الكتاب والسنة والآثار
- ١٨٨ قولهم إن حب الدنيا رأس الخطايا لانه يقتضى تعليمها وهي حقيرة
- ١٩٠ ٢٤٠ ثانياً لأن الله لعنها ومقتها وأبغضها
- ١٩٠ ثالثاً لأن العبد اذا أحبها صيرها غايته وهي وسيلة للآخرة
- ١٩٢ رابعا لأن محبتها تعترض بين العبد وبين فعل ماينفعه في الآخرة
- ١٩٣ خامساً لأن محبتها تجعلها أ بهرم العبد
- ١٩٣ سادساً لأن محبها أشد الناس عذابا
- ١٩٤ سابعاً لأن عاقشها من أسفه الخلق واقلهم عقلا
- ١٩٨ تمثيل حقيقة الحياة الدنيا ببيان قصرها وطول ما قبلها وما بعدها
- ١٩٩ تمثيل شهواتها في القلب بشهوات الاطعمة في المعدة وما تؤل اليه

	صحيفة	٥
تمثيل الدنيا وأهلها بجزيرة نزلها ركاب سفينة تفرقوا ثم عاد بعضهم للسفينة	١٩٩	٨
وانقطع بعضهم		٩
حديث شريف يتضمن مثل الدنيا وأهلها والمرشد الاعظم	٢٠٠	١
مثالان آخران للدنيا وأهلها من الحديث الشريف	٢٠١	٢
مثال آخر من الحديث الصحيح	٢٠١	٥
حديث (الدنيا خضرة حلوة)	٢٠٤	٦
حديث (الدنيا أهون على الله من السخلة الميتة)	٢٠٥	٩
تمثيل الدنيا بالبحر الذي لا بد للخلق من ركوبه ليقطعوه الى الساحل	٢٠٥	٥
تمثيلها بالعسل والذباب . وبالفتح فيه حب . وبالنار والفراش	٢٠٦	٦
تمثيلها بالوادي المخصب والعدو خلفه	٢٠٧	٧
تمثيلها بمنزل الضيف الكريم	٢٠٨	٨
تمثيلها بالماء المالح للعطشان	٢٠٩	٩
تمثيل مال الدنيا بالصاحب الكاذب والأقارب بالصاحب الضعيف والعمل بالصاحب الصادق	٢٠٩	١٠
تمثيل الدنيا بامرأة جميلة على طريق المنزل المقصود	٢١٠	١٢
تمثيلها بشجرة زائله في طريق مدينة خالدة	٢١١	١٦
تمثيلها في الحديث بثوب شق وبقى معلقا بحيث لا يبقاء له	٢١٣	١١
في انصرامها وتشبيه ما بقي منها بصباية الاناء	٢١٤	١٥
تشبيهها بمدينة عزم ملك على هدمها وبنى لاهلها خيراً منها	٢١٤	١٨
تشبيهها بالمنام والعيش بالحلم والموت باليقظة	٢١٦	٩٠
احتجاج الاغنياء من الكتاب والسنة والاثار والاعتبار	٢١٩	٩١
بيان أنه عليه السلام قد حل من كل خصلة فضل في أعلاها	٢٣٥	٩٢
بيان الامور المضادة للصبر والقادحة فيه	٢٣٧	٩٥
شكوى لسان القال وشكوى لسان الخال	٢٣٨	٩٩
في أن مما ينافي الصبر شق الثياب ولطم الوجه الخ	٢٣٩	١٦
في أن مما ينافيه الجزع للهصيبة والمنع عند ورود النعمة	٢٤٠	١٧
في تسميته تعالى بالصبور	٢٤١	١٨
في تسميته تعالى بالشكور	٢٤٥	٢٥
خاتمة الكتاب	٢٤٨	٢٥

87
396

b.12976787
1.14635896

BJ
1533
P3
I 2

Ibn Qayyim al-Jawziyah.
Kitāb 'Iddat al-Ṣābirīn.

BJ
1533
P3
I 2

MAY
1971

